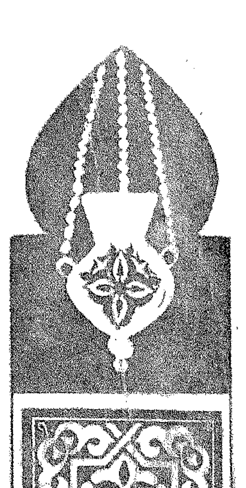
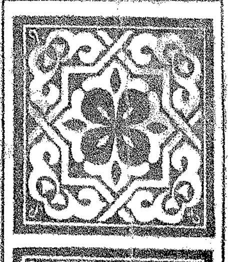
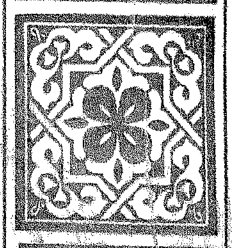
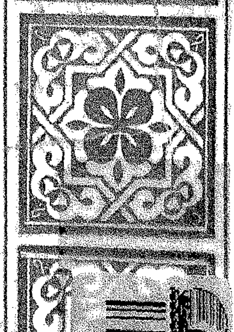








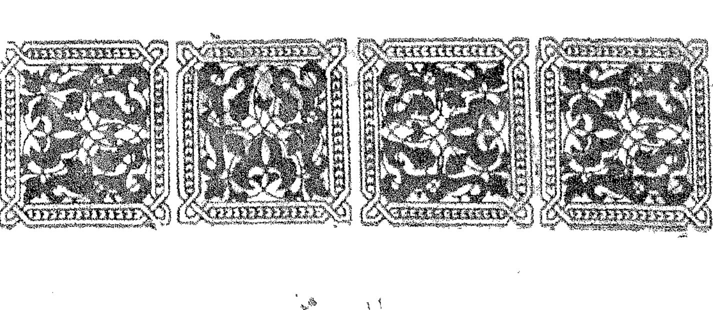
بين الإسلام والمسيحية

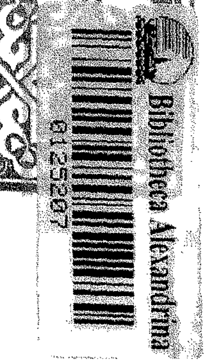
كتاب أبي عبيدة الخزرجي

المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد شامة





يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

بين الإسلام والمسيحية

كتاب أبي عبيدة الخزرجي

المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد شامة

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٩٣٧٤٧٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

(صدق الله العظيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة الطبعــة الأولى

تتخذ مظاهر الصراع البشرى منذ بدء الخليقة اسلوبين :

— صراع فكرى ؛

— وآخر يغلب عليه الطابع العضلى .

وما يعرف الآن فى ميدان القتال بحرب التكنولوجيا ، فلا زالت العضلات تلعب فيه دورا رئيسيا .

ولا يخلو عصر من الصراع الفكرى ، فاختلاف الآراء — وهو نــوع منه — علامة على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، اذا أراد كــل طرف الوصول الى الحق حيثما كان .

أما التقليد — وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى، عن طريق كبت المعارضة بقوة الحديد والنار — فهو نذير بانهيار المجتمع ، لانه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض بالحياة .

وغالبا ما ينحو الصراع الأيديولوجى بين الطوائف — وبين الشعوب — المختلفة فى عقائدها ، ومذاهبها الدينية والسياسية ، منحى التعصب للمبدأ ، فيلجأ المفكرون الى ما يدعم رأيهم ، وان كان منافيا للمسلمات الأولية ، وحينئذ يشتد الجدل ، وتكثر المحاورات التى قد تؤدى الى صدام مسلح .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، يتجه الحوار وجهة أخرى ، اذ يتساءل المهزوم عن أسباب هزيمته :

هل يرجع ذلك الى ضعف أيديولوجيته عن الصمود أمام العدو ؟

بل يتسرب الشك فى صحة العقيدة الى ضعاف النفوس ، والمترددين فى قبولهـــا .

بينما ينشط المنتصر — فى ظل صدى الانتصار — ليكسب أتباعا عن طريق القاء الشبه أمام العامة ، الذين لا يدركون أن أسباب النصر — أو الهزيمة — لا ترجع كلها الى طبيعة الأيديولوجية من حيث هى ، بل تدخــل فيها عوامل أخرى ، لا يستطيع رؤيتها الا الخاصة .

وللتدليل على هذا يكفى المرء أن يتصفح تاريخ البشرية ، فسيجد أمثلة لا حصر لها ، من بينها ماوقع فى « طليطلة » ، فقد احتفظت تلك المدينة القوطية القديمة بين أسوارها بالجم الغفير من أبنائها المسيحيين ، الذين لم يقبلوا الاذعان ، والخضوع للحكم الأموى ، الا بعد وقت طويل . ولم يكن هذا الاذعان الا ظاهريا فقط ، اذ عندما سقطت فى أيدى « الفونس » السادس ، ملك « قشتالة » ، ارتدت الى النصرانية . حظيرتها القديمة . وأعقب ذلك صراع فكرى ، بين المسيحيين ، ومن بقى فيها من المسلمين ، واتخذ ذلك صوره حوار حول المقارنة ، بين مبادىء العقيدتين : المسيحية والاسلام .

والكتاب الذى نقدم له . هو احدى مظاهر هذا الصراع ، وقع اختيارنا عليه لأنه يتناول مسائل ذات أهمية كبرى ، لمن يهتمون بدراسة علم مقارنة الأديان . وليس أمامنا الآن سوى مخطوطة واحدة ، عثرنا عليها مصوره فى مكتبة الجامعة العربية وهى تحت رقم ٢٢٥ توحيد . والنسخة الأصلية فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ .

ونظرا لضيق الوقت ، رأينا أن نخرج الكتاب ، معتمدين على هذه النسخة فقط ، آملين أن يهدينا البحث — بتوفيق الله — الى العثور على نسخ أخرى ، نرجع اليها — ان شاء الله — فى الطبعة الثانية ، التى سنضمنها أيضا نبذة عن الاسلام فى الأندلس ، ودراسة لحياة مؤلف الكتاب .

وقد آثرنا فى تخريج فقرات الكتاب المقدس ، أن نثبتها كاملة ، حتى لا يضطر القارىء الى الكشف عليها ، لأن فى ذلك مشقة عليه . وكذلك الأمر فى الآيات القرآنية ، التى أشار اليها النص ، أما التى ذكرت كاملة فيه ، فقد اكتفينا بتخريجها فقط .

ونحن اذ نقدم الكتاب ، فى صورته الراهنة ، لطلبة جامعة الأزهر ، ندعو الله أن يوفقنا الى المزيد من دراسة المواضيع ، التى اشتمل عليها فى الطبعة الثانية .

انه سميع مجيب .

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٢

***

مقـدمة الطبعـة الثانيـة

(١)

اشتبك المسلمون مع المسيحيين فى معارك كثيرة ، ومن أهم المناطـق التى التحم فيها الصراع عسكريا ، وفكريا ،(١) أسـبانيا التى أطلق عليهـا المسلمون « الأندلس » (٢) .

---

(١) والكتاب الذى نقدم له يبين لنا احدى ظواهر الصراع الفكرى ، ولكى نلقى ضوءا على الظـروف والملابسات التى أحاطت ــ وسبقت فى الزمن ــ المؤلف ، رأينا أن نعرض هنا موجزا لتاريخ الدولة الاسلامية فى أسبانيا ، ليستحضر القارىء فى ذهنه ــ أثناء قراءة هذا الكتاب ــ صورة الصراع السياسى الذى ابتلى به المسلمون منذ الفتح فى عام ٩٢ هـ (٧١١ م) حتى طردوا من أسبانيا نهائيا فى عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) وليس الغرض تقديـم صورة كاملة للاحداث ، لأن هذا فى كتب التاريخ ، بل عرض الخطـوط العريضة لها ، مع بيان أهم الأسباب التى أدت الى انهيار الدولة الاسـلامية فى تلك البقاع ، ومن أراد تفصيلا فليرجع الى المراجع التاريخية .

(٢) يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة « الأندلس » على شـبه جزيرة « ايبيريا » المكونة من أسبانيا والبرتغال (ياقوت فى معجم البلدان تحت كلمة الأندلس . والروض المعطار ص ١) . وتطلق فى الرواية العربيـة أيضا على أسبانيا المسلمة ، التى كانت عقب الفتح تشمل كل أسبانيا ما عدا « جليقة » ، وولايات جبال « البرنية » . ولكن « الأندلس » تطلق فى العصور المتأخرة ، وفى الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الواقعة فى جنوب أسبانيا ، بين نهر الوادى الكبير والبحر وبين ولاية « مرسية » و « أشبيلية » ، وما زالت « الأندلس » (Andalucia) تحتل فى تقسيم أسبانيا الادارى الحاضر نفس هذه المنطقة . والرواية العربية تعلل هذه التسمية بصور مختلفة ، فتقول مثلا أنها سميت أندلس باسم أول من سكنها من قديم الزمان ، وهـم قوم من الأعاجم يقال لهم أندلوس (نفح الطيب جـ ١ ص ٦٧) . ويقول ابن الأثير : ان النصارى يسمون الأندلس « اشبانة » باسم « اشبانس » أحد ملوكها ، وهذا هو اسمها عند « بطليموس » (جـ ٤ ص ١٢١) . ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقا أدق فيقول انها سميت « الأندلس » باسم « قندلس »
=

عبرت الجيوش الاسلامية المضيق الغربى للبحر الأبيض المتوسط — المعروف اليوم بمضيق جبل طارق — (١) ولم يكن الدافع الأول للمسلمين الرغبة فى التوسع الاستعمارى ، بل كان ذلك تلبية لنداء وجهه سكان البلاد الأصليين الى المسلمين ليخلصوهم من نير القوط(٢) ، فقد كان المجتمع

=

ولعلها « فندلس » ومن الواضح انه يقصد « الفندال » أى « الوندال » (جـ ٢ ص ٢٣٥ فى تاريخ القوط) . ويقدم لنا البكرى خلاصة دقيقة لهذه المسميات الجغرافية التاريخية فيقول فى وصفه لجزيرة الاندلس : ان اسمها القديم « اباريه » (Iberia) من وادى « ابرة » ، ثم سميت بعد ذلك « باطقة » (Baetica) من وادى بيطسى وهو نهر قرطبة . ثم سميت « اشبانية » من اسم رجل ملكها فى القديم كان اسمه « اشبان » ، وقيل سميت باسم « الاشبان » الذين سكنوها فى أول الزمان على جرية النهر وما والاه . وقال قوم : ان اسمها فى الحقيقة « اشبارية » (Hisperia) من « اشبرس » وهو الكوكب المعروف بالأحمر . وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء « الأندليس » من الذين سكنوها « والأندلس » هم « الوندال » (Vandals) وهذا هو التعليل الذى يأخذ به « دانفيل » (Danville) ، اذ يقول : ان الاشتقاق مأخوذ من كلمة « فاندالوسيا » (Vandalusia) أو بلد « الوندال » ، (نقله « جيبون » عن كتاب ممالك أوروبا فى هامش الفصل الحادى والخمسين) . وهذا ما يقرره الفزيرى أيضا فى معجم مخطوطات الاسكوريال (Biblu. Arabico-Hispana Esenrialensis II p. 237 Casiri)
من عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، هامش ص ٥٠

(١) نسبة الى طارق بن زياد الليثى الذى اختاره موسى بن نصير — وهو والى أفريقيا يومئذ — لقيادة جيش الفتح ، ذلك الجندى العظيم الذى ضرب المثل فى الشجاعة ، والاقدام . أجمع المؤرخون على وصفه بـ « فاتح الأندلس » ، غير أنهم اختلفوا فى أصله ونسبته ، فقيل هو فارسى من همدان ، كان مولى لموسى بن نصير ، وقيل انه من سبى البربر ، وقيل أخيرا بربرى من بطن من بطون نفزه ، وهذه فيما يظن أرجح رواية ، ويبدو منها أن طارقا تلقى الاسلام عن أبيه زياد عن جده عبد الله ، وهو أول اسم عربى اسلامى فى نسبته ، ثم ينحدر مساق النسبة بعد ذلك خلال أسماء بربرية محضة حتى ينتهى الى نفزة ، وهى القبيلة التى ينتمى اليها .

(٢) هم احدى القبائل أو الشعوب البربرية التى هبطت من شمال
=

أوروبا ، وقوضت صروح الامبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة انهم نزحوا من « اسكندناوة » بعد أن تحرروا من « الجوتارة » فى جنوب السويد ، ويذكر المؤرخ « تاسيتوس » أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية الى أواخر القرن الثانى يسكنون شواطىء البلطيق الجنوبية . وفى عهد الامبراطور « اسكندر سيفوروس » (٢٢٢ — ٢٣٥ م) ظهرت طلائع « القوط » فى ولاية « داسيا » (وتشغل مكانها الآن رومانيا والمجر) الرومانية وأغارت على بعض مدنها ، وكان هذا نزوحهم الثانى حيث استقروا عندئذفى اقليم « اليوكرين » وفى عهد الامبراطور « ديسيوس » عبروا نهر الدانوب ، وخربوا ولاية « ميزيا » الرومانية (وتشغل مكان بلغاريا الحديثة) ثم تقدموا الى قلب البلقان ، فسار « ديسيوس » لقتالهم ، ولكنه هزم ومزق جيشه (٢٥٠م) ، وسار « القوط » الى اليونان فعاثوا فيها وخربوها ، ولم ينقطع عبثهم حتى نشط الامبراطور « قسطنطين » الكبير لقتالهم ورد عدوانهم ، فحاربهم فى عدة مواقع ، وهزمهم هزيمة شديدة ، وردهم الى أقاصى « داسيا » (سنة ٣٢٢م) وفرض عليهم شروطا فادحة . ثم حاربهم الامبراطور « فالنس » قيصر قسطنطينية وهزمهم فى سنة ٣٦٩م وفى سنة ٣٧٥م زحف « الهون » من المشرق على « القوط » ومزقوهم ، فانقسموا الى قسمين ، قوط شرقيون أذعنوا للهون وانخرطوا فى جيشهم ، وقوط غربيون فروا تحت ضغط « الهون » الى ضفاف الدانوب ، واستغاثوا بالامبراطور ، وطلبوا الدخول فى طاعته فأجابهم الى ذلك . واستقروا حينا فى ولاية « تراقية » ، ولكنهم ثاروا مرارا من جراء قسوة الحكام الرومانيين وعسفهم . وفى عهد الامبراطور « هونوريوس » قام « القوط » بثورة أعظم وأبعد أثرا بقيادة زعيمهم « ألاريك » وخربوا « تراقية » واليونان ، ثم عبروا الى ايطاليا وافتتحوا روما ونهبوها (٤١٠ م) . ولكن زعيمهم « ألاريك » توفى فى نفس هذا العام فارتدوا الى الشمال . ثم عقدوا الصلح مع الامبراطور واندمجوا فى الجيش الامبراطورى ، وقاموا بقمع الثورات فى « غاليا » أو « غاليس » (جنوب فرنسا) وشمالى اسبانيا ، ثم استقروا فى أواسط فرنسا وجنوبها ، فيما بين نهرى اللوار والجارون ، واتخذوا « تولوز » (تولوشة) عاصمة لهم . وأقطع الامبراطور ملكهم « فاليا » حكم هذا القطر ، وقامت بذلك مملكة قوطية تابعة للدولة الرومانية .

وعاون « القوط » الدولة على محاربة « الوندال » و « الآلان » و « السوابيين » ، وعاونها بالأخص ملكهم « تيودريك » الأول ، ولد

الأسبانى يعانى صنوف الشقاء والبؤس ، مزقته عصور طويلة من الظلم والارهاق ، ولم يكن « القوط » فى الحقيقة أمة بمعنى الكلمة ، فانهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ، ذلك الامتزاج الذى يجعل الغالب والمغلوب ، والحاكم والمحكوم أمة واحدة ، بل كان القوط يستأثرون بمزايا الغلبة ، والسيادة ، وينعمون باحراز الاقطاعات والضياع الواسعة ، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشراف ، يليهم طبقة رجال الدين ، حيث كانوا يتمتعون بأعظم قسط من السلطان والنفوذ ، وساعدهم على بلوغ هذه الدرجة أن القوط كانوا أتقياء متدينين ، يغلب عليهم الميل الى ارضاء رجال الدين ، وقد تمتع الأحبار والرهبان بمركز مرموق لدى الحكام ، مما جعل لهم تأثيرا مكنهم من توجيه القوانين والنظم ، وصياغة الحياة العقلية والاجتماعية وفقا لاتجاه الكنيسة وغاياتها . وقد استغل رجال الدين هذا النفوذ فى احراز الضياع وتكديس الثروات ، واقتناء الزراع والأرقاء . وهكذا كانت ثروات البلاد كلها تجتمع فى أيدى فئة قليلة ممتازة من الأشراف ورجال الدين ، اختصت بترف العيش ومتاع الحياة ، وكل نعم الحرية والكرامة والاعتبار .

أما سواد الشعب فكان يرزح تحت شقاء الحياة وبؤسها وهو يتكون من طبقة متوسطة ، رقيقة الحال ، وزراع شبه أرقاء يلحقون بالضياع ،

= « الاريك » على هزيمة « آتيلا » التترى وبرابرته « الهون » فى موقعة « شالون » (٤٥١) . ثم عبر خلفه وأخوه « تيوديريك » الثانى الى أسبانيا ، لانتزاعها من « الوندال » و « السوابيين » المتغلبين عليها ؛ مشترطا على الدولة أن يحتفظ بما يفتتحه من أسبانيا لنفسه ولعقبه ، وحارب « الوندال » و « السوابيين » وهزمهم (سنة ٤٥٦م) وافتتح أسبانيا ما عدا ركنها الشمالى الغربى « جليقة » ، الذى استعصم به « الوندال » حينا . ولم تأت نهاية القرن الخامس حتى ملك « القوط » شبه الجزيرة كلها ، وامتد ملكهم من « اللوار » الى شاطىء أسبانيا الجنوبى . ولكن الفرنج غزوهم من الشمال وأجلوهم عن فرنسا فى أعوام قلائل ، فاستقروا فى أسبانيا ، واتخذوا مدينة « طليطلة » دار ملكهم ، ووضعوا لمملكتهم الجديدة نظما وقوانين خاصة تتأثر بروح الحضارة والأنظمة الرومانية ، وكانوا أيضا قد اعتنقوا النصرانية منذ أواخر القرن الرابع ، كما اعتنقها « الوندال » وغيرهم من الشعوب البربرية ، التى تقاسمت تراث رومة وأملاكها . ولبث « القوط » زهاء قرنين سادة الأسبانيا حتى الفتح الاسلامى ، وكان آخر ملوكهم « رودريك » « أو رذريق » كما يسميه العرب الذى هزمه القائد المسلم طارق بن زياد عام ٧١١م .

وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت ، كان الشعب بطبقاته الثلاث — الطبقة المتوسطة ، والزراع الأرقاء — فى حالة يرثى لها من الحرمان والبؤس ، يقاسى أشنع أنواع الظلم والارهاق ، ويفرض عليه وحده — دون الطبقات الممتازة — دفع الضرائب الفادحة ،ويلزم بتأدية المغارم المرهقة ، ويقوم بالأعمال الشاقة — يساق اليها سوق العجماوات — فى ضياع الأشراف والأحبار ، مفروضا عليه العبودية والرق ، مسلوبا عنه كل شعور بالعزة والكرامة .

وكانت هناك جالية يهودية كبيرة ، لم تكن تنعم بالحياة الهادئة ، اذ كانت موضع البغض والكراهية والتحامل ، فقد كان يهود الجزيرة يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد ، وكانت الكنيسة منذ قوى نفوذها تحاول تنصيرهم ، وتمارس فى سبيل تحقيق ذلك أشد أنواع العنف ، وأقسى طرق المطاردة .

هكذا كان الوضع فى أسبانيا ، عندما افتتح المسلمون افريقيا ، واقتربوا من شواطىء الأندلس ، وكان على عرش أسبانيا يومئذ الملك « وتيزا » ، كان يحكم مملكة مزقها الخلاف وشعبا أضناه العسف والظلم والارهاق ، ويقال : انه حاول أن يقف فى وجه طغيان الأشراف بالحد من سلطاتهم ، كما حاول كبح جماح رجال الدين فلم يستطع ، واتفق رجال الدين على بغضه ومحاولة التخلص منه ، كما كانت بقية الشعب غير راضية لما يقع عليها من جور وظلم . فدبرت ضده المؤامرات ، واستغل الموقف زعيم جرىء هو ردريك ، فقام بالثورة ضده ونادى بنفسه ملكا ، واستطاع أن يخمد منافسيه ، غير أن العرش بقى مضطربا يهتز فى يد القدر ، ذلك أن أعداء « ردريك » حاولوا الاطاحة به ، ولما لم ينجحوا فى ذلك رأوا الاستعانة ، بقوة من خارج الجزيرة ، وكان « الكونت يوليان » حاكم « سبته » محط أنظارهم ومساعيهم .

وفى الوقت الذى كانت فيه شبه الجزيرة الأسبانية تضطرم فيها هذه الحوادث ، فتغرقها فى أزمات خطيرة ، ومضايق خانقة ، كان المسلمون قد أتموا فتح المغرب الأقصى باستيلائهم على ثغر « طنجة » ، وأشرفوا بذلك على شواطىء الأندلس من الضفة الأخرى من البحر ، ولم يبق لاتمام فتح افريقية سوى ثغر « سبته » الذى يقع فى مقابل طنجة فى الطرف الآخر من اللسان المغربى . حاول المسلمون الاستيلاء عليه ، لكنهم لم ينجحوا ، لأن حاكم « سبتة » وهو « الكونت يوليان » كان متيقظا ، فأحبط كل محاولة لأخذه ، ويساعده على ذلك مناعة موقعه .. ولكن موسى بن نصير لم ينفك لحظة عن التفكير فى افتتاح هذا الثغر المنيع ، وتطهير افريقيا من البقية

الباقية من العـدو . وبينما هو يرقب الفرص لتحقيق هـذه الأمنية ، اذ وصلته رسالة « الكونت يوليان » نفسه ، يعرض عليـه معقله ، ويدعوه الى فتح اسبانيا ، وجرت بينهما مفاوضة فى هذا المشروع الخطير . .

وفى شـهر رجب سـنة ٩٢ هـ (ابريل ٧١١ م) جهز موسى جيشا من العرب والبربر ، بلغ سبعة آلاف مقاتل ، وأسـند قيادته الى طارق بن زياد الليثى ، فعبر البحر من « سبتة » بجيشه تباعا فى سـفن قليلة ، قدمها له « يوليان » ، وعسكر بالبقعة الصخرية المقابلة التى مازالت تحمل اسمه الى اليوم ، أعنى جبل طارق .

ولمـا اتم استعداداته ، توغل فى الجزيرة ، وحين أحس « ردريك » بالخطر — وكان أميرا شـجاعا — استطاع أن يجمع حوله معظم الأمراء والأشراف ، والأساقفة ، وحشد هؤلاء رجالهم وأتباعهم ، فاجتمع « للقوط » يومئذ جيش ضخم ، تقـدره بعض الروايات بمائة ألف ، غير أنه لم يكن ملتحما ، اذ كان كثير من قواده ورؤسائه خصما « لردريك » ، اضطروا الى الالتفاف حوله لرد الخطر الخارجى ، وهم يتحينون الفرصة للفتك به .

لم تكن الظروف سـهلة أمام المسلمين ، « فالقوط » أضعاف المسلمين ، والقتال فى أرض العدو فى هضاب ومفاوز شاقة ، ولكن قائدهم الجرىء — طارق بن زياد — تقدم الى الموقعة الحاسمة بعزم ، دفعه الى ذلك ايمانه وشجاعته ، وثقته بقدرته على اجتياز الحواجز والعقبات ، فكان اللقاء بين الجيشين فى سـهل « الفرنتيرة » (Frahtera) على ضاف نهر وادى « لكه » أو وادى « بكه » .

تلاقى العرب و « القوط » ، والاسلام والنصرانية فى الثامن والعشرين من شـهر رمضان سنة ٩٢ هـ (١٧ يوليه ٧١١ م) فى معركة من أهم معارك التاريخ بين الاسلام والنصرانية ، واستمرت هـذه المعركة الهائلة مضطرمة بين القوى النصرانية الضخمة وبين القوة المسلمة المتواضعة نحو أربعة أيام ، كان الجيش الاسلامى يحارب فيها ، وهو قوة واحدة متماسكة ، كالصخرة الصـلبة ، أما الجيش القوطى فقد كان — على الرغم من كثرته — مختل النظام ، منحل القوى ، لأن الرباط بين جناحيه وبين قلبه كان واهيا ، اذ كان يقود جناحيه « ايفا » و « سيزون » خصما « ردريك » ، وتتكون صفوفهما من أتباعهم ، وأتباع حلفائهم من الأمراء ، والزعماء الناقمين ، الذين تظاهروا بالاخلاص وقت الخطر ، وكلهم يتحين الفرصـة للايقاع بالملك المغتصب ، فكانت الخيانة تمزق جيش القوط شر ممزق .

وهنـاك عامل آخر سـاعد المسلمين على الفتك بالعدو ، ذلك أن

« يوليان » والأسقف « أوباس » ــ وكانا فى صف المسلمين ــ استطاعا أن يستميلا كثيرا من جند « القوط » ، وأن يبثا بدعايتهما فى الصفوف الموالية « لردريك » كثيرا من عوامل الشقاق والتفرق ، فأخذ كل أمير يسعى لوقاية نفســه هو ، فتمكن الجيش الاسلامى ــ وهو قليل العدد ــ بشجاعة أفراده وثباتهم ، واتحاد كلمتهم من جيش « القوط » ، ولم يأت اليوم الســابع من اللقاء ، حتى تم النصر لطارق وجنده ، ومزق جيش « القوط » شر ممزق ، ولحقت بهم الهزيمة الساحقة ، وشتتوا فى كل صوب ، وفروا فى كل انجاه أما « ردريك » آخر ملوك « القوط » ، فقد اختفى بعد المعركة ، ولم يعثر له على أثر .

تعقب طارق بن زيادة فلول المنهزمين ، فواصل زحفه متوغلا فى أرض الأندلس يفتح الثغور ، ويستولى على المواقع والحصون ، وتابع زحفه شمالا ، فعبر جبال « أشتوريش » (أستورياش) ، واستمر فى سيره حتى أشرف على ثغر « خيخون » الواقع على خليج « بسكونية » (غسقونية) فكان خاتمة زحفه ، ونهاية فتوحاته ، ورده عباب المحيط عن التقدم ، فعاد الى « طليطلة » ، حيث تلقى أوامر موسى بن نصير بوقف الفتح ، وكان ذلك لعام فقط من عبوره الى أسبانيا ، وكان لأوامر موسى بن نصير خطرها . وسنعرض لذلك بعد عرض آراء العلماء فى الفتح الاسلامى .

انهار سلطان الطبقات الممتازة بعد الفتح ، فتنفس الشعب الصعداء ، وخف عن كاهله ما كان ينوء به من الأعباء والمغارم ، ذلك أن المسلمين تحروا فى فرض الضرائب المســاواة التامة بين الطبقات والتزام العــدل والاعتدال فى تحصيلها ، وقد كانت من قبل تفرض حسب الهوى ، وبدافع الجشــع والاســتغلال . كذلك أمن الناس على حياتهم وحرياتهم وأموالهم اذ ترك الفاتحون لهم حق تطبيق قوانينهم ، واتباع تقاليدهم ، والخضوع لقضائهم وقضاتهم ، بل عينوا أيضا عليهم ــ فى معظم الأحوال ــ حكاما من أبنــاء جنسهم ، وعهد الى هؤلاء الحكام سن الضرائب المطلوبة ، والاشراف على النظام والأمن . أما مسألة الدين والعقيدة ، فقد ترك الناس فيهــا أحرارا يعتقدون ما شاءوا ويؤمنون بعقيدتهم ــ من غير اكراه ولا اضطهاد ــ التى يختارونها ، وقد ضربت السياسة الاسلامية بهذا مثلا أعلى للتسامح الدينى ، فلم يظلم أحد أو يرهق أو يضطهد بسبب الدين أو الاعتقاد .

أشاد العلماء بالفتح الاسلامى الأسبانيا ، واليك طائفة من اقوالهم . يقول العلامة المستشرق « دوزى » :

« لم يكن حال النصارى فى ظل الحــكم الاسلامى مما يدعو الى كثير من الشــكوى بالنسبة لمــا كانت عليــه من قبل . أضف الى ذلك أن العرب

كانوا يتحلون بكثير من التسامح . فلم يرهقوا أحدا فى شئون الدين » .

ويقول « دوزى » عن آثار الفتح الاجتماعية :

« كان الفتح العربى من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا ، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التى كانت تعانيها البلاد منذ قرون .... وحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ، ووزعت الأراضى توزيعا كبيرا ، فكان ذلك حسنة سابغة ، وعاملا فى ازدهار الزراعة ابان الحكم العربى ، ثم كان الفتح عاملا فى تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ، اذ كان الاسلام أكثر تعضيدا لتحرير الرقيق من النصرانية ، كما فهمها أحبار المملكة القوطية ، وكذا حسنت أحوال أرقاء الضياع ، اذ غدوا من الزراع تقريبا ، وتمتعوا بشىء من الاستقلال والحرية » .

ويقول الأستاذ « لابن بول » :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت أعجوبة القرون الوسطى بينما كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية » .

ويقول المستشرق الأسبانى « جاينجوس » :

« لقد سطعت فى أسبانيا (الأندلس) أول أشعة لهذه المدنية التى نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية ، وفى مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء ، وحفظت بعناية . والى حكمة العرب وذكائهم ، ونشاطهم ، يرجع الفضل فى كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها » .

* * *

أمر موسى بن نصير ، طارق بن زياد بوقف الفتح ، ويختلف المؤرخون فى تعليل البواعث على اصدار هذا الأمر ، فقيل : أن موسى لم يكن يتوقع هذا الفوز لقائده ومبعوثه ، فلما وقف على مبلغ فوزه وتقدمه ، تحول اعجابه الى حسد وغيرة ، وخشى أن ينسب ذلك الفتح العظيم اليه دونه ، وقيل : ان موسى غضب على طارق عندما خالف الأوامر الصادرة اليه ، بألا يجاوز « قرطبة » ، خوفا من أن يصاب الجيش الاسلامى بنكبة ، قد تفقده روحه المعنوية ، اذا توغل فى أراضى ، ومسالك مجهولة ، لا يحسن فيها القتال . وعلى أى حال ، فقد لحق موسى بطارق بعد أن استولى على بعض المدن فى طريقه ، ووصل الى أقصى شمال أسبانيا ، وهناك فكر

فى أن يخترق بجيشه جميع أوربا غازيا فاتحا ، وأن يصل الى الشـــام من طريق قسطنطينية ، وكان يمكنه ذلك ، لأن الاســـلام يومئذ كان فى ذروة الفتوة ، والقوة ، والبأس ، وكانت أمم الغرب من جهة أخرى يســـودها الضعف والانحلال ، ولكن تطور الأحداث حال دون تحقيق هـــذا المشروع ، ذلك انه عندما التقى بطارق عنفه على مخالفة الأوامر ، وزج به فى السجن ، ويقال أنه أراد قتله ، لكنه أطلقه بعد ذلك ، واشـــترك معه فى تدبير خطط الفتح ، الا أن الخليفة فى دمشق عندما علم بالخلاف استدعاهما الى دمشق ، وكان ذلك خسارة كبيرة للاســـلام ودولته ، اذ توقف الفتح — تقريبا — عند هـــذا الحد ، وانشغل المسلمون بخلافاتهم التى نشأت فى الأندلس بعد الفتح ، ولكى نلقى ضوءا على هـــذه الخلافات التى كانت مرضا أصيبت به الدولة الاسلامية الجديدة يوم مولدها ، وعاقتها عن الانطلاق المنشود ، ينبغى أن نبين عناصر المجتمع الاسلامى فى الأندلس بعد الفتح .

لقد ولدت الدولة الجديدة التى أنشأها الاســـلام فى أسبانيا حاملة معها منذ البداية جرثومة الخلاف الخطـــر ، وكان هذا المجتمـــع الـــذى جمـــع الاســـلام شمله ، ومزج عناصره ، يجيش بمختلف الأهواء والنزعات ، وتمزقه العصبيات القبلية ، اذ ظهر التنافس القديم بين القبائل العربية من جانب ، وبين العرب والبربر من جانب آخر ، ذلك أن البربر — وكان معظم الجيش منهم — كانوا يبغضون قادتهم ، ورؤســـاءهم العـــرب ، ويحقدون عليهم لاستئثارهم بالسلطة ، واستيلائهم على أكبر نصيب من الغنائم ، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبة . وكثيرا ما رفع هؤلاء البربر لواء العصيان والثورة ، أو أيدوا فريقا من العرب ضد آخر فى الصراع على السلطة . أما المسلمون الأسبان — وهم العنصر الثالث فى تكوين المجتمع الاســـلامى فى أسبانيا — فكانوا محدثين فى الاســـلام ، يعتريهم الشعور بأنهم — رغم اسلامهم — أحط من الوجهة الاجتماعية من ساداتهم العرب ، وذلك أن العرب ، رغم ما تعلموه من أن الاسلام يسوى بين المسلمين جميعا فى الحقوق والواجبات ، ويقضى على كل فوارق الجنس والطبقات ، كانوا يشكون فى ولاء المسلمين الجدد ، فضنوا عليهم بمناصب الثقة والنفوذ ، أضف الى ذلك أن العربى فى الأقطار النائية التى فتحها بسيفه ، كان يشعر بالغرور ، وتعاوده النعرة القديمة ، فكان يظن أنه أشرف الخليقة .

لو اقتصر الأمر على الخلاف بين العرب والبربر ، وبينهم وبين المسلمين الجدد لهان الخطب ، ولكن الخلاف بين القبائل العربية ، كان أخطر ما فى هـــذا المجتمع من عوامل التفكك والانحـــلال ، فقد ظهرت عصبية القبائل والبطون من جديد ، فتنافس الزعماء والقادة على الســـلطان والرياسة ، فمزقت صفوفهم ، ووهنت وحدة الدولة الاسلامية فى الأندلس . وظل هـــذا

هو المرض العضال الذى اعاق الدولة فى كثير من الأحيان عن تأمين حدودها الشمالية ، حيث تكونت الممالك النصرانية التى قادت عملية طرد المسلمين من الأندلس .

لعبت هذه الخلافات دورا رئيسيا فى تولية الولاة ، وقيام دولة بنى أمية ، وسقوطها ، وقيام دول الطوائف ، وأخيرا اشتدت وطأتها ، فتهاوت الدولة أمام هجمات النصرانية فى عام ٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م (١) .

* * *

(١) اعتبرت الأندلس فى مبدأ أمرها ولاية تابعة لافريقية ، فكان واليها يعين من قبل والى افريقية ، ثم يصدق الخليفة على ذلك . ثم استقلت بعد ذلك عن افريقية ، فأصبح واليها يعين رأسا من الخليفة فى دمشق . وأول وال للأندلس ، هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وآخرهم يوسف ابن عبد العزيز الفهرى ، الذى هزمه عبد الرحمن الداخل فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٨ هـ (١٣ مايو سنة ٧٥٦ م) ، وبذلك انتهى عصر الولاة ، وبدأ عصر امارة بنى أمية .

قامت دولة بنى أمية فى الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الذى نجا من مذبحة أهله فى مجلس السفاح سنة ١٣٢ هـ ، فهرب من العراق يطلب بلاد المغرب ، بمساعدة مولى له اسمه بدر ، لم يدخر وسعا فى انقاذه وحمايته فى أثناء ذلك الفرار ، فلما وصل به الى المغرب ، سعى له فى جمع الأحزاب ، فقطع مضيق جبل طارق الى الأندلس ، وفيها من موالى بنى أمية خمسمائة رجل ، فأخبرهم بقدوم مولاه ، وحرضهم على نصرته لاستبقاء هذه الدولة هناك ، فنصروه وجمعوا كلمة المضرية واليمنية ، وبعد حروب كثيرة ، مهدوا له الطريق الى الحكم ، واستقدموه اليهم فدخل الأندلس ، وتولى أمورها سنة ١٣٨هـ (٧٥٦ م) ، ولذلك سموه الداخل .

لم يجسر عبد الرحمن فى بادىء الأمر على انشاء خلافة أخرى ، مع وجود الخلافة العباسية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم واحد ، وخليفته واحد . استمر الأمويون يحكمون تحت اسم « الامارة » زهاء قرن ونصف حتى تولى عبد الرحمن الناصر ، فرأى أن يتسم بسمة الخلافة ، وكان ذلك فى مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ ، وشجعه على ذلك قيام الخلافة الفاطمية فى الضفة الأخرى من البحر وانسياب دعوتها الى المغرب الأقصى ، على مقربة من شواطىء الأندلس .

=

. . . .

=

بلغت الأندلس ابان مجدها فى عهد عبد الرحمن الناصر ، وفى عهد ابنه الحكم المستنصر ، ثم أخذت الأمور بعدهما فى الاضمحلال ، فضعفت شوكة الخلفاء ، واستبد الوزراء والجنود ، وهم من موالى الأمويين من البربر والصقالبة ، وكان العرب فى مقدمة رجال الدولة ، وأهل العصبية ، ولهم المقام الرفيع ، فلما استبد الصقالبة والبربر بالمناصب ، أخذت شوكة العرب فى الضعف تدريجيا ، حتى غلب ابن أبى عامر على أمر الدولة فى أيام هشام بن الحكم ، ومكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل بعضهم ببعض ، فانكسرت شوكة العرب من ذلك الحين .

ومازالت الدولة آنذاك آخذة فى الانحلال اقتسمها الولاة البربر وغيرهم فانقسمت مملكة الأندلس فى أوائل القرن الخامس الهجرى الى امارات تولاها أصحاب الأطراف والرؤساء ، وفيهم العرب والبربر والموالى ، فتغلب كل انسان على ما فى يده ، فصاروا دولا صغيرة متفرقة ، ولذلك سموا ملوك الطوائف وهاك أشهرهم مع أسماء اماراتهم :

اسم الدولة	اسم المملكة	مدة الحكم
بنو حمود	مالقة والجزيرة	٤٠٧ — ٤٤٩ هـ
بنو عباد	اشبيلية	٤١٤ — ٤٨٤ هـ
بنو زيرى	غرناطة	٤٠٣ — ٤٨٣ هـ
بنو جهور	قرطبة	٤٢٢ — ٤٦١ هـ
بنو ذى النون	طليطلة	٤٢٧ — ٤٧٨ هـ
العامريون	بلنسية	٤١٢ — ٤٧٨ هـ
بنو هود التجيبيون	سرقسطة	٤١٠ — ٥٣٦ هـ

ولم تطل سيادة هذه الدولة ، اذ غلبت عليهم دولة المرابطين ، ثم الموحدين ، وظل الانقسام متتابعا بين تلك الممالك ، والخصام متواليا ، والافرنج يغتنمون ضعفهم وانقسامهم ، ويسترجعون اماراتهم واحدة بعد واحدة ، وبلدا بعد بلد ، حتى غلبوا على المسلمين ، وأخرجوهم من الأندلس ، وآخر مدينة افتتحها الافرنج من تلك المملكة غرناطة ، وكانت فى حوزة بنى نصر — نسبة الى يوسف بن نصر — من سنة ٦٢٩ هـ ، توالى عليها منهم بضعة وعشرون ملكا آخرهم أبو عبد الله محمد بن على ، فاستخرجها الافرنج من يده سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢ م) وفر أبو عبد الله ، وكان ذلك آخر عهد المسلمين بالأندلس .

اشتغلت الدولة الاسلامية بخلافاتها ، التى استنفدت معظم طاقاتها ، وصرفتها عن توجيه همتها لاتقاء خطـر آخـر ، ذلك أن شراذم قليلة من « القوط » لجأت عقب الفتح الى الجبال الشمالية ، وامتنعت فى مفاوز جبال « اشتوريش » فقامت امارتان نصرانيتـان صـغيرتان فى « كانتـابريا » ، « وجليقة » ، غير أن الأولى كانت عرضة لاقتحام الجيش الاسـلامى حـين سـار الى فرنسـا ، ولكن امارة « جليقة » كانت نقع فى أعماق جبـال « اشتوريس » الوعرة ، بعيـدا عن غزوات الفاتحين ، ولم يعن المسلمون لأول عهد الفتح بأمر هذه الشراذم الممزقة عناية كافية ، وكان فاتحا الأندلس موسى وطارق قد قاد كل منهما حملة الى « جليقة » لسحق البقيـة الباقية من « القوط » ولكنهما لم يتمكنا من تحقيق غايتهما لاستدعائهما الى دمشق . وكان اغفال هذه الفلول الباقية بعد ذلك من أعظم أخطاء الفاتحين .

ومن أهم العوامل التى أعاقت تقدم الفتح الاسلامى فى أوربا ـــ وبالتالى ساعدت الامارات المسيحية فى شمال أسبانيا على التمركز ، وبناء قوة أخرجت المسلمين من الاندلس ـــ النتيجة التى انتهت اليها معركة « بواتيه » فى سهول فرنسا . أجل ! كان اللقاء حاسما بين الاسلام والنصرانية فى تلك المعركة ، وكانت له آثار بعيدة المدى على تاريخ العالم كله ، وتتلخص وقائع المعركـة فى أن الجيش الاسلامى اجتاح جنوب فرنسا ، بقيادة عبد الرحمن الغافقى ، مستوليا على ما وقع فى يده من مغانم ، وكانت كثيرة جدا ، حتى وصل الـى السهل الممتد بين مدينة « بواتية » ، و « تور » ، فاستولى المسلمون على « بواتيه » ونهبوها وأحرقوا كنيستها(١) الشهيرة ، ثم هجموا على مدينـــة « تور » الواقعة على ضفة « اللوار » اليسرى ، واستولوا عليها ، وخربوا كنيستها أيضا . وفى ذلك الحين كان جيش الفرنج قد انتهى الى اللوار بقيادة « كارل مارتن » ، دون أن يشعر المسلمون بمقدمه بادىء بدء ، وأخطـأت الطلائع الاسلامية تقدير عدده وعدته . فلما أراد عبد الرحمن أن يقتحم « اللوار » ، لملاقاة العدو على ضفته اليمنى ، فاجأه كارل مارتن بجموعـــه الجرارة ، وألفى عبد الرحمن جيش الفرنجة يفوقـــه فى الكثرة ، فارتـــد من ضفاف النهر ثانية الى السهل الواقع بين « تور » و « بواتيه » ، وعبر « كارل » اللوار غربى « تور » ، وعســكر بجيشه الى يســار الجيش الاسلامى ، بأميال قليلة بين نهر « كلين » « وفيين » فرعى « اللوار » .

ثم بدأ القتال فى اليوم الثانى عشر من أكتوبر ٧٣٢ م (أواخر شعبان ١١٤هـ) فنشبت بين الجيشـين معارك محلية مدى سبعة أيام أو ثمانيـــة ،

---

(١) مخالفين بذلك روح الاسلام وتعاليمه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصى المقاتلين دائما ألا يهدموا الكنائس والمعابد .

احتفظ فيها كل بمركزه ، وفى اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عارمة ، فاقتتلا بشدة وتعادلا حتى دخول الليل ، واستأنفا القتال فى اليوم التالى ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ، حتى بدا الاعياء على الفرنج ، ولاح النصر فى جانب المسلمين . ولكن حدث حينئذ أن افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر الغنائم الاسلامى فارتفعت صيحة مجهول فى المراكز الاسلامية بأن معسكر الغنائم سوف يقع فى أيدى العدو ، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتواثب كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم ، فدب الخلل الى صفوف المسلمين ، وعبثا حاول عبد الرحمن أن يعيد انتظام ، وأن يهدىء روع الجند ، وبينما هو يتنقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته فسقط قتيلا من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب فى الجيش الاسلامى ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل فى صفوفهم . ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل .

وكان ذلك فى اليوم الحادى والعشرين من اكتوبر ٧٣٢ م (أوائل رمضان ١١٤ هـ) .

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامى ، واختلف الرأى وهاجت الخواطر ، وسرى التوجس والفزع .. ورأى الزعماء أن كل أمل فى النصر قد غاض ، فقرروا الانسحاب ، وفى الحال غادر المسلمون مراكزهم ، وارتدوا فى جوف الليل ، وتحت جنح الظلام ، تاركين أثقالهم ، ومعظم أسلابهم غنما للعدو ..

ومن الأسباب التى عاقت الجيش الاسلامى عن احراز نصر حاسم فى تلك الموقعة ، حالة القلق التى أصابته ، بسبب الشقاق الذى كان يضطرم بين قبائل البربر التى يتألف منها معظم الجيش ، وكان الكثير منهم يتوق الى الانسحاب مؤثرا النجاة بغنائمه الكثيرة ، ذلك أن المسلمين قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ، ونهبوا جميع كنائسها ، وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ، ولا يحصى من الذخائر ، والغنائم ، والسبى ..

فكانت هذه الاثقال النفيسة تحدث الخلل فى صفوفهم ، وتثير بينهم ضروب الخلاف والنزاع ، وكانت من الأسباب الرئيسية فى تغيير سير المعركة(١) .

---

(١) تظهر روح الصليبية واضحة من تعليق المؤرخين على نتيجة هذه =

اشتد ساعد نصارى الشمال بعد هذه المعركة ، وحذوا حذو الفرنج فى الاستفادة من تمزق الاســلام فى الأندلس . ونصارى الشمال هم تلك البقية الباقية من « القوط » الذين ارتدوا أمام الفتح الاسلامى الى ناحيــة الشمال ، واعتصموا « بجبال اشتوريش » وكان من أعظم أخطــاء الفاتحين أنهم لم يعنوا بالقضاء على تلك الفلول ، الى أن استفحل أمرها ، فكونت امارات ، ما لبثت ان اشتد ساعدها ، وأخذت تناهض الاسلام ، وتغالبه . وتعمل بكل ما وسعت لاسترداد الوطن القديم .

* * *

ويبدو للباحث أن المســلمين ارتكبوا عدة أخطــاء فى سياستهم فى الأندلس ، كان لها اثر بعيد المدى على انتشار الاسلام فى أوروبا ، واليهــا يرجع السبب فى ذهاب دولتهم من أسبانيا :

١ ــ شيوع الأنانية ، وحب الذات بين القادة والأمراء ، والحرص على الدنيا بين كثير من المســلمين . وظهر ذلك فى أول عهدهم بالأندلس ، تلمس ذلك حينما أمر موسى بن نصــير طارق بن زياد بالتوقف عن الفتح ، لكى لا ينسب الفتح كله الى طارق .

وكذلك فيما تلى ذلك من أحداث ، منها على سبيل المثال ، أن موسى أراد فيما بعد أن يخوض بجيشه سهول أوروبا وجبالها فاتحا ، حتى يصل الى دمشق من الطرف الآخر للقارة الأوروبية ، ولكن حال دون ذلك ، استدعاء الخليفة له ولطارق اثر الوشاية بهما فى بلاط دمشق ، وبذلك أسدل الستار على هــذا المشروع الخطير . واذا أردت المزيد من هــذه الأحداث التى أثرت على الاســلام والمسلمين فى الأندلس ، فاقرأ كتب التاريخ تنبئك عن خلافات أدت الى قتل وصلب بين المسلمين أنفسهم ، ارضاء للنفس الأمارة بالسوء ، واشباعا لشهوة الحكم .

=

المعركة ، واليك نموذجا منها يقول « السير ادوارد كريزى » : « ان النصر العظيم الذى ناله « كارل مارتل » على العرب سنة ٧٣٢ م وضع حدا حاسما لفتوح العرب فى غرب أوروبا ، وأنقذ النصرانية من الاسلام » ويقول : « ادوارد جيبون » متصورا النتائج لو انتصر العرب فى معركة « بواتيه » : « بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد « اكسفورد » ، وربما كانت منابرهــا تؤيد لمحمد صدق الوحى والرسالة » . ويقول : « ان هذه المعركة أنقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدنى والدينى ، وحفظت جلال رومة ، وأخرت استعباد « قسطنطينية » ، وشــدت بأزر النصرانية ، وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والفشــل » .

٢ ــ نشب الخلاف بين القبائل العربية التى ألفت رحلها فى الأندلس ، فعادت الى ما كانت عليه قبل الاسلام من التنافر ، والتناحر ، والتقاتل ، زاد عليه ما وقع من خلاف بين العرب والبربر ، فكان المجتمع الأندلسى يموج بخلافات عميقة ، واضطرابات عنصرية ، أدت الى قيام ثورات امتدت عبر تاريخ المسلمين فى الأندلس بين الأمراء والحكام وبينهم وبين الثائرين عليهم ، حتى قضى عليهم جميعا ، وبالتالى على الاسلام نهائيا فى أسبانيا . وليس غريبا أن تهزم النصرانية الاسلام فى الأندلس ، بل الغريب أن يصمد أمامها ثمانية قرون ، لأن الخلافات التى نشأت بين أبنائه من يوم قيام دولته فى الأندلس ، كانت كفيلة بأن تعجل بهزيمته فى فترة أقصر من ذلك بكثير ! !

٣ ــ شغلت هذه الخلافات المسلمين عن التفرغ النهائى للفلول القوطية التى فرت أمام الفتح ، واعتصمت بالجبال الشمالية ، وكونت الامارات النصرانية ، اذ لم يجرد المسلمون لها حملة للقضاء عليها نهائيا ، بل كانت الحرب بينهم ، وبين هذه الامارات ، لا تخرج عن كونها حملات تأديبية فقط ، ردا على عدوانهم على الثغور والحصون الاسلامية المتقدمة ، ثم تطور فيما بعد الى توازن بين الفريقين ، ينتصر المسلمون فى بعضها ، وينهزمون فى البعض الآخر : ولما دب الضعف فى أوصال المسلمين فى الأندلس رجحت كفة النصارى ، وأصبحوا يقتطعون الثغور ، ويستولون على المدن واحدة بعد الأخرى ، ولولا النجدات التى عبرت من شمال أفريقيا الى الأندلس لانتهت دولة الاسلام هنالك قبل سقوط غرناطة بقرنين على الأقل .

وقعت معارك كثيرة بين المسلمين والنصارى ، ولكننا سنكتفى بعرض موجز لثلاث فقط :

أولاها : تتعلق « بطليطلة » المدينة التى كان سقوطها بداية استرداد الأندلس من أيدى المسلمين ، وهى أيضا مسرح المناقشات التى أدت الى ظهور هذا الكتاب الذى نقدم له .

ثانيها : معركة « الزلاقة » ، لأنها دفعت الى الدم الاسلامى فى الأندلس جرعة جديدة أحيت شبابه ، فساعدته على الصمود بضعة قرون أخرى .

ثالثها : قرطبة لأنها آخر المعاقل الاسلامية فى الأندلس .

* * *

سقوط طليطلة :

اشتد النزاع بين ملوك الطوائف ، فصار كل منهم يتربص بالآخر ، للاستيلاء على ماتحت يده ، ويبذل كل ما فى وسعه للتغلب عليه وسحقه ،

ولو كان ذلك عن طريق محالفة ملوك النصارى أعدائهم جميعا ، فكانت النتيجة أن ضعفوا جميعا ، وعجزوا عن حماية أنفســـهم . واستغل ملك « جليقة » و « قشتالة » النصرانى ضعفهم ، ورأى أن الفرصــة سانحة لامتلاك بلدانهم ، وبسط سلطانه عليهم ، فأخذ يهاجم الثغور الاسلامية ، وينتزع المدن والحصـــون من أمرائها ، **ويفرض عليهم الجزية** . وكان ممن أخضعه وألزمه على دفع الجزية أمير « طليطلة » المأمون يحيى بن ذى النون .

واستمرت « طليطلة » تؤدى الجزية « لفرديناند » الأول ملك « قشتالة » حتى مات فقطعها أمير طليطلة مســـتغلا النزاع الــذى حـدث بين أولاد « فرديناند » ووقوع الحرب الأهلية بينهم .

هرب أحــد أولاد « فرديناند » ــ وهو الفونس ــ الى « طليطلة » مستجيرا بأميرها المأمون ، فأكرم وفادته وأنزله عنده عزيزا مكرما ، وعندما قتــل اخوه ، غادر « طليطلة » الى بلاده ، فاعتلى عرشـــها . واستغل « الفونس » الصـــداقة التى قامت بينه وبين المأمون ، فعقد حلفا معه ، تعاهدا فيه على الصداقة ، والتعاون المشترك .

واعتمد المأمون على هـــذه الصداقة ، فوجه حملة ضد خصمه المسلم ابن عباد فى قرطبة ، وكان جيشه يضم جنودا من القشتاليين النصارى ، فاستولى على قرطبة ، ولكنه لم يتمتع بالنصر طويلا ، اذ كان كبير السن ، فداهمه المرض ، ولم يكن له ابن ، فأوصى بالملك لحفيده القادر بن يحيى بن اسماعيل ، وكان قاصرا ، فأقام له مجلس وصاية ، من **صديقه الفونس ،** والحارس بن الحكم وبعض الولاة . ولكن هذه الثقة بحليفه لم تقع موضعها ، فنسى ملك قشتالة ايواء « طليطلة » له يوم أن كان طريدا ، وعطفها عليـــه ، ونسى صديقه المأمون يوم آمنه من خوف ، ولم يذكر العهود التى أعطاها لصديقه ، بأن يرعى الأمير القاصر ، ويحميه ، وأبت نفسه الا أن تشـــعر بشعور العرش ، ومصلحة وطنه ، ضاربا بكل العهود والمواثيق عـــرض الحائط ، فنجحت عنده مساعى ابن عمار وزير المعتمد ، فارتضى أن يحالف صاحب أشبيلية عدو الملك الذى هو وصى عليـــه ، وأن يعده بالمساعدة فى توسعه ، ومحاربة أمراء المسلمين ، ورضى ابن عباد أن يساومه على ابنـــاء ملته ، فيترك يده حرة تتصرف فى طليطلة ، ثم يؤدى له الجزية صاغرا ، لا يجد بها غضاضة فى سبيل مطامعه .

وبينما ابن عباد يزحف بجيشه الى غرناطة ، ليخضع صاحبها ابن باديس ، اذ « الفونس » يتهيأ لغزو « طليطلة » ، واحتلالهـــا عـــام ١٧٩ م وكانت قـــد ثارت على أميرهـــا القـــادر بن ذى النون ، لاكثاره فى فرض الضرائب ، ارضاء لشهواته وترفه . أو اشباعا لمطامع ملك قشتالة .

فجاء « الفونس » الى « طليطلة » متذرعا بحجة الدفاع عن حليفه ، فعاث فى ولايتها مخربا القرى والحصون ، ثم ارتد عنها عندما وصلته الأنباء ، بأن المنصور امير « بطليوس » خف لنجدتها . ثم عاد « الفونس » فى العام التالى ينشر الفساد فى بسائطهـا ، ويستولى على زروعها ، ويدق قلاعها . ومازال يوالى عليهـا غاراته فى كل عام حتى أضعفها ، وأنهك قواها ، وضيق عليهـا ، حتى أصيبت بالضيق والفاقة ، ثم سار اليها فى السنة السادسة متوجها الى العاصمة نفسها فحاصرها ، ومنع عنها كل صلة ومدد ، فاستغاثت المدينة بأمير « بطليوس » ، فأمدها بجيش على رأسة ولده المفضل ، ولكنه لم يصمد أمام قوات « الفونس » الســاحقة ، فانهزم مدحورا . ولم يبق للقادر أمل فى النجاة ، وكان الجوع يهدد المدينة ، فخشى أن يثور عليــه الشعب ويقتله ، فبعث الى « ألفونس » يطلب الصلح على أن يؤدى الجزية ، ويكون تابعا له ، فرفض « ألفونس » ، وطالبــه بفتح أبــواب المدينــة ، وتسليمها ، واعدا بأن يحافظ على أرواح المسلمين ، ومقتنياتهم ، وأن يترك لهم المسجد الجامع يصلون فيه ، والا يعارضهم فى دينهم وشرائعهم . وخيرهم فى البقاء أو الهجرة ، فمن أحب البقاء يؤدى الجزية ، كما يؤديها المسيحيون فى بلاد المسلمين ، ومن آثر الهجرة يسمح له بأن يحمل أمواله حيث يشــاء . وضمن للقــادر أن يدع له امارة بلنسية يتصرف فيها ، ولا يبخل عليــه بالمساعدة ، اذا احتاج الى الدفاع عنها .

وفى الخامس والعشرين من مايو ١٠٨٥ م (أول صفر ٤٧٨ هـ) دخل « ألفونس » السادس ملك « قشتالة » ، و « لاون » ، و « جليقة » ، « طليطلة » ، عاصمة « القوط » القديمة ، تتقدمه مواكب النصر ، وتحيط به مظاهر العظمة ، والأبهة والجلال . وبذلك انتزع من المسلمين احدى قواعد الأندلس الكبرى ، التى تتحكم فى استراتيجيتها ، اذ كان موقعها على نهر « التاجه » ، يعد من أقوى المواقع دفاعيا ، فكانت بذلك حصن الأندلس الشمالى ، والسد المنيع الذى يرد عادية النصرانية ، فجاء سقوطها ضربة شديدة لمنعة الأندلس وسلامتها .

وانقلب ميزان القوى القديم فبدأت قوى الاسلام تفقد تفوقها فى شبه الجزيرة ، بعد أن استطاعت أن تحافظ عليهـا زهاء أربعة قرون ، وأضحى تفوق القوى النصرانية أمر لا شك فيه . ومن ذلك الحين تدخل سياسة الاسترداد الأسبانية فى طور جديد قوى ، وتتقاطر الجيوش « القشتالية » لأول مرة منــذ الفتح الاســلامى ، عبر نهر « التاجه » الى أراضى الأندلس ، تحمل اليها أعلام الدمار والموت ، وتقتطع أشلاءها تباعا ، فى سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب .

* * *

معركة الزلاقة :

اغتر ملك « قشتالة » بعد سقوط « طليطلة » فتوغل فى أراضى المسلمين وزحف بجيوشه يضرب ولايات الأندلس ، فاستولى على « قورية » ، من بنى « الأفطس » ، وأغار على بسائط « أشبيلية » فأثخن فيها ، وأحرق قراها وحقولها ، ثم ارتد الى قلعة سرقسطة يريد فتحها ، فضرب حولها حصارا شديدا ، وأعمل الحديد والنار فى ولايتها فدافعت عاصمة الدولة الهودية عن نفسها دفاع المستميت المستبسل .. ولكن الأسبانيين ضيقوا عليها ، فراحت تستغيث بجاراتها المسلمة . غير أن ملوك الطوائف كانوا ضعافا متمزقين ، ينظرون الى المواقف منخلعة قلوبهم هلعا ، لا يستطيعون حراكا ، لأن الخلافات أنهكتهم ، وبددت قواهم .

أضحت الأندلس على وشك الفناء ، ولاح فى الأفق أن دول الطوائف المنهوكة ، الممزقة ، سوف تسقط تباعا فى يد عدوها القوى ، وساد الفزع والتوجس يومئذ جنبات الأندلس كلها ، حتى قال شاعرهم :

يا أهل الأندلس شـدوا رحالـكم　　فما المقـام بهـا الا مـن الغلط

السـلك ينثر من أطرافـه وأرى　　سلك الجزيرة منثورا من الوسط

من جـاور الشر لا يأمن بوائقـه　　كيف الحيـاة مع الحيات فى سفط

أدرك ملوك الطوائف أن الموقف خطير ، وأن الدائرة ستدور عليهم جميعا ولا يمكن لأحد منفردا أن يقف أمام هـذا العدو ، فلابد من الاتحاد كى يستطيعوا وقف توغله فى الأراضى الاسلامية .. فتداعوا الى مؤتمـر يعقدونه فى مملكة ابن عباد ، أعظمهم دولة ، فاجتمعوا فى « أشبيلية » ثم « قرطبة » واتفقوا على ضم جهودهم لدفع المغير ، وانقاذ « سرقسطة » بيد أنهم لم يكونوا واثقين بالنصر ، لمـا يعلمونه من ضعف قواهم ازاء القوات الأسبانية ، فاتجهوا بأبصارهم الى ما وراء البحر يستغيثون بالمرابطين ، وهم يومئذ فى عنفوان دولتهم ، وأميرهم يوسف بن تاشفين يبسط سلطانه على أمم المغرب من المحيط غربا حتى تونس شرقا ، وكان صاحب شوكة وسلطان ، يسيطر على شعب مخشوشن الأبدان ، يستطيب الحـرب والكفاح ، لم ينغمس فى الترف والملذات — كأهل الأندلس — لتخور عزائمه ، فيتقاعد عن القتال .

تلقى أمير المرابطين دعوة أمراء الطوائف فى الأندلس لنجدتهم ، فحشد جيشا قوامه خمسين ألفا فى « سبته » ، ثم اجتاز المضيق الى الجزيرة الخضراء

فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٩ هـ (اغسطس ١٠٨٦ م) وبعد استقبال الأمراء له ، واستعداد الجيوش للقتال جاءت الأنباء أن « ألفونس » زاحف بقواته الى « بطليوس » فنشط المسلمون الى ترتيب صفوفهم ومعسكراتهم ، وتولى أمراء الأندلس قيادة جنودهم .

خطب يوسف بن تاشفين وابن عباد فى أصحابهما ، وقام الفقهاء يحضونهم على الثبات ، ويحذرونهم من الفشل . ثم جاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الأربعاء ، فخرج المسلمون مبكرين ، وأخذوا مصافهم وأقبلت الجيوش الأسبانية بخيلها ، ورجلها ، تملأ الفضاء ، فنزلت على بضعة أميال من بطليوس ، فى سهل تتخلله الغابات يعرف باسم الزلاقة (Sacratias) وعسكرت تجاهها الكتائب الأندلسية ، يفصل بينهما نهر صغير .

أقام يوسف بن تاشفين معسكره وراء أكمة عالية ، منعزلا عن معسكر الأندلسيين ، فلما أخذت الجنود مواقعها ، أرسل زعيم المرابطين الى « ألفونس » ، يعرض عليه الدخول فى الاسلام ، أو تأدية الجزية ، أو مباشرة القتال ، ومن جملة ما قاله فى كتابه اليه :

« بلغنا يا « ألفونس » أنك دعوت الى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن يكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا ، فقد عبرنا اليك ، وقد جمع الله فى هذه الساحة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » .

فلما اضطلع « ألفونس » على مضمون الكتاب رماه الى الأرض غاضبا وقال للرسول :

« اذهب فقل لمولاك ، اننا سنلتقى فى ساحة الحرب » .

ولم يشأ العاهل الأسبانى أن يبدأ القتال دون أن يلجأ الى بعض الخدائع المعروفة عنه ، فأرسل الى يوسف بن تاشفين ، مقترحا عليه عدم البدء بالقتال غدا ، يوم الجمعة ، لأنه العيد الأسبوعى للمسلمين ، ولا السبت لأنه يوم اليهود ، وفى كلا المعسكرين كثير منهم ، ولا الأحد لأنه يوم النصارى ، واللقاء فى المعركة يكون يوم الاثنين .

استحسن الأمير المغربى هذا الاقتراح ، ولكن ابن عباد شك فى الأمر ، لأنه يعرف الكثير من مكائد « الفونس » ، فبعث عيونه بالليل يتجسسون حركات الأسبانيين ، فعادوا يخبرونه أنهم سمعوا ضوضاء الجيوش ، ورنين الأسلحة فبعث الى يوسف بن تاشفين يطلعه على الأمر ويستحث نصرته .

قسم « ألفونس » جيشه الى قسمين ، ودفع بالقسم الأول ، ليباغت الأندلسيين ، واذا بفرسان المرابطين يصدونهم ، ويكسرون هجومهم ، ولم يكن الأسبانيون ينتظرون هذه المفاجأة ، فارتدوا الى خط دفاعهم الثانى ، ثم أصلحوا أمرهم ، وعاودوا الكرة على المرابطين ، وحمل معهم « ألفونس » بسائر جيشه يخترق فرسانه المدرعون بالحديد الخطوط الأندلسية .. وكانت الحملة عنيفة ، لم يصمد امامها أمراء الأندلس ، فتراجعوا مقهورين ، ثم ركنوا الى الفرار ، فطاردهم المسيحيون ، الى أسوار « بطليوس » ، ولم يثبت فى الميدان الا فرسان « أشبيلية » وأميرهم ابن عباد والفرسان المرابطون ، وقائدهم داود ابن عائشة ، وأظهروا من ضروب البسالة ما يملأ النفس اعجابا ، فجاهدا بفرسانهما أروع جهاد ، حتى لم يبق أمل من الدفاع ، ارتدا بأصحابهما الى الأسوار ، ملتحقين بأمراء الأندلس الذين انهزموا فى بدء المعركة ، وتتبعهم « ألفونس » بالمطاردة ليجهز عليهم ، وظن أن الهزيمة لحقت بالمسلمين ، وأن يوسف بن تاشفين من جملة المندحرين .. وبينما هو غارق فى هذا الظن ، اذا بالصرخة تتعالى وراءه فى معسكره ، وقرع الطبول يتجاوب فى الهواء ، وكان زعيم المرابطين قد خرج بجنوده ، وانقض على معسكر الأسبانيين فأوقع بحاميته ، وأحرق الخيام ، واستولى على ما فيها من الذخائر والأسلحة .

ارتد « ألفونس » لينقذ معسكره ، ودارت بينه وبين يوسف بن تاشفين معركة حامية رجحت فيها كفة المسلمين ، فارتد المسلمون الذين انهزموا فى بدء المعركة وفيهم ابن عباد ، وداود ابن عائشة بفرسانهما ، فاشتدت عزائم المسلمين حين لاحت بوادر النصر لهم . وأطبقوا على الأسبانيين ، فحصروهم بين فكى الجيوش الاسلامية — يوسف بن تاشفين فى قواته من جانب ، والأمراء الأندلسيين من الجانب الآخر — وبدأت سيوف الاسلام تحصدهم من الأمام والوراء ، حتى دنت ساعة الغروب ، وكره يوسف بن تاشفين أن يأتى الظلام ، ويفصل بينه وبين النصارى دون أن يجهز عليهم ، فأمر فرقة من رجاله — وعدتهم أربعة آلاف — فترجلوا عن مطاياهم ، بأيديهم السيوف ، والدرق ، ومزاريق الزان ، فاقتحموا خيول الأسبانيين ، وأعملوا الطعن فى بطونها ، وصدورها ، فازورت بفرسانها ، وفرت من الميدان من الم الجراح .. وحملت جيوش المسلمين حملة صادقة ، فانهزم الأسبانيون ، واستمر القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير طويل العمر ..

خسر الأسبانيون أكثر جيوشهم فى هذه الموقعة ، وكذلك كانت خسارة المسلمين جسيمة ، لأن الضائقة لزمتهم معظم النهار ، بيد انهم وجدوا تعزية فى النصر البهيج ، فأقاموا مهرجان الفرح مساء يومهم ، وبعث المعتمد ابن عباد حمامة الى عاصمته تحمل رسالة البشرى لولده الرشيد ، فقرئت

على الناس فى المسجد الجامع ، واحتفلت « اشبيلية » بالنصر فى اليوم نفسه ، على ما بينها وبين « بطليوس » من البعد . وبات الجيش ليلته فى ميدان القتال حتى تنفس الصبح فصلوا صلاة الشكر لله العلى الجليل ، على ما وهبهم من النصر المبين .

وانتهت معركة « الزلاقة » بيوم واحد ، هو الجمعة ٢٣ ديسمبر ١٠٨٦م ، فدونت حدثا عظيما فى تاريخ الاسلام ، ولكنها لم تجتث الداء الذى سرى فى أوصال الأمة الاسلامية فى الأندلس ، فأضعفها ، وأنهك قواها ، ألا وهو الاختلاف على السلطة ، فقد كان الخلاف بين أبناء هذه الأمة فى تلك الظروف العصيبة يذهب الى حد التضحية بأقدس المبادىء وأسمى الاعتبارات ، وكانت وشائج القومية والدين ، والخطر المشترك ، كلها تغيض أمام الأطماع الشخصية الوضيعة . ذلك أن ملوك الطوائف توجسوا خيفة من أطماع يوسف ابن تاشفين فى الأندلس ، اذ كانوا يعتقدون أنه جاء لنجدتهم فقط ، فاذا انتهت هذه المهمة ، شد رحاله راجعا الى بلاده ، ولكنه أظهر بعد المعركة أنه لا يريد ترك الأندلس لهم فنشبت الخلافات بينهم وبينه ، فحال ذلك دون استرداد ما استولى عليه النصارى قبل ذلك ، ومنها « طليطلة » التى سبق الكلام عنها . غير أن دولة الاسلام بقيت فى الأندلس بقيادة المرابطين حتى عام ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) عندما انهارت دولتهم فى أفريقيا أمام الموحدين ، الذى جازوا على الأندلس ، وأخذوا يستولون على ثغورها ومدنها من المرابطين .

حافظ المسلمون على قوتهم فى الأندلس فى عصر الموحدين ، الى أن قضى بنو مرين على دولتهم فى أواخر عام ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) ، فانتهت دولة الموحدين فى المغرب ، كما انتهت فى الأندلس ، بعد أن عاشت زهاء قرن وثلث ، وقامت مكانها دولة بنى مرين تسيطر على أنحاء المغرب الأقصى كله ، وتستقبل عهدا جديدا من القوة والسلطان .

انهارت قوى المسلمين فى الأندلس بعد ذهاب دولة الموحدين ، بل قبل ذلك ، عندما دب الضعف فى أوصالها ، بالذات بعد احراز أسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحدين فى موقعة العقاب عام ٦٠٩ هـ . ومنذ ذلك الحين تجتاح أسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصرانى ، وتسقط قواعد الأندلس التالدة شرقا وغربا فى يد النصارى ، فسقطت جزيرة « ميورقة » (٦٢٧ هـ — ١٢٢٩ م) ، « وأبدة » (٦٣١ هـ — ١٢٣٣ م) ، ثم « قرطبة » (٦٣٣ هـ — ١٢٣٦ م) ، « وبياسة » « وأستجة » « والمدورة » (٦٣٤ هـ — ١٢٢٧ م) ، « وبلنسية » (٦٣٦ هـ — ١٢٣٨ م) « وشاطبة » « ودانية » (٦٣٨ هـ — ١٢٤٠ م) « ولقنت » « وأريولة » « وقرطاجنة »

(٦٤٠ هـ — ١٢٤٢ م) ، « ومرسية » (٦٤١ هـ — ١٢٤٣ م) ، « وجيان » (٦٤٤ هـ — ١٢٤٦ م) ثم « اشبيلية » (٦٤٦ هـ — ١٢٤٨ م) ، واجتاحت غرب الاندلس فى الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصرانى ، فسقطت « بطليوس » (٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) « ومادة » (٦٢٨ هـ — ١٢٣٠ م) «وشلب» (٦٤٠هـ — ١٢٤٢م) ، «وشنتمرية» الغرب (٦٤٧هـ — ١٢٤٩م) « وولبة » (٦٥٥ هـ — ١٢٥٧ م) ، ثم سقطت « قادس » فى سنة ١٢٦٢ م وتلتها « شريش » فى سنة ١٢٦٤ م ، وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجرى (القرن الثالث عشر الميلادى) حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها ، قد سقطت فى يد أسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الاسلامية بالأندلس سوى بعض ولايات صغيرة فى طرف أسبانيا الجنوبى .

وأخذت الأندلس عندئذ ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى ، وطافت بالأمة الأندلسية التى احتشدت يومئذ فى الجنوب فى بسيطها الضيق ، ريح من التوجس والفزع ، وعاد النذير يهيب بالمسلمين ، أن يغادروا ذلك الوطن الخطر الذى يتخاطف العدو أشلاءه الدامية ، وسرى الى الأمة الأندلسية شعور عميق بمصيرهم المحتوم .

ولكن شاء القدر أن يرجىء هذا المصير بضعة أجيال أخرى ، وشاء أن يسبغ على الدولة الاسلامية بالأندلس ، حياة جديدة فى ظل مملكة « غرناطة » ، تلك المملكة التى استطاعت أن تحافظ على قوة المسلمين نوعا ما فى الأندلس، حتى تكالبت عليها قوى النصرانية ، واستغاثت بالمسلمين فى الطرف الآخر ، ولكنهم لم يلبوا استغاثتها ، لضعفهم ، وانشغالهم عنها بأمورهم الداخلية ، فسقطت تحت سنابك خيل المعتدين .



سقوط غرناطة :

لم يبق فى أيدى المسلمين من الأندلس العربية بعد انهيار دولة الموحدين وسقوط « قرطبة » ، « وبلنسية » ، « واشبيلية » ، وسواها من المدن والقلاع ، الا مملكة « غرناطة » . ويشمل حكمها « كورة البيرة » (Elvire) ومنها قطر « لوشة » (Loja) على نهر « غرناطة » ، المعروف بنهر « شنيل » (Xcinuecar) ، وجبال « البشرات » (Alpujarras) « وبسطة » (Baza) ، وأشهر مدنها التجارية على ساحل البحر «مالقة» (Malaqu) « والمرية » (Aiméria) .

نشأت هـــذه الدولة فى ظل ظروف صعبة ، اذ كانت الحرب الأهلية قد مزقت الأندلس عقب انهيار دولة الموحدين ، فعمت الفوضى ، وكثر الفساد ولكن عزيمة محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى ، الملقب بابن الأحمر ، استطاعت أن تتغلب على كل عقبة فى تكوين تلك الدولة . ولعب موقعها الجغرافى ، والأحداث التى وقعت فى ذلك العصر دورا كبيرا فى قيامها وبقائها مدة مائتين وخمسين عاما أخرى بعد أن سقطت ولايات الأندلس فى يد النصارى ، ويمكن أن نلخص العوامل التى ساعدتها على الحياة هـــذه المدة فيما يلى :

١ ـــ الموقع الجغرافى ، ذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التى تقع فيما وراء نهر الوادى الكبير ، آخر الحواجز الطبيعية بين أسبانيا النصرانية ، وبين الأندلس المسلمة ، كانت أبعد المناطق عن متناول العدو ، وأمنعها ، وكانت فى الوقت نفسه أقربها الى الضفة الأخرى من البحر ، الى عـــدوة المغرب ، وشمال افريقيا ، حيث تقوم دول اسلامية شقيقة ، وحيث تستطيع الأندلس وقت الخطر انداهم أن تستمد الغوث والعون من اخوانها فى الدين ، وقد كان لها فى ذلك منذ أيام الطوائف أسوة .

٢ ـــ انشغل الملوك الأسبان عنها بمحاربة بعضهم بعضا ، واستمرت الحرب بينهم حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

٣ ـــ اعتاد الملوك الأسبان على ابتزاز أموال المسلمين ، فكانوا يجدون لذة فى ضرب الجزية عليهم ، واعتبارهم من أتباعهم ، فقد عاون ابن الأحمر ، النصارى ، فى الاستيلاء على ثغر « قادس » ، وبذل لهم ما اســـتطاع من العون المادى ، والأدبى ، ضد الأمراء المسلمين ، وذلك طبقا لاتفاق عقد بينه وبين ملك « قشتالة » يقضى بأن يترك ابن الأحمر ، يحكم مملكته ، وأراضيه باسم ملك « قشتالة » ، وفى ظله ، على أن يؤدى ابن الأحمر جزية ، سنوية ، قدرها مائة وخمســـون ألف قطعـــة من الذهب ، وأن يعـــاونه فى حروبه ضـــد أعدائه ! !

٤ ـــ كان المملكة مكتظة ـــ على ضيق مساحتها ـــ بالسكان ، لأن معظم المسلمين الذين هاجروا من الولايات الأندلسية ، التى احتلها النصارى لجأوا اليها ، واتخذوها مقرا ، فاجتمع فيها عدد كبير من المحاربين الشجعان ، كانت تستعين بهم فى رد عدوان النصارى ، عندما كانوا ينقضون عهـــد الأمان ، وكثيرا ما كان يحدث منهم ذلك .

٥ ـــ كانت اذا أحست بالخطر ، وشعرت بالخناق يضيق عليهـــا ، استصرخت ســـلاطين المغرب ، وفى مقدمتهم بنو مرين ، فيرسلون اليهـــا بالجنود الشجعان ، لرد المعتدين عن أرضها .

كان لهذه العوامل كلها أثر كبير فى بقاء مملكة « غرناطة » ، الى أن تغير الوضع الدولى آنذاك ، اذ استطاع البابا « اينوسان » الثالث ، أن يصلح بين الملوك الأسبانيين ، ويؤلف قلوبهم ، ويحثهم على محاربة المسلمين ، ودفع سقوط « قسطنطينية » فى الشرق فى أيدى العثمانيين سنة ١٤٥٣ م ، النصارى فى أوروبا ، على مساعدة ملوك اسبانيا ، للقضاء على الاسلام فى الأندلس .

أضف الى ذلك ما أصاب دولة بنى مرين من ضعف ، أعجزها عن تقديم المساعدة للمستغيثين بها من الأندلسيين ، ورافق ذلك تضعضع فى أحوال غرناطة من جراء خلافها الداخلى ، وانقسامها أحزابا تحترب ، وتتصارع ، ويفزع بعضها الى النصارى لمقاومة البعض الآخر ، فمهدوا السبيل للنيل منهم ، وتغلب العدو على مدنهم وقلاعهم . وكان من أخطر تلك الخلافات ما وقع فى قصر الحمراء من دسائس النساء ومكايدهن ، ذلك أن السلطان أبا الحسن عليا ابن الأحمر ، كان رجل لذات وشهوات ، فأهمل رعاية الجيش ، وأقدم على قتل كبار القواد ، ليأمن انتفاضتهم ، ثم سلم زمام الحكم لوزيره ، واحتجب فى قصره عن الناس ، ليتفرغ لنسائه وملاهيه ، فأغضب العامة والخاصة ، وتمخض الأمر عن اندلاع ثورة ، بايعت أخاه أبا عبد الله محمدا . الملقب بالزغل ، ونشبت الفتنة بين الأخوين ، ولكنها انتهت باخضاع الزغل .

غير أنه ما لبث أن نشأ خلاف ، أشد منه وأنكر ، خلاف بين الابن وأبيه ، ومنشؤه أن أبا الحسن وقع فى غرام جارية أسبانية ، أسلمت ، وتسمت بالثريا ، استولت على ارادته فحملته على أن يتزوجها ، وتبوأت عنده المنزلة الأولى ، فجعل ولاية العهد لبعض أولادها ، فاشتعلت الغيرة فى صدر زوجته عائشة وهى ابنة عمه السلطان الأيسر . ومازالت الثريا تحرض السلطان أبا الحسن على عائشة وولديها حتى أمر السلطان باعتقالهم . أثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية ، وولديها بعطفهم وتأييدهم ، فكان نذير الاضطراب فى المجتمع الغرناطى ، وانقسم الزعماء الى فريقين خصيمين ، فريق يؤيد الأميرة الشرعية وولديها ، وفريق يؤيد السلطان وحظيته ، واستأثر الفريق الأخير بالنفوذ مدى حين .

عمدت الأميرة عائشة الى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، فساعدوها على الفرار من السجن مع ولديها . اختفى الفارون حينا حتى قويت دعوتهم ، وانضم اليهم كثير من أهل « غرناطة » ، وكان اسم عائشة ، ورفيع خلالها ، وقصة فرارها الجرىء ، تثير أيما عطف واعجاب .

ظهر ولدها الفتى محمد أبو عبد الله فى وادى « آش » حيث مجمع عصبته وأنصاره وغلبت دعوته ، فنشبت الثورة فى « غرناطة » ، ولم يستطع أبوه

مواجهتها ، لسخط العامة على سياسته الداخلية ، ففر الى « مالقة » ، وكان بها أخوه الزغل .

جلس أبو عبد الله محمد مكان أبيه على عرش « غرناطة » فى أواخر عام ٨٨٧ هـ وأطاعته « غرناطة » ووادى « آش » ، وغيرهما ، ولم يبق غير « مالقة » والناحية الغربية تحت نفوذ أبيه .

التقى الابن والأب فى معارك طاحنة ، واضطرمت نار الحرب الأهلية بين المسلمين ، وكان ملك « قشتالة » يرقب الأحداث ، فلاحت له الفرصة للغزو ، ورأى أن الوقت قد حان للقضاء على آخر معقل للاسلام فى الأندلس ، تنفيذا لبعض شروط عقد الزواج المعقود بين « فرديناند » ملك « أرجوان » ، « وايزابيلا » ملكة « قشتالة » التى تنص على ادماج مملكتيهما فى مملكة واحدة ، لتحارب المسلمين وتخرجهم من أسبانيا .

قصد المسيحيون « مالقة » ، « وبلش » فى نحو ثمانية آلاف ، فقاومهم الزغل وأوقع بهم خسائر فادحة ، ولما علم أبو عبد الله أن عمه أحرز نصرا على النصارى ، أحب أن يكون له قسط من الجهاد الوطنى والدينى — وكان يقاتل قوات أبيه فى ذلك الحين وتغلب عليها — فحشد قواته ، وخرج لقتال الأسبانيين ، فتجمع عليه الأسبان ، فهزموه ، وأخذوه أسيرا .

أجمع أمراء « غرناطة » على ارجاع والده ، وكان قد ذهب بصره ، فرفض أن يقوم بأعباء الملك ، وهو على هذه الحال ، فأشار عليهم أن يبايعوا أخاه الزغل ، فبايعه الأندلسيون ، وقدموا له فروض الطاعة .

خاض المسلمون بقيادة الزغل معارك طاحنة ضد النصارى الذين اغاروا على غرب « مالقة » فى عام ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) وحاصروا « رندة » ،وهدموا أسوارها . وفى أثناء ذلك ، أراد « فرديناند » أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويستفيد من شقاقهم وتحاربهم ، فبعث الى عبد الله — وهو أسير عنده — فحضر اليه ، واتفق معه على أن يطلق سراحه ، ويساعده على استرداد عرشه من عمه ، وأمده بالجنود والمال اللازم ، فثار عبد الله يطلب العرش ، وانضم اليه أهل « البيازين » ، وهو حى من أقدم أحياء « غرناطة » ، يتفشى الجهل بين سكانه ، وتبعهم بعض أهل « غرناطة » ، بدعوة أنهم يرجون الصلح مع المسيحيين على السلطان الأمير أبى عبد الله ، لما رأوا من عطف القشتاليين عليه ، فوقعت الفتنة بين المسلمين .

ثم جاء السلطان أبو عبد الله الى « لوشة » ، فظن أهلها أنه أتى لمصالحة عمه الزغل ، واذا صاحب « قشتالة » يدهم « لوشة » بجيش كثيف فيحاصرها ، فخف أهل « البيازين » الى نصرة السلطان أبى عبد الله ، ولكنهم

ما لبثوا أن تبين لهم أنه كان على اتفاق مع الملك الأسبانى ففتحت « لوشة » أبوابها « لفرديناند » عام ٨٩١ هـ ، وهاجر أكثر أهلها الى غرناطة ، أما عبد الله ، فبقى مع الأسبانيين ، فصدقت شائعة تحالفه معهم .

استمر « فرديناند » فى محاربة الزغل ، فأخذ منه حصونه وقلاعه واحدة بعد الأخرى ، وهو يظهر الصداقة لأبى عبد الله ، ويدعى مناصرته على عمه ومنافسه فى الملك .

وكان غرضه الرئيسى عزل « غرناطة » عن جميـــع المـــدن والولايات الاسلامية فيسهل عليـــه امتلاكها اذا حاصرها ، ويحول دون وصول النجدات اليها ، ولا يخفى ما فى هـــذه الخطة من دهاء وحسن تدبير .

وعندما سقطت أمام « فرديناند » جميـــع الحواجز التى كانت تعوق زحفه الى « غرناطة » كتب الى عبد الله يستنزله عنها ، واعدا اياه بأن يضعه تحت حمايته ، ويعطيه مالا جزيلا ، ولكنه لم ينتظر الجواب ، بل دلف اليه بجنوده لينجز الأمر سريعا .

جمع أبو عبـــد الله أعيان المدينة وقوادها ، وأطلعهم على كتـــاب « فرديناند » فأجمعوا رأيهم على الجهاد ، فأرسل عبد الله الى فرديناند يبلغه رفض طلبه واستعداده لقتاله .

نزلت قوات « فرديناند » أمام المدينة ، وضربت الحصار حولها ، وأمرت « ايزابيلا » زوجة « فرديناند » ببناء مدينة مقابلة لها ، لأنها رأت أن الحصار ســـيطول ، فبنيت المدينـــة ، وأطلق عليهـــا « شنتفى » (Sante - Fe) أى الايمان المقدس .

صبرت « غرناطة » على الحصار ، وقصف مدافع العدو ، ولكن المؤونة لم تكن تكفيها سوى مدة قصيرة ، وليس لها باب مفتوح الا من ناحية جبل « شلير » تأتيها منه المؤونة رشحا ، لوعورة المسالك ، فكان الضيق يدفـــع أهلها حينا بعد آخر الى ترك الأسوار والحصون ، لمنازلة العدو ، فتقع معارك دامية ، يستبسلون فيها مقاتلين قتال الضوارى ، فيسيل مرج « غرناطة » دما ، ويكتسى بالجثث والسهام . ولما اشتد الجوع على المسلمين ، دعا السلطان أبو عبد الله رجال الدولة وأهل المشورة يستطلع آراءهم فيما ينبغى عمله ، فاتفقوا على اسلام البلد حفاظا على النفوس أن تهلك حيث لا يجدى الهلاك ، فاختاروا وفدا من رؤساء الجند للمفاوضة ، فخرجوا الى معسكر الأسبانيين ، فاستقبلهم « فرديناند » و « ايزابيلا » بحفاوة ، فعرضوا عليهما اســـلام العاصمة ، على شروط الأمان للمسلمين ، فقبل العاهلان دون تردد ، أن

نفتح المدينة أبوابها صلحا ، ووضعت معاهدة الاستسلام ، وهى تتضمن سبعة وستين شرط منهـــا :

لا يجوز للجنود المسيحيين أن يدخلوا المســـاجد ، الا باذن من الفقهاء وتبقى المســـاجد والأوقاف كما كانت ، ولا يمنع مؤذن ، ولا مصل ، ولا صائم عن أموره الدينية ، وكل مسيحى يضحك منهم فى أثناء اقامة شعائرهم يعاقب . لا يقسر من أســـلم من النصارى على الرجوع الى دينه ، أما من تنصر من المسلمين ، فانه يوقف أياما ، حتى يظهر حالة ، ويحضر له حاكم من المسلمين وآخـــر من النصـــارى ، فان أبى الرجـــوع الى الاســـلام يترك علـــى ما أراد ... الخ .

وقع « فرديناند » و « ايزابيلا » على هـــذه الشروط ، ثم وقع على التسليم أبو عبـــد الله فتوقفت الأعمال الحربية فى ديسمبر ســـنة ١٤٩١ م (صفر ٨٩٧ هـ) وفى ٢ يناير ســـنة ١٤٩٢ م (٢ ربيع الأول ٨٩٧ هـ) فتحت « غرناطة » أبوابها ، ودخلها الملكان الكاثوليكيان فى موكب حافل ، فساروا الى الحمراء ، بعد أن غادر قلعتها أبو عبد الله ، مجتازا ساحة الأسود ، كسيرا ، مختلع الفؤاد ، يسير مطرقا الى منفاه وبجانبه أمه عائشة صامتة ، قاطبة ، والناس وقوف فى الشوارع والشرف ، يشيعونه بأنظارهم منقبضين ، ما بين راحم ، وناقم ، حتى اذا انعطف به الطريق ، وكادت الحمراء تتوارى عنه ، أرسل اليها النظرة الأخيرة ، وهطلت عيناه بالدموع ، فالتفتت اليه أمه ، وقالت له بحرارة الشامت المتألم :

ابك مثل النســـاء ملكا مضاعا   لم تحافظ عليـــــه مثل الرجال

وهكذا سقط آخر معقل من معاقل الإســـلام فى الأندلس ، وضاعت دولة المسلمين هناك الى الأبد ، ولم يبق الا تاريخها ، عبر لمن تدبر ، وتعلم ، وأنات الشعراء الذين رثوها ، تهيج مشاعر المسلمين ، وتذكرهم بما حدث لاخوانهم فى الأندلس ، فيأخذون حذرهم ، حتى لا يلقوا نفس المصـــير ، واليك أبيات من هـــذا الرثاء :

فواحسرتا كم من مســـاجد حولت   وكانت الى البيت الحرام شطورها

وواأسفا كم من صوامع أوحشت   وقـــد كان معتاد الأذان يزورها

فمحرابها يشـــكو لمنبرها الجوى   وآياتها تشـــكو الفراق وسورها

وكم طفلة حســـناء فيها مصونة   اذا أسفرت يسبى العقول سفورها

فأضحت بأيدى الكافرين رهينـــة   وقد هتكت بالرغم من ســـتورها

وكم فيهم من مهجـة ذات ضجـة ... تود لو انضمت عليهـا قبورها
لهـا روعة من وقعـة البين دائم ... أسـاها وعين لا يكف هديرها
وكم من صـغير فى حجر أمـه ... فأكبادها حـراء لفح هجـيرها
وكم من صـغير بدل الدهر دينه ... وهل يتبع الشيطان الا صـغيرها

* * *

(٢)

نشبت معارك كلامية — بجانب المعارك العسكرية — حول الاسلام والمسيحية وتعاليم كل من الدينيين ، وكانت تشـتد فى المدن التى يسيطر عليهـا المسيحيون ، وفيها بعض المسلمين الذين اختاروا البقاء فى الوطن الذى نشأوا فيه . فكانت ، هـذه الطائفة هدفا لهجوم منظم من جانب رجال الدين المسيحى ، طبقا لخطة وضعت لتنصيرهم ، فكانت تعاليم الاسـلام موضوع المحاورات ، والمناقشات آلتى تدور بين القسس وبينهم .

ومن مظاهر ذلك النقاش الكتاب الذى نقدم له ، فقد اعتاد قسيس من الأسبان . أن يلقى أسئلة على بعض المسلمين فى مدينة « طليطلة » — بعد سقوطها فى يد النصارى — كى يضعف من عقيدتهم ويخلخل ايمانهم ، ولم يكن هؤلاء المسلمون على قدر من الثقافة الدينية ، تمكنهم من الرد عليـه ، ولكن غيرتهم على الدين دفعتهم الى البحث عمن يستطيع مدهم باجابة ، تفحم هذا القسيس ، فوجدوا أبا عبيدة الخزرجى(١) . وكان شـابا كثير الاطلاع ، فكان يمدهم بالاجابة التى يردون بها أسئلة القسيس .

---

(١) هو أبو جعفر أحمـد بن عبد الصمد بن أبى عبيدة (بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة) بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الحق الأنصارى الخزرجى الساعدى (نسبة الى سعد بن عبادة الصحابى) ، فقيه أندلسى .

ولد فى قرطبة عام ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) كان مشهورا فى شبابه بالذكاء والنبل ، حافظا للحديث ، ملما بالتواريخ والقصص متينا فى الأدب .

تذكر المصادر أنه شـارك بوجه ما فى الفتن التى انتابت قرطبة فى عامى ٥٣٩/٥٤٠ هـ (١١٤٥/١١٤٦ م) وأسر سـنة ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) ، =

. . . .

=

وبقى أسيرا فى طليطلة الى سـنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) . وفى هـذه الفترة ألف هـذا الكتاب ، وهو ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سـنة .

ولا نعلم شيئا عنه بعد هـذا التاريخ سوى أنه عاش حياة متقلبة ، فسكن غرناطة مدة ، وبجاية أخرى ، ثم استوطن مدينة فاس ، وأنه كف بصره فى آخر عمره ، وتوفى بفاس عام ٥٨٢ هـ (١١٨٧ م) .

وله غير هـذا الكتاب :

ــ « آفاق الشموس وأعلاق النفوس » .

ــ « أشراق الشموس » وهو مختصر لـ « آفاق الشموس .. » .

ــ « نفس الصباح » فى غريب القرآن وناسخه ومنسوخه .

ــ « حسن المرتقق فى بيان ما عليه المتفق فيما بين الفجر وقبل الشفق » .

ــ « قصد السبيل فى معرفة آيات الرسول » .

ــ « مقام المدرك فى افحام المشرك » .

لكن لم يصلنا منها سوى هذا الكتاب الذى نقدم له .

وينسبه البعض الى قرطبة ، مسقط رأسه ، فيقولون : القرطبى وقد ظهرت الطبعة الأولى من هـذا الكتاب بهذا الاسم ، فظن الدارسون أنه القرطبى المفسر المتوفى (٦٧١ هـ ــ ١٢٧٣ م) ، ولم يعرفوا أن هناك أكثر من عالم ، اشتهر باسم القرطبى : منهم :

القرطبى : البيانى ، المتوفى فى عام ٢٧٦ هـ ــ ٨٩٠ م ، وهو من أعلام الفقهاء والمحدثين .

والقرطبى : محمـد بن أحمـد ، المتوفى عام ٣٨٠ هـ ــ ٩٩٠ م ، وهو قاض محدث .

والقرطبى : عبد الرحمن بن حسن ، المتوفى عام ٤٤٦ هـ ــ ١٠٥٤م ، وكان عالمـا بالقراءات .

والقرطبى : عبد الوهاب بن محمد ، المتوفى عام ٤٦١ هـ ــ ١٠٦٩ م ، وكان عجبا فى تحرير القراءات .

=

أدرك القسيس ذلك ، فكتب الى أبى عبيدة كتابا ، يدعوه فيه الى اعتناق المسيحية ، مبينا له — من وجهة نظره — فضائلها ، ومساوىء الاسلام — كما يدعى — فرد عليه أبو عبيدة بكتاب ، رد فية على مزاعمه ، شارحا ما حرفوه من دين الله .

ومن الموضوعات التى دار حولها النقاش :

التثليث عند النصارى .

صلب المسيح .

مشكلة الخطيئة الأولى .

معجزات عيسى عليه السلام .

معجزات الحواريين .

طبيعة المسيح .

خوارق العادات التى تظهر فى الكنائس .

الشرائع فى التوارة والانجيل .

الطلاق فى المسيحية .

تعدد الزوجات فى اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام .

القتال فى الأديان الثلاثة .

تحريف التوراة والانجيل .

الجزاء الأخروى فى الأديان الثلاثة .

=

والقرطبى : ابن عبد البر ، المتوفى عام ٤٦٣ هـ — ١٠٧١ م ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخا وأديبا ، وله مؤلفات كثيرة فى مختلف الفنون من تاريخ ، وفقه ، وحديث وغيرها .

والقرطبى : أحمد بن عمر ، المتوفى عام ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م ، فقيه مالكى ، من رجال الحديث .

وغيرهم : ولذا حذفت النسب الى قرطبة من أبى عبيدة ، حتى لا يختلط الأمر على القارىء .

وأورد أبو عبيدة فى رده على القسيس كثيراً من نصوص الكتاب المقدس الذى يقسمه المسيحيون الى قسمين :

قسم منها : يدعون أنه وصل اليهم بواسطة الأنبياء الذن كانوا قبل عيسى عليه السلام ، والآخر يزعمون أنه كتب بالالهام بعد عيسى عليه السلام ، ومجموع الكتب من القسم الأول يطلقون عليها اسم : العهد القديم ، والقسم الثانى يسمونه : العهد الجديد ، ومجموع القسمين يطلقون عليه « بيبل » ، وهو لفظ يونانى بمعنى الكتاب ، وهو الاسم المعروف به الكتاب المقدس فى اللغات اللاتينية .

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين كتابا :

١ — سفر التكوين ، ويسمى : سفر الخليقة أيضا .

٢ — سفر الخروج ٣ — سفر الأحبار ، ويسمى : سفر اللاويين أيضا .

٤ — سفر العدد ٥ — سفر التثنية ، ويسمى : سفر الاستثناء أيضا .

ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة ، وهو لفظ عبرانى بمعنى التعليم والشريعة . وقد يطلق اسم التوارة على مجموع كتب العهد القديم كلهــا مجازا .

٦ — كتاب يشوع (يوشع) بن نون ٧ — كتاب القضاة .

٨ — كتاب راعوث . ٩ — سفر صموئيل الأول .

١٠ — سفر صموئيل الثانى . ١١ — سفر الملوك الأول .

١٢ — سفر الملوك الثانى . ١٣ — السفر الأول من أخبار الأيام .

١٤ — السفر الثانى من أخبار الأيام . ١٥ — سفر عزرا .

١٦ — سفر نحميا . ١٧ — كتاب أستير .

١٨ — كتاب أيوب . ١٩ — المزامير (الزبور) .

٢٠ — أمثال سليمان . ٢١ — كتاب الجامعة .

٢٢ — كتاب نشيد الانشاد . ٢٣ — كتاب أشعياء .

٢٤ — كتاب أرمياء . ٢٥ — مراثى أرمياء .

٢٦ — كتاب حزقيال . ٢٧ — كتاب دانيال .

٢٨ ـ كتاب هوشع .   ٢٩ ـ كتاب يوئيل .
٣٠ ـ كتاب عاموس (أو عاموص)   ٣١ ـ كتاب عوبديا .
٣٢ ـ كتاب يونان .   ٣٣ ـ كتاب ميخا .
٣٤ ـ كتاب ناحوم .   ٣٥ ـ كتاب حبقوق .
٣٦ ـ كتاب صفنيا .   ٣٧ ـ كتاب حجى .
٣٨ ـ كتاب زكريا .   ٣٩ ـ كتاب ملاخى .

وكان ملاخى النبى ، قبل ميلاد المسيح بنحو اربعمائة وعشرين سنة .

وهذه الكتب كانت مسلمة عند جمهور القدماء المسيحيين ما عدا كتاب استير ، والسامريون لا يسلمون منها آلا سبعة كتب :

الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام ، وهى المعروفة باسم التوراة ، وكتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة . وتخالف النسخة توراتهم نسخة توراة اليهود .

وهناك كتب أخرى لم يعترف بها ، واستبعدت من نسخة العهد القديم الموجودة بين أيدينا ، وهذه الكتب هى :

١ ـ كتاب باروخ   ٢ ـ كتاب طوبيا   ٣ ـ كتاب يهوديت
٤ ـ كتاب وزدم   ٥ ـ كتاب ايكليزيا ستكيس ٦ ـ كتاب المقابيين الأول
٧ ـ كتاب المقابيين الثانى .

أما العهد الجديد ، شعشرون كتابا :

١ ـ انجيل متى .   ٢ ـ انجيل مرقس .
٣ ـ انجيل لوقا .   ٤ ـ انجيل يوحنا .

ويقال لهذه الأربعة الأناجيل . ولفظ الانجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة ، وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب كان فى الأصل اليونانى (أنكليون) بمعنى البشارة والتعليم[1] .

---

(١) وهذه هى الأناجيل الأربعة التى اعترفت بها الكنيسة ، بعد ان اختارتها من عدد كبير من الأناجيل ، وأصدرت قرارا باعدام ما عداها واتخذت اجراءات صارمة فى تنفيذ هذا القرار ، حتى لم يبق منها سوى انجيل برنابا .

٥ ــ كتاب أعمال الرسل (الحواريون) ٦ ــ رسالة بولس الى أهل رومية .

٧ ــ رسالته الأولى الى أهل كورنثوس ٨ ــ رسالتة الثانية اليهم .

٩ ــ رسالته الى أهل غلاطية . ١٠ ــ رسالته الى أهل افسس .

١١ ــ رسالته الى أهل فليبى . ١٢ ــ رسالته الى أهل كولوسى .

١٣ ــ رسالته الأولى الى أهل تسالونيكى ١٤ ــ رسالته الثانية اليهم .

١٥ ــ رسالته الأولى الى تيموثاوس ١٦ ــ رسالته الثانية اليه .

١٧ ــ رسالته الى تيطس . ١٨ ــ رسالته الى فليمون .

١٩ ــ رسالته الى العبرانيين . ٢٠ ــ رسالة يعقوب .

٢١ ــ رسالة بطرس الأولى . ٢٢ ــ رسالة بطرس الثانية .

٢٣ ــ رسالة يوحنا الأولى . ٢٤ ــ رسالته الثانية .

٢٥ ــ رسالته الثالثة . ٢٦ ــ رسالة يهوذا .

٢٧ ــ رؤيا يوحنا(١) .

---

(١) شك المسيحيون فى صحة بعض كتب العهدين ، ثم اعترفت مجالسهم بها ، ثم عادت بعض الفرق ونقضت هذا الاعتراف ، فقد انعقد مجلس علماء المسيحية فى عهد « قسطنطين » فى بلدة « نائس » عام ٣٢٥ م لبحث مسألة الكتب المشكوك فيها فقرروا بعد المشاورة : أن كتاب «يهوديت» واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكا فيها كما كانت . ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى مجلس « لوديسيا » فى عام ٣٦٤ م ، فأبقى حكم المجلس الأولى فى كتاب « يهوديت » على حالة ، وزاد علية سبعة كتب أخرى ، وجعلها واجبة ، وهى هــذه :

١ ــ كتاب أستير .

٢ ــ رسالة يعقوب .

٣ ــ الرسالة الثانية لبطرس .

٤ ــ الرسالة الثانية ليوحنا .

٥ ــ الرسالة الثالثة ليوحنا .

٦ ــ رسالة يهوذا .

=

اعتمدنا فى التحقيق على ثلاث نسخ :

الأولى : مخطوطة مكتبة أحمد الثالث ، باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ ، وعدد أوراقها ٩٢ ، بكل ورقة صفحتان وعدد سطور الصفحة ١٥ ، ومتوسط

=

٧ ــ رسالة بولس الى العبرانيين .

بقى كتاب مشاهدات « يوحنا » فى هذين المجلسين خارجا مشكوكا فيه كما كان . ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر فى عام ٣٩٧ م وكان عدد المجتمعين ١٢٧ من العلماء المشهورين فأبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله ، وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

١ ــ كتاب وزدم .
٢ ــ كتاب طوبيا .
٣ ــ كتاب باروخ .
٤ ــ كتاب ايكليزيا ستيكس .
٥ ، ٦ ــ كتابا المقابيين .
٧ ــ رؤيا يوحنا .

لكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب « باروخ » بمنزلة جزء من كتاب « أرميا » لأن « باروخ » كان بمنزلة النائب والخليفة « الأرميا » ، ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس : مجلس « ترلو » ، ومجلس « فلورنس » ، ومجلس « ترنت » وعلماء هذا المجلس الأول أبقوا حكم المجلس المنعقد فى عام ٣٩٧ م ، على حاله ، لكن أهل المجلسين الأخيرين كتبوا اسم كتاب « باروخ » فى فهرست أسماء الكتب على حدة . فبعد انعقاد هذه المجالس ، صارت هذه الكتب المشكوك فيها ، مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقيت هكذا حتى ظهرت فرقة (البروتستانت) فى القرن السادس عشر الميلادى ، فرد علماؤها حكم هؤلاء الأسلاف فى :

كتاب « باروخ » ، وكتاب « طوبيا » ، وكتاب « يهوديت » ، وكتاب « وزدم » ، وكتاب « ايكليزيا استكس » ، وكتابى المقابيين ، وقالوا : ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة .

(راجع : رحمة الله الهندى ج ١ ص ٥١ ــ ٥٥) .

عدد كلمات السطر سبع وهى بخط جيد ، الا أن بعض كلماتها غير واضحة ، عجزت عن قراءتها ، ولم يسعفنى الاهتداء اليها الا النسختين الأخيريين . وقد حصلنا على نسخة مصورة لها ، من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة . وعنوان الكتاب فى هـــذه المخطوطة : « مقامع هامات الصلبان ، ومراتع روضات الايمان » .

وتاريخ نسخها القرن التاسع الهجرى ، ولم يذكر ناسخها شيئا عن نفسه ، ولا عن النسخة التى نقل عنها ، بل أضاف تذييلا بدأه بقوله : قال المراجع : ليعلم كل بصيرة .... الخ . وقد رمزنا لها بالحرف « ج » .

الثانية : المخطوطة الموجودة فى المكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم ٢٠٦٣ وهى بخط مغربى ، صعب القراءة ، وتقع فى ٤٦ ورقة تضم الورقة صفحتان ، وعدد سطور الصفحة ٢٣ سطرا متوسط عدد كلماته تسع كلمات وعنوان الكتاب فى هـــذه المخطوطة :

« كتاب مقامع الصلبان فى الرد على عبدة الأوثان » .

غير أنه ذكر فى هامشها أنه سمى أيضا بروضات الايمان ، وبهذا يتفق مع نسخة « ج » وقد ذكر ناسخها اسمه ، وتاريخ النسخ قال :

« انتهت الرسالة المباركة بحمد الله ، وحسن عونه ، وتوفيقه ، وتأييده يوم الأربعاء للسابع والعشرين خلون من ذى الحجة الحرام ، متمم شهور سنة ١٢٨٠ ، ثمانين ومائتين وألف . على يد العبد الفقير ، المقر بالعجز والنقص ، الراجى من مولاه الحليم الستار ، تخفيف الذنوب ، والأوزار ، عبده وأقل عبيده ، محمد بن على عمار(١) التونسى الدار ، التميمى ، غفر الله له ولوالديه ، ولمشـــايخه ، ولجميع المســـلمين والمســـلمات ، الأحياء منهم والأموات ، بجاه صاحب المعجزات ، صلى الله عليـــه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وســـلم تسليما » .

---

(١) هو عالم من أهل تونس ، قدم الى مصر ، وجعل ناظرا لمســـجد أبى الذهب ، وأوقافه ، واتصل بابراهيم باشـــا ، فكان يعلم أولاده العربية ، وكان عالمـــا ذكيا درس فى الأزهر ، وحسنت حالة ، ولمـــا مات ابراهيم باشا نفاه الخديوى عباس ، فذهب الى الحجاز ، ثم رحل الى القسطنطينية ، فمات فيهـــا عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) .

من كتبه : « تعديل المرقاة وجلاء المرآة ـــ خ » ، « وحاشية على مرآة الأصول لملا خسرو » . (الزركلى ـــ الاعلام) .

وقد رمزنا لها بالحرف « ت » .

الثالثة : نسـخة طبعت بمصر عام ١٣١٦ هـ بدون تعليقات ، وهى بعنوان :

« الفاصل بين الحق والباطل » .

ولم تنسب الى أبى عبيدة ، بل ذكر ناشرها تحت العنوان :

يتضمن

« حجة عز الدين المحمدى على حنا مقار العيسوك » .

ونصه هو نص النسختين السابقتين ، غير أنه يختلف عنهما فى بعض الأشـياء .

أولا : اختلفت مقدمته عن مقدمتها اذ جاء فيها :

« اننى فى سنة الف وثلثمائة من الهجرة ، كنت رأيت كتابا عربيا طبع ببلاد أوروبا اسمه « رسائل الكندى » يقول طابعه أنه وجد فى أحد المساجد القديمة(١) . وهذا الكتاب يشتمل على رسالتين :

---

(١) ليس من المحتمل أن يكون قصده « رسائل الكندى الفلسفية » التى احتوت على :

— رسالة فى أنه لا تنال الفلسفة الا بعلم الرياضيات .

— رسالة فى مدخل المنطق .

— رسالة فى المقولات العشر .

— رسالة فى المناظر الفلكية .

— رسالة فى الغذاء والدواء المهلك .

— رسالة فى أن النفس جوهر بسـيط .

— رسالة فى ما للنفس ذكره ، وهى فى عالم العقـل قبل كونهـا فى عالم الحس .

— رسالة فى الأخـلاق .

لأنه لا يوجد بينها ما أشار اليه ناشر كتاب « الفاصل بين الحق والباطل » من تبادل رسالتين بين مسيحى ومسـلم .

=

الأولى من مسلم يدعو صاحبه المسيحى الى دين الاسلام .

والثانية رسالة من المسيحى يرد فيها على رسالة المسلم ردا مطولا . وبعد اطلاعى على ذلك الكتاب ، وفهم مبادئه وغاياته ، كنت عزمت على أن أرد عليه ، وان كنت لست من رجال هذا الميدان ، ولكن الصدفة أحيانا تفعل ما لا يفعله القاصد ، فانى عثرت على كتاب قديم فى أحد المعابد القديمة اسمه « الفاصل بين الحق والباطل » فأخذته ، وبعد اطلاعى عليه مع التأمل ، أعجبنى ، واكتفيت به عما كنت عزمت عليه ، لأننى وجدته عكس رسائل الكندى . أعنى يحتوى على رسالتين :

الأولى : من مسيحى اسمه « حنا مقار » يدعو صاحبه المحمدى واسمه : « عز الدين » الى النصرانية .

والثانية : من المحمدى يرد فيها على المسيحى ردا شافيا . ولذلك قد صرفت فراغى فى **اصلاح ما أفسده الزمان من ذلك الكتاب ، وتصحيح ما فعله تقادم العهد عليه . وها أنذا الآن** انشره لاخوانى ذوى العقول من نوع الانسان على العموم ، ليس فى ذلك غاية ، سوى ما فى الزوايا من الخبايا ، ولكل مقام مقال .

قال عز الدين المحمدى :

« دخلت مصر فى أمر عرض على ، فاتفق اجتماعى « بحنا مقار » وهو أحد مشاهير النصارى ، وأوائل أفاضلها ، فتحدثت معه ، واستحسن حديثى . فتصاحب معى ، وتردد الى ، وقصد ترغيبى فى دينه ، فتباحث معى يوما فى أمر دين النصرانية ، فقلت له بحضرة جماعة من العدول : أنا لا اكلف النصارى اقامة دليل على صحة دينهم ، بل أطالبهم كلهم أن يصوروا دينهم تصويرا يقبله العقل فاذا صوروه ، اكتفيت بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته . فحاول هو فى نفسه تصوير دينهم ، فعجز عنه . فلما عجز ،

=

أما ما عرف باسم : « رسالة الهاشى ورد الكندى عليها » وهى رسالة عبد الله اسماعيل الهاشمى الى عبد المسيح بن اسحق الكندى ، يدعوه فيها الى الاسلام ، ورسالة عبد المسيح الى الهاشمى يرد بها عليه ويدعوه الى النصرانية ، فقد أثبت البكرى — فى مقال نشر فى العدد الأول من مجلة كلية الآداب سنة ١٩٤٧ م — أنهما رسالتان موضوعتان ، وضعهما السريان فى عصر متأخر ، وزعموا وقوع هذه المساجلة فى عصر المأمون . (الرد الجميل ص ٦٤) .

قال : ما كلفنا بالتصوير ، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لا يلزمنا ، وما ليس من ديننا ، وجنح الى القول بالتقليد ، وعدم النظر فيما يصح ويفســـد .

« فقلت له : الاعتقاد لابد فيه من أن نثبت شيئا لشيء ، أو تنفيه ، فهو مركب من تصورين : تصور المحكوم عليه ، وتصور المحكوم به ، وأنتم على ما قلتم مكلفون بالاعتقـــاد . ومن كلف بمركب كلف بمفرداته ، فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصور . فأنتم حينئذ مكلفون بالتصور ، فصور لى دينك .

« فانقطع عن الكلام ، ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ، ولزمه السؤال من قوله . فقال : أمهلنى ثلاثة أيام ، حتى أجتمع على « ابن العسال » وهو أحد أئمة اللاهوت — فأستحضر ما يلزم من البراهين القاطعة .

« فذهب ، ولم أره ، ولم يرجع ، ثم بعد ما مضى أكثر من شـــهر ، أرسل الى كتابا مطولا يدعونى فيه الى النصرانية ، التى عجز عن تصويرها فضلا عن اقامة الدليل عليها ، فقرأته وتأملته ، فوجدت أن القوم ليس لهم حظ من النظر القديم ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضـــلال عاكفين ، فهم على آثارهم يهرعون ، قد غمرهم الجهل ، وغمهم العماء . فلذلك نويت عدم مخاطبة هؤلاء ومراجعتهم فى الخرافات ، ولكن قد ألح على بعض الاخوان على مراجعته والرد عليـــه ، فامتثلت لأمرهم وكتبت هـــذا الجواب ردا على تلك الرسالة من نصوص كتبهم وسميته :

« الفاصل بين الحق والباطل » .

ولـــا حان وقت سفرى أتممته وأرسلته الى « حنا مقار » ومضيت الى حيث أتيت طالبا من الله أن يجعل هـــذا الكتاب تنبيها للغافلين ، ودليـــلا للحائرين ، فيستيقظوا من غفلتهم ، وينظروا الى هـــذه المساوىء القبيحة ، والفضائح الفظيعة » .

ثم يسير النص مع المخطوطتين السابقتين .

ثانيا : زاد فى كتاب المسيحى ، بعد بيان كيفية الصلاة عند المسيحيين ، أركان الدين المسيحى الخمســـة ، وهى : التغطيس ، والايمان بالتثليث ، والاعتقاد بالالتحام بين أقنوم الابن وعيسى فى بطن مريم ، والايمان بالقربان . ثم الاعتراف بالذنوب أمام القسيس . وهى أمور لم تذكر فى المخطوطتين . ولذا لم نوردها فى النص . بل أشرنا الى مضمونها فى الهامش .

ثالثا : أضاف زيادات طفيفة فى رسالة أبى عبيدة وحذف منهـــا بعض الفقرات وقد أشرنا الى كل ذلك فى مواضعها .

ولم يذكر الناشر عن نفسه شيئا ، سوى أنه ليس من أهل هذا الفن ، ولهذا نرى أن من المحتمل أنه عثر على مخطوطة للرسالتين فقط(١) ، ونيس عليهما ما يدل على كاتبيهما ، فزاد عليهما شيئا من عنده ، ووضع لكل منهما اسما يناسبه وقدم لهما وقد استنتجنا هذا الرأى مما يلى :

١ — مقدمة المخطوطتين أقرب الى القبول منطقيا وعقليا من المقدمة التى وضعها ، فالقسيس فى « طليطلة » ينال من الدين الاسلامى ، وهو دين أقلية ، ليس فى يدها سلطة ، فيهرع المسلمون الى أبى عبيدة للرد على هـذا الهجوم ، فيمدهم بما يفحم القسيس ثم يعلم القسيس ذلك فيكتب اليه خطابا يعرض عليه فيه الدخول فى المسيحية ، وذلك هو هدف المسيحيين فى « طليطلة » ، بعد أن سقطت فى يد المسيحيين . ثم يكتب أبو عبيدة ردا عليه ويخشى أن يرسله اليه خوفا على نفسه من أن يبطش به المسيحيون والسلطة فى أيديهم .. فينظر حتى يحين موعد رحيله ، فيعطيه لمن أوصله الى القسيس .

تسلسل منطقى ، وعقلى لا غبار عليه ، أما مقدمة ناشر « الفاصل بين الحق والباطل » فيرد عليها اعتراضات :

(ا) يبدو الانتحال على الاسمين اللذين زعم أنهما كتبا الرسالتين : « حنا مقار » و « عز الدين المحمدى » اذ أن كلمة « المحمدى » يطلقها الأوربيون على المسلم ، نسبة الى محمد فى مقابل نسبة المسيحى الى المسيح ، والمسلمون يرفضون هذه النسبة . كذلك لم أجد أثرا لهذا الاسم بين علماء الاسلام . أضف الى ذلك أن العلماء والمؤلفين فى تلك العصور ، اعتادوا أن يكتبوا أسماءهم مطولة على مؤلفاتهم ، تصل أحيانا الى الجد السادس .

(ب) ذكر فى مقدمته أن عز الدين أفحم « حنا » فى مناظرة عامة ، ثم بعد مدة أرسل حنا اليه يدعوه الى اعتناق المسيحية ، ولا يعقل أن يصدر هذا من « حنا » لأنه هزم أمامه ، وانما المعقول ، أن يتوارى عنه ، ولا يفاتحه فى مسائل العقيدة أطلاقا .

كيف يطلب المهزوم من المنتصر أن يعتنق المبادىء التى لم يستطع اقامة الدليل على صحتها ؟ لو انتصر « حنا » فى مناظرته ، لقبلت هذه الرواية !! .

---

(١) يحتمل أن يكون من النسخة التى نسخها التميمى ، ويقوى هـذا الاحتمال أن التميمى كان بمصر فى عهد محمد على ، وكان يدرس فى الأزهر ، فلعل طالبا من طلابه نسخ الرسالتين فقط ، ثم وقعت النسخة فى يد ناشر « الفاصل بين الحق والباطل » الذى حضر الى مصر بعد موت التميمى بأربعة عشر عاما فقط .

(جـ) لمـــاذا انتظر عز الدين ـــ على فرض صحة هذه الرواية ـــ حتى يحين موعد سفره ، ثم أرسل رسالته الى « حنا » ؟

أكان يخشى على نفسه من المسيحيين ؟

هذا غير صحيح ، لأن السلطة فى مصر ، فى يد المسلمين منذ أن فتحها عمرو بن العاص حتى الآن ، ولم يخش العلماء فى أى عصر الجهر بآرائهم الدينية ، مادامت لا تناهض السلطة الحاكمة ، والرد على المسيحى فى هذا الكتاب دينى بحت ، لا يهاجم السلطة المدنية ، ولا يتعرض لها بنقد اطلاقا .

ولهذا اعتمدنا ـــ أساسا ـــ على المخطوطتين ، وما زاد عنهما فى نسخة عز الدين ، وضعنا له قوسين معقوفين بينهما نقط ، هكذا [........] ، ثم ذكرنا الزيادة فى الهامش، اما نصا أو تلخيصا ان كان النص طويـــلا . ولا فائدة من ذكره كله .

والنسخ الثلاث خالية من التبويب ، ومن هنا وضعنا لكل مسألة عنوانا بين قوسين معقوفين [ ] ، كذلك كل كلمة من عندنا اقتضاها النص .

اعترض القسيس على تعاليم الاسلام فى تسع مسائل ، ذكرناها تحت عنوان الشبه ، فقلنا : الشبهة الأولى ، الشبهة الثانية ..... الخ ، وذكرنا رد أبى عبيدة ، عليها تحت عنوان : الرد على الشبهة الأولى ، والرد على الشبهة الثانية ..... الخ ، وتناولنا فى تعليقنا عليها الجوانب التى لم ترد فى رد أبى عبيدة ولهذا ينبغى على القارىء أن يقرأ الشبهة ، والتعليق ، ورد أبى عبيدة معا ـــ ويفعل ذلك أيضا فى المسائل التى تناولت عقيدة المسيحيين من تثليث ، وصلب ...... الخ . لأن المحافظة على ترتيب النص ، كما هو ، حالت دون جمع رد أبى عبيدة عقب كل شبهة .

وقد رد أبو عبيدة على جميع ما أورده القسيس من شبهات كل على حدة ، الا الشبهتين الثالثة ، والسادسة : اختلاف حكم رد المطلقة الى زوجها ، فى التوراة عنها فى القرآن ، ومسألة طرد ابليس من الجنة التى وردت فى رؤيا « يوحنا » ، فقد جاء الرد عليهما ضمنا فى بيان ما فى التوراة والانجيل من تحريف وقد بينا المنبع الذى استقى منه « يوحنا » ، ما نسخه من خيال حول مسألة طرد ابليس من الجنة .



(٣)

تنتشر اليوم فى المجتمعات الاسلامية نغمة تدعو الى عدم التعصب ضد اتباع الأديان الأخرى ، مع أن المسلمين لم يكونوا فى يوم من الأيام ، متعصبين بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة لدى أصحاب هذه الدعوة . ولا يقصد من هذا سوى توهين العلاقة بين المسلمين ودينهم ، وفصل المسلم عن عاداته ، وتقاليده الدينية ، تحت ستار مسايرة العصر ، والا كان رجعيا ومتخلفا ، ويعيش بعقلية القرون الوسطى . وقد انزلق كثير من أرباب الفكر فى العالم الاسلامى فى هـــذا المجال ، فطفقوا يدعون الى التنازل عن الأفكار الدينية فى الحيـــاة الاجتماعية والسياسية ، ويستند المعتدلون منهم الى أن الظروف الدولية تستدعى منا أن ننهج هذا السبيل ، والا كنا شواذ فى المجتمع الدولى ، لا نستطيع أن نتحرك بحرية ، فنفشل ، وتضيع حقوقنا بين انتيارات السياسية المعاصرة ، ويدللون على ذلك بأن الساسة الغربيين — وهم مسيحيون — طرحوا مسألة الدين جانبا ، وتصرفوا — ولا زالوا — على أساس علمانى بحت .

ونسى هؤلاء أن تصريحات السياسيين العلنية فى تلك البلاد ، تختلف الى حد ما عما يرسمونه من خطط تهدف الى السيطرة — بل القضاء — على العقائد والمذاهب التى تقف عقبة فى سبيل ما يتخذونه عقيدة ومذهبا ، والا فهل يستطيع هؤلاء أن يفسروا لنا مغزى زيارة رؤســـاء الدول الكبرى للبابا ، ويبينون لنا مضمون الأحاديث التى تدور بينه وبينهم فى الاجتماعات التى تستمر أحيانا وقتا طويلا ؟ ! !

وما هو السبب فى أن الأحزاب المسيحية ، لازال لها السيطرة فى معظم بلاد الغرب ولم تستطع الأحزاب الليبرالية أن تحرز نصرا فى مواجهتها ، الا بعد أن أظهرت عطفها على الكنيسة ، وتأييدها لها ؟ ؟ ! !

ومن الافتراء على الحقائق ، ما تردده الصحافة فى الدول الاسلامية ، من أن قيام دولة فى هـــذا العصر على أساس دينى ، كما هو الحال فى دولة اسرائيل — وكذلك الصراع الدينى بين الكاثوليك والبروتستانت فى ايرلندا — من الأمور الاستثنائية ، لأن الصراع فى كثير من بقاع العالم يحمل — فى صور متعددة ، وأشكال مختلفة — طابعا أيديولوجيا — دينيا أو مذهبيا — ويظهر ذلك واضحا فى الأمثلة الآتية :

— اتفاق روسيا مع الهند على ضرب الجيش الباكستانى ، للقضاء على واحدة من أكبر الدول الاسلامية فى آسيا .

ـــ تجرى دماء المسلمين فى الفلبين على يد المسيحيين ، دون أن تغطى وســـائل الاعلام العالمية هـــذه الأحداث ، ولو كان الأمر بالعكس ، لملئت الدنيا صياحا وعويلا .

ـــ محت روسيا معالم الاسلام من المناطق التى احتلتها ، مثل طشقند وبخارى ، والقرم ، وغيرها ، فقد حولت مساجدها الى مسارح ، ويجرى الآن ـــ بطريقة منظمة وشاملة ـــ استئصال العقيدة من الأجيال الناشئة ، وسوف ينقرض ما تبقى من الاسلام فى هـــذه المناطق بانقراض الجيل القديم . ونفس الأسلوب يجرى فى ألبانيا ـــ ومعظم سكانها مسلمون ـــ ومع جميع الطوائف الاسلامية فى البلاد الشيوعية .

ـــ قضت العلمانية على الطابع الاسلامى فى تركيا التى كانت مركزا للخلافة الاسلامية فى القرون الماضية ، وصار الطابع الدينى فى البلاد التى نشأت فيها العلمانية أكثر ظهورا منه فى تركيا . ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة ، سوى تصميم المعسكر الغربى على محو المظاهر الاسلامية فى تركيا .

ـــ تتســـم الحـــرب الدائرة بين « ارتيريا » والســـلطات الأثيوبية بطابع دينى .

ـــ ذبح كثير من المسلمين فى احدى دول شرق افريقيا فى ستينات هذا القرن ، وكان الدافع الرئيسى لهذه المذابح نزعة عنصرية دينية .

ـــ عندما قامت حركة انفصالية فى احدى دول غرب افريقيا ، تلقت مساعدات من « الفاتيكان » ، ومن معظم الدول الأوربية المسيحية ، لأن معظم سكان المنطقة التى أعلنت الانفصال مسيحيون ، ولم تخف وسائل الاعلام الغربية وجهها ، عنـــدما كانت تدعو مواطنيها الى التبرع « للدولة المسيحية » الناشئة ، رغم أنها لم تكن سوى مجموعة تمردت على السلطة الشرعية ، كذلك اعترفت بعض الدول المسيحية فى افريقيا بدولة الانفصاليين .

وهناك الكثير من الأحداث العالمية التى تأخذ الطابع الدينى ، وتحركها وتوجهها عواطف العقيدة ـــ دينا أو مذهبا ـــ وتتلقى التأييد من ساسة الدول الأخرى على أساس علمانى بحت . ولو رمت حصر ما يقع منها فى العالم . لطالت هـــذه المقدمة عن المألوف .

وينبغى ألا يفهم من هـــذا .. أن على زعماء الدول الاسلامية أن يكونوا جامدين فى تحركاتهم السياسية . ويقطعوا كل صلة بتلك الأمم التى تنهج هذا السبيل . بل عليهم ـــ طبقا لما نفهمه من روح التشريع الاسلامى ـــ أن يسايروا العصر فى مجال السياسة . ولا يألوا جهدا فى بناء دولهم على أسس حديثة

عصرية لتتقدم علميا ، وفنيا وعسكريا ، وفى الوقت نفسه لا يكونوا سذجا ، يتبرأون من الدين ويتنكرون لمن ينادى بالتمسك به ، بحجة أنهم تقدميون ، والا دارت عليهم الدائرة ، كما حدثت لأمراء المسلمين فى الأندلس ، ولن يشفع لهم يومئذ كفرهم بكل ما يمت الى الاسلام بصلة .

***

يواجه المسلمون المعركة فى مجالين : سياسى ، وفكرى .. وقد خسروا جولات فى كليهما . ففى المجال السياسى ضاعت الأندلس . ودول البلقان والقرم . وبخارى وطشقند وغيرها ..

وفى المجال الفكرى ، سيطر الفكر العلمانى على القادة ، فتنكر بعضهم للاسلام وتجاهله آخرون . وتعرض كثير من الشباب ــ وخاصة بعض الذين درسوا فى الخارج ــ لحملات التشكيك فى صلاحية الاسلام للمجتمع المعاصر . اذ يحاول المبشرون ــ ومن يسلكون دروبهم ــ تشويه المبادىء الاسلامية لهم ، زاعمين تارة أنها متخلفة عن العصر ، وبالتالى كانت سببا فى تخلف الشعوب الاسلامية ، وأخرى بالهجوم مباشرة على عقائد الاسلام وتعاليمه ، فاهتزت عقيدة الشباب نتيجة لهذه الحملات ، وضعفت العلاقة بينهم وبين الاسلام ، فصاروا لقمة سائغة للتيارات الالحادية والموجات الصليبية .

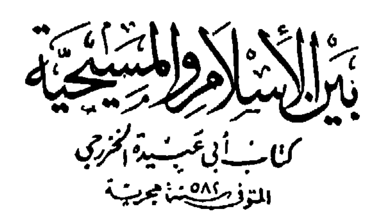
كان هذا هو الدافع الرئيسى الآن أقدم هــذا الكتاب للقارىء ــ عارضا فى مقدمته جزءا من تاريخ الصراع بين المسلمين والنصارى فى الأندلس ، ليكون سهما فى ميدان الدفاع عن الاسلام فكريا ، وصونا يذكر المسلمين ــ حكاما ومحكومين ــ بما أصاب اخوانهم بالأمس البعيد فى الأندلس ، ليأخذوا حذرهم ، ويعتصموا بحبل الله ، اخوانا متحابين ، غير متحاربين . يساعد بعضهم بعضا على النهوض بمجتمعاتهم فى النواحى الثقافية ، والفنية ، والعسكرية . ويمدوا يد العون لمن يتعرض منهم للخطر ، حتى لا يؤكلوا كما اكل المسلمون فى الأندلس ، ولن يقيهم من عدوهم ساعتئذ ، ادراكهم لخطئهم وندمهم على ما فاتهم ولن يملكوا الا أن يرددوا المثل القائل :
« أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض »

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

كانو ــ نيجيريا فى ٢٧ رمضان ١٣٩٥ هـ
٢ أكتوبر ١٩٧٥ م

محمد عبد الغنى شامة

***


بين الإسلام والمسيحية
كتاب أبي عبيدة الخزرجي
المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقـــدمة الكتـــاب]

وبه ثقتى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، وسلم تسليما

لـما نفذ القضـــاء من الله تعالى على قرطبة[1] ، باندثار ملكها ، وتفرق أهلهـا عنهـا ، لتتابع ضـنكها ، ألحق منهم « بطليطلة » ، صبيا من آل عبد الحق الخزرجى ، يوصف بالذكاء[2] ، وكان بها قسيس من القوط[3] يكثر الاعتراض فى الدين على نفر كانوا تابعين له[4] من المسلمين ، فجعلوا يرفعون أسئلتهم[5] الى الصبى فيجيبهم[6] الصبى عليهـا ، فيرجعون بذلك الى القسيس ، فأنكر اجابتهم[7] لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء ، فاستفهمهم ، فأعلموه بذلك ، فكتب القوطى[8] اليه كتابا ، وسألهم أن يوصلوه اليه ، ويأتوا منه بجواب .

* * *

---

(١) هى مدينة فى اسبانيا ، أسسها الفينيقيون ، واستعمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفـاء الأمويين فى الأندلس ، فازدهرت على أيامهم ، اذ شـيدوا فيها المبـانى الفخمة ، منها قصر الزهراء ، وهى مسقط رأس ابن رشـد .

(٢) فى ج : « بذكـر » .

(٣) فى ج : « القرط » وهو خطأ ، اذ أن القرط بطون من بنى كلاب يقال لهم القروط وقد أطلق لفظ قرط على رجل من سنبس كما أطلق على قبيلة من مهرة بن حيدان ، وهذا كله بعيد الصلة عن المقصود فى النص ، خاصة اذا عرفنا أن القوط (بالواو) قبائل أوروبية كما سبق الكلام عنها .

(٤) فى ج : « يألونه » .   (٥) فى ج : « سوالاتهم » .

(٦) فى ج ، ت : « فيجاوبهم » .

(٧) فى ج ، ت : « جوابهم » .

(٨) فى ج : « القرطبى » وهو واضح التحريف .

[رسالة القسيس الى أبى عبيدة]

ـــ هـــذا كتابه :

[قصة التثليث]

من فلان الى فلان(1) باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ، اله واحد(2) سلام عليك أيها الفتى ، الاسماعيلى ، المحمدى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(1) من ت وفى ع : « من حنا مقار العيسوى الى عز الدين المحمدى » ، ولم تذكر فى ج .

(2) قضية نسبة البنوة الى الله عز وجل ، ليست غريبة على العقل البشرى ، ولا هى بالمستحدثة فى تفكيره ، فقد كان فراعنة مصر يعتقدون أنهم آلهة وأبناء آلهة ، وكذلك كان الشأن عند قياصرة الرومان ، وأكاسرة الفرس ، وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان .. انهم كانوا ينظرون الى الناس من سماوات عالية ، كما كان ينظر اليهم الناس من هذه الأرض على أنهم آلهة ، نزلوا من السماء ، فقدسوهم وعبدوهم .

وكان أتباع الفيلسوف اليونانى « فيثاغورس » يعتقدون أنه الالـــه « أبولون » ، وأنه لم يمت ، وسيبعث بعد حين ، ويؤمن اتباعه بعد موته بأنه يلهمهم الكشوف العلمية ، ويلقنهم عظات الحكم ، والأخلاق الحسنة .

وعلى هذا فاذا قال دعاة المسيحية ، بأن المسيح ابن الله ، فانهم لم يقولوا بدعا من القول ، لم يعرفه العقل البشرى ، وان كان بدعا وتحريفا فى الشرائع السماوية كلهـــا .

فاذا كانت نسبة البنوة الى الله ، لهـــا سابقة فى الفكر الانسانى ، فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث ؟

لم ترد كلمات :

الأب ، الابن ، الروح القدس فى الانجيل ، الا فى عبارات ، وتراكيب مختلفة ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها فى سياق واحد ، وذلك باستثناء ما نسب الى المسيح فى انجيل متى حيث قال لتلاميذه :

=

« فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » . (متى ٢٨ : ١٩)

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ، ورسائلهم التى الحقت بالأناجيل ، وصارت جزءا متمما لها ، لوجدنا انها لم تحدث عن شيء مما أصبح عقيدة مقررة عند المسيحيين ، بعد مؤتمر « نيقية » الذى قرر أن المسيح هو أقنوم الابن فى الله ذى الثلاثة أقانيم .

غير اننا رأينا أن رسائل « بولس » الرسول ، تحتوى على عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على محامل شتى ، من بينها أن يكون المسيح ابن الله ، بمعنى لاهوتى : هو الولادة العقلية !!

يقول « ول ديورانت » فى موسوعته قصة الحضارة :

وأضاف « بولس » الى اللاهوت الشعبى لموسى ، بعض آراء صوفية غامضة ، كانت قد ذاعت بين الناس ، بعد انتشار « سفر الحكمة » ، و « فلسفة فيلمون » ... من ذلك قول « بولس » : ان المسيح هو حكمة الله وابن الله الأول ... وبكر كل خليقة ... فان فيه الكل ... الكل به ، وله قد خلق ... الذى هو قبل كل شيء ، وفيه يقول الكل ... وليس هو المسيح المنتظر ، « المسيا » اليهودى الذى سينجى اسرائيل من الأسر ... بل هو الكلمة ، التى ستنجى الناس كلهم بموته (قصة الحضارة ج ١١ ص ٢٦٦) .

لقد عزل « بولس » المسيح من اليهود ، وجعله مسيحا ، غير « المسيا » الذى ينتظرونه لخلاصهم ! وذلك ليستطيع أن يجعل منه الاله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ! وبهذا يضمن لدعوته مجالا ، يتحرك بها فيه فى الامبراطورية الرومانية ، بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم ، وبهذا أيضا ، يفسح المجال لأمل اليهود فى مسيح منتظر بعد يسوع الذى « صلبوه » .

اعتمد المؤتمرون فى « نيقية » ، على أقوال « بولس » الغامضة ، فى اتخاذ قرارهم فى طبيعة المسيح ، وتتلخص قصة هذا المؤتمر فيما يلى :

فى سنة ٣٢٥ م اجتمع المؤتمر المسكونى فى « نيقية » ، بأمر الملك قسطنطين الكبير ، وقد حضر هذا المؤتمر ٣١٨ أسقفا ، من شتى أنحاء العالم ومن مختلف الطوائف المسيحية . وكانت المسألة الأولى ، والوحيدة ، التى

. . . .

ناقشها المؤتمر ، هى طبيعة المسيح ، وذلك بعد أن قرر القس « آريوس » الاسكندرى رأيه فى المسيح ، وأنه مخلوق !

ويروى سعيد بن البطريق — بطريق الاسكندرية — فى تاريخه المعروف المسمى « نظم الجواهر » مقالة « آريوس » ، وما كان لهـا من آثار فى اثبات الخلاف والفرقة بين المسيحيين ، وما انتهى اليـه الرأى فيه ، وفى مقالته . يقول ابن البطريق : كان بالاسكندرية رجل يقال له « آريوس » يقول : ان الأب وحده هو الله الفرد والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب اذ لم يكن الابن .

فقال البطريرك — اى بطريرك الاسكندرية — لتلميذيه : ان المسيح لعن « آريوس » ، فاحذرا أن تقبلا قـوله ، فانى رأيت المسـيح فى النوم مشقوق الثوب فقلت له : يا سيدى : من شق ثوبك ؟ فقال لى : « آريوس » فاحذروا أن تقبلوه ، وأن يدخل معكم الكنيسة ، كنيسة الله .

فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينة « نيقية » — بعد سنة وشهرين — الفان وثمانية وأربعون أسقفا كانوا مختلفى الآراء . فمنهم من يقول : المسـيح ومريم الهـان من دون الله وهم المريمانية .

ومنهم من يقول : ان المسيح من الآب ، بمنزلة شعلة نار ، تخلقت من شعلة نار ، فلم تنتقص الأولى ، لايقاد الثانية منها ، وهى مقالة « سباريون » واتبـاعه .

ومنهم من كان يقول : لم تحمل مريم لتسعة أشهر ، وانما مر نور فى بطنها كما يمر المـاء فى الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة « اليان » واشياعه .

ومنهم من كان يقول : ان المسيح انسان ، خلق من اللاهوت كواحد منا ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى ، صحبته النعمة الالهية ، فحلت فية المحبة والمشيئة ، فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : ان الله جوهر واحد وأقنوم واحد ، يسـمونه بثلاثة أسـماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهى مقالة « بولس الشمشاطى » بطريق أنطاكية ، وأتباعه .

. . . .

ومنهم من قال بثلاثة آلهة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهى مقالة « مرقيون » وأشـــياعه .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح : تلك هى مقالة « بولس » الرسول ، ومقالة الثلاثمائة والثمانية عشر أســـقفا .

فلما سمع قسطنطين مقالاتهم ، عجب من ذلك ، وأخلى لهم دارا وتقدم لهم بالاكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم ، لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أســـقفا على دين واحد ، ورأى واحد ، فناظروا بقية الأســـاقفة فأفلجوا عليهم حججهم ، وأظهروا « الدين المستقيم » .

أما أهم ما قرره المجمع — مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر — فهو هذا القرار ، الذى جعل المسيح ربا ، هو ابن الله ، ومساويا له فى جوهره .

وأما صيغة القرار فهى :

« نؤمن برب واحد ، وأب واحد ، ضابط الكل ، خالق الســـموات والأرض .. كل ما يرى وما لا يرى .

نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور من نور .. اله حق ، من اله حق .. مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر .. الذى به كان كل شىء ، هذا هو الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاص نفوسنا ، نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس (أى صار انسانا) ، وصلب على عهد « بيلاطس » وتألم ، وقبر ، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث ، كما كتب فى الكتب ، وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين الآب ، وأيضا يأتى فى مجده ، ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء » .

فالايمان الذى يبشر به هذا القرار ، هو ايمان بالآب ، والابن فقط ، أما الروح القدس ، فلم يتبوأ مكانه المعروف الآن ، لدى الكنيسة المسيحية ، وظل هـــذا الوضع — وهو اغفال الروح القدس — حتى عام ٣٨١ هـ حيث أمر الملك « تيئود وسيوس » الكبير ، بعقد مجمع مقدس ، فى مدينة القسطنطينية للنظر فى مقولة « مكونيوس » بطريرك القسطنطينية ، التى كان ينادى بها ، فى محيط كنيسته ، ويذيعها فى أتبـــاعه ، وهى أن الروح القدس ، مخلوق كســـائر المخلوقات .

وقد اجتمع فى هذا المؤتمر ، مائة وخمسون أسقفا ، يمثلون جميع الهيئات المسيحية ، كان من بينهم « تيموثاوس » ، بطريرك الاسكندرية الذى أسندت اليه رئاسته .

وانتهى المؤتمر بادانة « مكونيوس » ، ومن كان على رأيه ، من الأساقفة ، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع « نيقية » ، ثم اضافة نص جديد فى شأن « الروح القدس » .

وكان نصه ما يأتى :

« نعم ، نؤمن بالروح القدس ، الرب ، المحيى ، المنبثق من الأب ، نسجد له ونمجده مع الأب والابن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة ، مقدسة جامعة ، رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة ، لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى آمين » .

(راجع هذا الموضوع عند الشهرستانى : جـ ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وابن تيمية جـ ٣ ص ٢٠ وما بعدها ، وابن حزم : الفصل فى الملل والنحل جـ ١ ص ٣٨ — ٤٠ ، والعقاد : الله ص ١٤٦ — ١٤٧ ، ١٦٦ — ١٧٢ ، والخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل ص ١٣٧ — ٣٠٥ ، Nolle, ص ٤٧ ، واقرأ تفسير الاتجاه العقلى فى العقيدة المسيحية لبنوة الله عند الأستاذ الدكتور محمد البهى : الجانب الإلهى جـ ١ ص ١٠١ — ١٠٨ ، ثم راجع بطلان التثليث عند رحمة الله الهندى جـ ١ ص ٣٦١ — ٣٩٥ ، و جـ ٢ ص ٣ — ٢٧) .

[صلب المسيح]

أما بعد حمد الله الذى هدانا لدينه ، وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ، ومحبوبه ، ومد علينا رحمته بصلبه[1] يسوع[2] المسيح الهنا ، الذى خلق السموات والأرض ، وما بينهن ، والذى فدانا بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم[3] وقانا ، ورفع عن أعناقنا الخطيئة[4] ، التى كانت فى أعناق بنى آدم

---

(١) اقرأ رأى المسيحيين فى حادث الصلب فى متى : ٢٧ ، مرقس : ١٥ ، لوقا : ٢٣ ، ويوحنا ١٩

ثم قارن معارضة القرآن لهذا الرأى فى قوله تعالى : « **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رســـول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » (النساء : ١٥٧) .

ثم ارجع الى مناقشة ابن حزم لعقيدة المسيحيين فى صلب عيسى عليه السلام : الفصل فى الملل والنحل ج ١ ص ٤٦ — ٥١ .

(٢) فى ج : « روح المسيح » .

(٣) فى ت : « الجحيم » .

(٤) جاء فى الانجيل : « **ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا . لأن ابن الانسان أيضا لم يأت ليخدم بل ليخدم (*) وليبذل نفســـه فدية عن كثيرين** » (مرقس ١٠ : ٤٤ — ٤٥) .

« **لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنـــه الوحيـــد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية** » (يوحنا ٣ : ١٦) .

وقال بولس : « **بر الله بالايمان بيسوع المســـيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق اذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله . متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة** » .

(رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ٢٢ — ٢٥) .

« **فاننى سلمت اليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب** » .

(رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٥ : ٣) .

(*) ليخدم بل ليخدم : الأولى بضم الياء وفتح الدال ، والثانية بفتح الياء وضم الدال

بسبب أكله من الشجرة[1] ، التى نهى عنهـــا ، فخلصنا المسيح بدمه ، وفدانا[2] بدمه ومن عذاب جهنم وقانا .

أهرق[3] دمه فى مرضات جميع ولد آدم ، اذ كان الذنب باقيا فى أعناق جميعهم[4] ،

---

(1) لو قارنا بين نص التوراة ، فى ســـفر التكوين ، الصحاح الثالث ، وبين ما اشار اليه القرآن الكريم (البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، طه : ١٢٠) فى تحديد مرتكب الخطيئة الأولى ، لوجدنا أن التوراة تحمل حواء مسئوليـــة هذه الخطيئة ، فقد جاء فى سفر التكوين أن حواء : « **أكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ... فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشـــجرة فأكلت** » (التكوين ٣ : ٦ — ١٢) .

اما القرآن الكريم ، فينسب الخطيئة اليهما معـــا ، فهما متضامنان فى تحمل المسئولية ، اقرأ قوله تعالى : « **فأزلهما الشـــيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه** » (البقرة : ٣٦) .

بل نصت آية طـــه ، على أن الشيطان وسوس الى آدم فقط فيقول تبارك وتعالى : « **فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى** » (طه : ١٢٠ ، ١٢١) .

ولا شك أن تبرئة القرآن المرأة ، على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة ، لحقتها عبر القرون ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق ، والانهيار السريع أمام الغواية ، ولا يخفى أثر هذا الاتجاه على وضعها فى المجتمع .

(2) فى ج : « وبرأنا » . (3) فى ج : « هـــرق » .

(4) يرفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس كما يعتقد علماء اللاهوت المسيحيون ، فالمسئولية الدينية فى نظر القرآن الكريم شخصية محضة ، أنزل الله ذلك فى آيات عدة ، تذكر منهـــا على ســـبيل المثـــال :

« **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** » . (البقرة : ٢٨٦) .

« **ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه** » (النساء : ١١١) .

« **من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى** » (الاسراء : ١٥) .

=

فكلهم تخلص منه ، الا من كفر به ، وشك فيه . [...][1] .

* * *

[دعوته الى الايمان بألوهية المسيح]

فاذا أردت أن يتغمدك الله برحمته ، وتفوز بجنته ، فآمن بالله وقل ان المسيح ابن الله الذى هو الله ، والروح القدس[2] ، ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد[3] فستنجح وترشد .

=

« **لا يجـزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شـيئا** » (لقمان : ٣٣) .

« **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم** » (غافر : ١٧) .

« **ولكل درجات مما عملوا** » (الأحقاف : ١٩) .

« **وأن ليس للانسان الا ما سعى** » (النجم : ٣٩) .

بل ان القرآن ليصور لنا أخذ البرىء بالمذنب ، لا على أنه مضـاد للشريعة فحسب ، بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعـدالة الانسـانية :

« **قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذن لظالمون** » (يوسف : ٧٩) .

(١) زيد فى ع : « أما بعد ، فقد أعجبنى عقلك ، وتحققت من شـدة فطنتك . وذكائك ولذلك صاحبتك ، وجالستك ، وتباحثت معك فى أمر دينى . ورغبت أن أهديك اليه سبيلا ، لولا تعصبك فى دينك السقيم ، ومغالطتك فى البحث . وانى لمتأكد أنه لو تكرر اجتماعنا كنت أقنعك بصـحة ديننا ، فتهتدى اليه ، ولكن أبى الدهر الا أن يمنعنى عن وفاء ما وعدتك به لأسباب انحراف صحتى ، ولذلك كتبت اليك هـذا الكتاب ، لأخبرك أن أسرار ديننا وحكمه ، هى أمور لا تدركها العقول الا بعد اعتناقه ، والدخول فيه ... » .

(٢) فى ت : « القدس الذى هو الله ، وابن ، وروح » .

(٣) يقول عوض سمعان : « الاقنوم » أو « القنوم » كلمة سريانية ، يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه على شرط أن يكون من شخص وله ظل ... ولذلك فانه يراد بالاقنوم التعيين ... وقد وردت فى اللغة اللاتينية كلمة تشبه هذه الكلمة فى النطق تماما ، « اقوانيمتس » ، ومعناها الصدارة .. وقد تعنى أيضا الانسجام فى الفكر ، والشعور ، والصفات الطيبة .

=

ألم تسمع ما فى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك : أنه روح الله وكلمته[1] وأنه كان وجيها فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين[2] ، وأين [من][3] هو أوجه فى الدنيا والآخرة من المسيح ابن الله ؟

❋ ❋ ❋

=

أما القول بأن كلمة « أقنوم » معناها « الأصل » كما وردت فى بعض كتب الفلسفة ، فليس بصحيح اذ فضلا عما تقدم من دليل لغوى ، فاننا لا نؤمن بأن الأقانيم هم أصول العالم ، لأنها تعين الله أو الله معينا ، والله دون سواه ، هو أصل العالم ومبدعه . (سمعان : ص ١٠٢) .

وليس هناك تعارض بين التفسير اللغوى ، الذى ذكره عوض سمعان ، وبين مفهومها لدى الكنيسة المسيحية ، فالأصل مميز عن الفرع ، وما يتميز عن غيره معين ، فالأقانيم أصل العالم ، فهى مميزة . ويرد ما يرمى اليه بهذا التفسير اللغوى — وهى نفى أن كلمة أقنوم معناها أصل — محاكاة العقيدة المسيحية ، لما ورد فى الفلسفة ، فان تحديدها بثلاثة يرجع الى تأثير الفلسفة الاغريقية فى علم الكلام المسيحى . يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى : « تسمية هذه الأمور بالأقانيم ، أو الأصول يرجع الى أثر الفلسفة الاغريقية فى تفلسف المسيحية ، وتحديدها بثلاثة ، يرجع الى المصدر نفسه أيضا ، لأن ما نراه فى المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـ (مثل) أفلاطون ، فقد جعلها أصول هذا « الوجود » المشاهد ، واعتبره ظلالها وشبيها بها فقط ، كما يذكرنا « بثالوث » أفلوطين المصرى ، الذى يتمثل فى الواحد ، والعقل ، ونفس العالم ، ولو فتشنا على الألفاظ الدالة على هذه المعانى الثلاثة فى المصدر النصى للمسيحية ، وجدناها : الله ، كلمة الله ، الروح القدس .

(البهى : الجانب الالهى ... ج ١ ص ١١٣)

(١) يشير الى قوله تعالى : **« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه »** (النســاء : ١٧١) .

(٢) يشير الى قوله تعالى : **« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »** (آل عمران : ٤٥) .

(٣) فى ع : « نعم ! وأين الأوجه فى الدنيا والآخرة .. » .

[معجزات عيسى فى القرآن]

وفى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك ، أنه أحيا الموتى[1] وكفى بذلك دليلا على أنه هو الله .

* * *

[معجزات الحواريين]

ثم أنه أيد باحياء الموتى بعض الحواريين[2] . فأحيوا الموتى كمثل ما فعل المسيح .

* * *

---

(١) يشير الى قوله تعالى : ((**ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص واحيى الموتى باذن الله ، وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين**))
(آل عمران : ٤٩) .

(٢) ورد فى الانجيل فقرات متعددة ، تشير الى أن عيسى عليه السلام ، أمر حوارييه أن يقوموا بأفعال خارقة ، كتلك التى أظهرها الله على يديه تأييدا له واظهارا لمن أنكر بعثته ، وجحد أنه مؤيد من الله : ((**وقال لهم : اذهبوا الى العالم أجمع وأكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يدن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون**)) (مرقس ١٦ : ١٥ — ١٨) .

((**ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شىء**)) (لوقا ١٠ : ١٩) .

ويبدو من هذه النصوص ، أن عيسى عليه السلام ، لم يشر الى أنهم يستطيعون احياء الموتى ، بل أن ايمانهم يعطيهم قوة خارقة ، للسيطرة على الشياطين ، وفى سحق العقارب وهزيمة الأعداء ، وقد يكون ذلك مجازا لما يستطيع المؤمن القيام به ، نتيجة زيادة الدفع الايمانى ، الذى يكمن بين جنباته .
=

[رسالة المسيح بين المحلية والعالمية]

وأرسلهم المسيح الى جميع الأجناس[1] .

=

غير أن هناك نصا فى الانجيل يشير الى أن عيسى أرسل حوارييه الاثنى عشر ، وامرهم — فيما أمرهم به — باحياء الموتى : **« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات . اشفوا مرضى . طهروا برصا . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين »** (متى ١٠ : ٥ — ٨) .

فقوله : « أقيموا موتى » يحتمل أن يكون تعبيرا مجازيا على حد قوله تعالى :

« أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » . (الأنعام : ١٢٢) .

اذن ، ليس هناك فى الأناجيل الأربعة ، نص يدل صراحة ، على أن الحواريين أحيوا الموتى ، ولكن جاء فى أعمال الرسل :

« ... فقام بطرس وجاء معهما . فلما وصل صعدوا به الى العلية فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرين أقمصة وثيابا مما كانت تعمل غزالة وهى معهن فأخرج بطرس الجميع خارجا وجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت الى الجسد وقال يا طبيثا قومى . ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست . فناولها يده وأقامها . ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية » (أعمال الرسل ٩ : ٣٩ — ٤١) .

ولا يخفى على القارىء أن أعمال الرسل ، تأتى فى مرتبة تلى مرتبة الأناجيل ، فهى ليست وحيا — يتفق فى ذلك علماء المسيحية — بل تعبيرا عن رأى كاتبها ولم يتفق علماء العقائد المسيحية ، على حجيتها فى التشريع . (راجع هذا الموضوع عند ابن حزم : الفصل ج ٢ ص ٢٢) .

(١) جاء فى انجيل متى : **« ... فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »** (متى ٢٨ : ١٨ — ١٩) .

=

. . . .

وفى انجيل مرقس : ((**... وقال لهم اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها))** (مرقس ١٦ : ١٥) .

وفى انجيل لوقا : ((**... وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم))** (لوقا ٢٤ : ٤٦ — ٤٧) .

ما مدى حجية هذه النصوص :

ان خير اجابة على هذا السؤال ، أن نستعرض بايجاز ، تاريخ تدوين هذه الاناجيل التى اشتملت على هذه النصوص :

متى : أحد تلاميذ المسيح ، الاثنى عشر ، الذين لازموه ، وعاشوا معه . وتقول المصادر المسيحية ، انه كتب انجيله باللغة العبرية ، لليهود ، وقد ضاعت النسخة الأصلية ، ولم يبق الا ترجمتها اليونانية .

واختلفوا فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، او سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد .

غير أن النقاد ينكرون نسبة الانجل الى متى — كما يروى «ول ديورانت» — ويرون أنه من تأليف أحد أتباعه ، وقد نسبه الى الحوارى ، ليقع من الناس موقع الاطمئنان والقبول .

ومما يزيد الشك فى صحة هذا الانجيل ، أن المصادر المسيحية ، لم تذكر اسم المترجم ، فبين أيدينا كتاب ، لا يعرف على وجة التأكيد اسم مؤلفه ، ثم ضاعت النسخة الأصلية ، ووجدت ترجمتها ، ولا نعرف شيئا عن الشخص الذى ترجمها ، حتى اسمه مجهول لنا . فكيف يعتمد عليه ؟ وهل يعقل أن نصدق بأن كتابه مقدس ؟

مرقس : ليس من الحواريين ، ولم يجتمع بالسيد المسيح ، وان عد من السبعين ويقال : انه بشر بانجيله فى الاسكندرية ، باللغة اليونانية . ويختلفون فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٦ أو ما بعدها الى ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، أو سنة ٦٣ من الميلاد . كما اختلفوا أيضا فى نسبة هذا الانجيل اليه فقيل : ان بطرس كتبه رواية عن « مرقس » مع أن بطرس هو رئيس الحواريين ، فكيف ينقل عن شخص ، ولم ير المسيح ؟ وبعضهم يشك فى نسبة الباب الأخير اليه .

. . . .

كذلك اختلفوا فى مولد ، وصناعة مرقس ، فقيل : انـــه انطاكى ولد بأنطاكية . قيل : انه رومانى ولد بايطاليا . كما قيل : انه كان طبيبا . وقيل : انه كان مصورا .

لكنهم اتفقوا على أنه من تلاميذ « بولس » ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حوارييه . « ولبولس » هذا شأن خطير فى صياغة المسيحية ، كما سنعرض له ، بعد أن ننتهى من بيان حال الأناجيل الأربعة .

لوقــا : ليس من الحواريين الاثنى عشر ، وانما هو من السبعين ، وقد بشر بانجيله باليونانية . ويعلن لوقا فى مقدمة انجيله أنه يهدف بتأليفه الى هداية الكفار ، لا اليهود .

اختلف فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٣ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميــلاد . ويشك العلماء فى نسبة بعض الأبواب اليه ، فيقول « وارد كاتلك » : صرح « جيروم » فى مكتوبه ، أن بعض القدماء ، كانوا يشـــكون فى بعض الآيات من الباب الثانى والعشرين ، من انجيل لوقا ، وبعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الأوليين ، من هذا الانجيل . وما كان هذان البابان فى نسخة فرقة مارسيونى » .

واختلفوا فى شخصية لوقا ، وفى صناعته ، وفى القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل ، لكنهم اتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ، وأنه كان صديقا « لبولس » .

يوحنــا : يعتقد جمهور المســيحيين ، أن انجيل يوحنــا ، من تأليف الحوارى يوحنا بن زبدى الصياد ، ويختلفون فى تاريخ تدوينه . فيقولون : سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد .

وينكر المحققون ، نسبة هذا الانجيل « ليوحنا » الحوارى ، ويرون أن كاتبه ، رجل آخر ، يتفق مع الحوارى فى الاسم فقط . ويدعم هذا الراى ، أن علماء المسيحية فى القرن الثانى الميلادى ، أنكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى ، وسمع ذلك الانكار « أرينتوس » تلميذ « بوليكارب » الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى ، فلم يرد عليهم ، بأنه سمع صحة نسب الانجيل الى الحوارى من « بوليكارب » .

ومن المستبعد ، أن « أرينتوس » لم يسمع ذلك من « بوليكارب » ، وهو الذى روى عنه أشياء ، أقل اهمية من ذلك بكثير .

وليس صحيحا انه نسى ذلك ، لأنه كان مشهورا بقوة الحافظة ، فقد روى عنه أنه كان يقول : « سمعت هــذه الأقوال بفضل الله ، بالامعان التام ، وكتبتها فى صدرى ، لا على الورقة » .

كتب « استادلين » فى كتابه : أن كاتب انجيل يوحنا ، طالب من طلبة الاسكندرية ، بلا ريب .

وقال المحقق « برطشنيدر » : ان هــذا الانجيل كله ، وكذا رســائل « يوحنا » ليست من تصنيفه ، بل صنفها واحــد فى ابتداء القرن الثانى الميــلادى .

اضف الى ذلك كله ، أن العلماء فى « القرون الأولى من الميلاد ، صرحوا بأن الأناجيل حرفت أكثر من مرة ، فقد كان « سلسوس » ـــ وهو من علماء المشركين الوثنيين ـــ يصيح فى القرن الثانى : بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات . وأن « فاسنس » ـــ وهو من علماء فرقة مانى ـــ كان يصيح فى القرن الرابع : بأن هذا العهد الجديد ، ما صنفه المسيح ، ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسب الى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعتبره الناس .

ونستخلص من ذلك :

١ ـــ نسبة الأناجيل الى كاتبها ـــ « متى » و « مرقس » و « لوقا » و « يوحنا » ـــ مشكوك فيهــا .

٢ ـــ يكاد يجمع العلماء ، على أن « يوحنا » الحوارى ، لم يكتب هذا الانجيل المنسوب اليه ، فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية :

« أما انجيل يوحنا ، فانه لا مرية ، ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضها لبعض ، وهما القديسان : « يوحنــا » ، « ومتى » وقد ادعى هذا الكاتب المزور ، فى الكتاب ، أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة ، على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب ، هو « يوحنا » الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير « يوحنا » يقينا . ولا يخرج هــذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة ، التى لا رابطة بينها ، وبين من نسب اليــه ، وانا لنرأف =

• • • • • • • • • • • • •

=

ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفي — الذى الف هذا الكتاب فى القرن الثانى — بالحوارى « يوحنا الصياد الجليل ، فان أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هـدى .. » .

٣ — لم يكن « لوقا » — ولا « مرقس » — من الحواريين الاثنى عشر ، واغلب الظن أنه لم يكن يهوديا ، بل كان صديقا « لبولس » — كما كان « مرقس » أيضا — وهذا يعطى ضوءا على ورود النص السابق فى انجيله ، اذا عرفنا ايضا أن الاناجيل قد حرفت ، وبدلت اكثر من مرة ، وأن « بولس » كان المصدر الرئيسى للتشريع المسيحى .

وعليه فيكون من الراجح ، أن مصدر هذا النص ، هو « بولس »، الذى يقول علماء الأديان عنه ، انه نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة باليهود الى ديانة عالمية « لجميع الأمم » انظر :

Nölle, unter Paulus and Anwander , unter Apostél.

والذى دفعه الى ذلك ، انه كان بحكم نشأته وثقافته ومولده ، مهيـأ لأن يلعب هذا الدور ، فقد كان والده مواطنا رومانيا ، ورث عنه ابنه « بولس »، هذا الحق الثمين ، فكان يعيش بين اليهود ، وفى اليهود بهذا الامتياز ، الذى انتفع به ، فى كثير من مواقفه .

ولا شك أن هذه « الرعوية الرومانية » ، التى كانت ميراثا فى بيتـه قد أثرت تأثيرا مباشرا ، وغير مباشر ، فى حياة الأسرة المـادية ، والعقلية ، ووثقت الصلة بينها وبين العقلية الرومانية .

لقد عزل بولس المسيح عن اليهود ، وجعله مسيحا غير « المسـيا » الذى ينتظرونه لخلاصهم . وذلك ليستطيع أن يجعل منه الاله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ، وبهذا يضمن لدعوته ، مجالا يتحرك بهـا فيه ، فى الامبراطورية الرومانية بـين الرومان ، والشعوب الخاضعة لدولتهم .

(رحمة الله الهندى ج ١ ص ٧٦ — ٨٠ ، ول ديورانت : ج ١٢ ص ٢٢٦ ، الخطيب : المسيح .. ص ٨٥ وما بعدها) .

=

وأمرهم بافشاء أمره . بعد أن كان يشرح[1] لهم شرائعه بنفسه ، ورآه الناس بأعينهم . وهو يتواضع . فوجب عليهم[2] أن يفعلوا كما رأوا خالقهم يفعل .

* * *

[كيفية الحلول وتعليله]

لأنه عز وجل ، لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله ووسائطه[3] الى خلقه ، ليعلموهم[4] الاقرار بربوبيته ، ولينهوهم عن عبادة الأوثان والأصنام [5] الفاشية ضلالتها فى جميع الأرض ، ولم يمتثلوا لهم ، نزل هو سبحانه ، بعد ذلك من السماء ، ليكلم الناس بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم حينئذ ، من أجل أن كلمهم بذاته ، لا بواسطة بينهم وبينه ، فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده ، بعد ما كلمه بذاته ، اتماما لرحمته على الناس .

---

(١) فى ج : « يدل » وفى ت : « بذل » وفى ع : «بعد أن كان هو يدل» .

(٢) فى ج : « فيجب لهم » وفى ع : « فيجب عليهم » .

(٣) فى ج : « ووسائله » . (٤) فى ج : « ليعلمهم » .

(٥) فى ج ، ت ، ع : « وشرعوا لهم ترك أوثانهم وأصنامهم » .

اضطرب القاموس فى تحـديد معنى الوثن والصنم ، ففى باب الوثن نجد : الفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن : كل ما له جثة معمولة ، من جواهر الأرض ، أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى ، وتنصب فتعبد .

وتحت باب الصنم نقرأ :

الصنم : هو ما اتخذ الها من دون الله ، وقيل هو ما كان له جسـم أو صورة ، فان لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن .

ويحتمل أن يكون سبب هـذا الاضطراب ، أن الكلمتين تطلقان على المعنيين ، كما ذهب بعض العلماء ، اذ لم يفرقوا بينهما وأطلقوها على كلا المعنييـن .

فهبط بذاته من السماء ، والتحم فى بطن مريم العذراء[1] البتول[2] . أم النور فاتخذ[3] [لنفسه] منها حجابا كما سبق فى حكمته الأزلية ، لأنه فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة هو الله ، وهو مخلوق من طريق الجسم ، وخالق من طريق النفس[4] هو خلق جسمه ، وهو خلق

---

(١) جاء فى انجيل متى : « **هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا** » (متى ١ : ٢٣) .

وفى لوقا : « **وفى الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم** » (لوقا ١ : ٢٦ — ٢٧) .

فما معنى كلمة العذراء ؟

فسر علماء اليهود كلمة العذراء ، التى وردت فى كتاب أشعياء . « **ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل** » (أشعياء ٧ : ١٤) .

بأنها المرأة الشابة ، سواء فضت بكارتها أم لا .

وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة ، وعليه فيكون متى مخطئا ، فى نقل نص أشعياء ، لأن المسيح عليه السلام ، لم يدع بعمانوئيل اطلاقا ، والاستدلال به على أن العهد القديم ، قد بشر بالمسيح ، استدلال باطل .

اما علماء الاسلام فيذهبون الى ان المراد بعذرية مريم ، طهارتها وعفتها كما قال القرآن الكريم على لسانها : « **انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا** » (مريم : ٢٠) .

(٢) البتول من النساء : المنقطعة عن الرجال ، لا ارب لها فيهم ، وبها سميت مريم أم المسيح . والتبتل : ترك النكاح ، والزهد فيه ، والانقطاع عنه .

(٣) فى ج ، ع : « فأخذ » .

(٤) جاء فى انجيل « متى » : « **فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى امضى أصلى هناك . ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدا يحزن ويكتئب فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت** » (متى ٢٦ : ٣٦ — ٣٨) .

وفى انجيل « يوحنا » : « **الآن نفسى قد اضطربت** » (يوحنا ١٢ : ٢٧) .

أمة ، وأمه كانت من قبله فى الناسوت وهو كان من قبلها فى اللاهوت ، وهو الاله التام ، وهو الانسان التام[1] .

***

= فهذا يبطل ما جاء فى النص « وخالق من طريق النفس » ، اذ نسبة الحزن والاكتئاب ، الى النفس يدل على أنها مخلوقة ، لا خالقة ونسبة الفعل اليها ، وهو (الحزن) يدل على أنه كان له جسد بشرى ، ولا يأتى هذا الا اذا كانت له نفس مخلوقة ، لهـا خصائص بشرية ، فصورة الانسان ، وكذلك أعضاء جسمه ، تكتسب خصائصها من النفس . اذن من الخطأ القول : بأن هناك فرقا بين جسد المسيح ، ونفسه ، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر .

ذهب الى ذلك بعض الفلاسفة ، فقد رأى أرسطو أن الانسان لديه جوهر واحد كالتمثال تماما ، فالجسد مادته ، والنفس صورته ، وفيه تتخذ المـادة والصورة اتحادا جوهريا كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجـر أو الرخام ، الا بتحطيم التمثال نفسه . كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن ، الا بالقضاء على هذا الأخير . ومعنى ذلك أن أرسطو يجزم بأن المادة والصورة يكونان جوهرا واحدا فلا تنفك أحداهما عن الأخرى بحال ما ، ويترتب على هـذا انه ليس من الممكن القول باستقلال النفس عن الجسم ، أو بأن لهذا الأخير وجودا مسـتقلا دونها ، ولذا فالبدن جزء من ماهية النفس ، وكيف يجوز لنـا أن نعدها جوهرا مستقلا ، وهى لا تؤدى وظائفها المختلفة ، الا اذا استعانت بالجسم على نحو ما ؟ فهى تستخدم الحواس فى الابصار ، والسمع ، واللمس ، والذوق ، والشم ، وهل لهـا أن تتخيل ، أو تشتهى أو تغضب ، دون أن تكون على صلة وثيقة بالبدن ؟ (قاسم ص ٦٧ — ٦٨) .

(١) بدأ « يوحنا » انجيله بهذا المقطع : **« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله ... كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس .. والكلمة صار جسدا وحل بيننا »** . (يوحنا ١ : ١ — ١٤) .

فهم دعاة المسيحية من هذا النص أن الكلمة هى الله ، وأن الله هو الكلمة ، وأن الكلمة قد خلق كل شىء ، وأنه صار جسدا ، وحل بيننا فى شخص المسـيح .

ويرد القرآن دعواهم هـذه فيقول : **« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شـيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شىء قدير »** (المـائدة : ١٧) .

[الصلب كما يراه المسيحيون]

ومن تمام رحمته على الناس ، أنه رضى بارافة[1] دمه — [ليرفع] عنهم [وزر خطيئة آدم] —[2] فى خشـبة الصليب ، فمكن اليهود — أعداءه — من نفسه ، ليتم سخطه عليهم ، فأخذوه ، وصلبوه ، وغار[3] دمه فى اصبعه ، لأنه لو وقع منه شىء فى الأرض لييست ، الا شىء يسير وقع فيها ، فنبت فى موضعه النوار[4] لأنه لمـا لم يكن فى الحكمة الأزلية ، أن لا ينتقم الله من عبده العاصى آدم[5] الذى ظلمه ، واستهان بقدره ، ولم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السـيد وسقوط منزلة العبد .

أراد [الله] أن ينتصف من الانسان الذى هو اله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم ، بصلب عيسى المسيح ، الذى هو اله مثله[6] .

فصلب ابن الله عز وجل الذى هو الله ، فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، صلبته اليهود الملاعين[7] .

---

(١) فى ج : « بهرق » وفى ت ، ع : « باهراق » .

(٢) زدنا ما بين القوسـين المعقوفين وكذلك وضعنا علامة الجمـلة المعترضة لتفهم العبـارة .

(٣) غار يغور غورا : أتى الغور . وغار المـاء : ذهب فى الأرض .

(٤) لم تذكر الأناجيل الأربعة أن دمة غار فى اصبعه ، ولم تشر الى هذا النبت الذى خرج من الموضع الذى وقع فيه شىء من دمه ، ولكن ورد هذا فى الأساطير التى حكيت حول أحداث الصلب .

(٥) غفر الله لآدم خطيئته فقال تعالى : **« ثم اجتباه ربه فتاب عليـه وهـدى »** (طـه : ١٢٢) .

لكن المسيحيين يصرون على أن الله لم يغفر له هذه الخطيئة ، ليبرروا اعتقادهم فى أن المسيح قد صلب تكفيرا لهـا ، كى يخلص البشرية من وزرها .

(٦) فى ت : « الذى هو الله متساو معه » .

(٧) اقرأ أخبـار الصلب عنـد « متى » ٢٧ ، « مرقس » ١٥ ، « ولوقا » ٢٣ ، « ويوحنا » ١٩ .

واليهود تقر أنها صلبته ، وأنتم تنكرون ذلك[1] كفرا منكم ، لأن انكار الصلب منكم كفر[2] من ينكرها فهو كافر ، ولكنكم تعظمون المسيح ، فمن أجل ذلك أرتجى منكم أن يهديكم الله الى الحق .

* * *

[دعوة القسيس أبا عبيدة الى الايمان بعقيدة المسيحيين فى المسيح]

وما عقائدكم كلها الا حسنة ، وكان عندكم عدل كثير فى أصل دينكم وخير شامل فلو آمنتم بالمسيح وقلتم :

انه هو الله ، خالق السموات والأرض لكمل ايمانكم ، ولا شك أنك تقرأ التوراة . والزبور . والنبوات[3] فاعتبر ! فبها شواهد على ذلك كله .

---

(١) لأن الله يقول فى كتابه الكريم : « .. **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » . (النساء : ١٥٧) .

وانظر مالك بن نبى : ٣١٩ — ٣٢٠ .

(٢) فى ج ، ع : « لأن انكار الصلوبية عندنا كفر » .

(٣) يطلق اسم التوراة ، على الكتب الخمسة الأولى ، من الكتاب المقدس ، ومعنى التوراة فى اللغة العبرية القانون . جاء فى دائرة معارف لاروس تحت كلمة توراة ما يأتى :

« العلم العصرى ، ولاسيما النقد الألمانى ، قد اثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة ، وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ، وانها عمل أحبار ، لم يذكروا اسمهم عليها (انظر سبينوزا ص ٢٦٥ — ٢٧٥) ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها ، على روايات سماعية قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء الى أن هذه الأسفار الخمسة ، ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية ، لكنها تحتوى فقط ، على اشارات ، ورموز ، وحكايات ، وأن هجرة مصر ، ما هى الا قصة وهمية ، أو حادثة رمزية ، ليس لها أدنى أصل حقيقى » .

لئن صح ما قاله العلماء ، من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا . فلا يمكن — نحن المسلمين — أن نتفق معهم ، فى أن هجرة بنى اسرائيل ، قصة خرافية ، لأن القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين =

[صيغة الصلاة عند المسيحيين]

وصلاتنا[1] أحسن صلاة تقرأ ، وهي هذه :

أبانا الذى أنت فى السماء تتقدس اسمك ، وليأت[2] ملكك ، ولكن ارادتك فى السماء مثلها فى الأرض .

أعطنا خبزنا ، كفافنا[3] ؛ واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن لمن أذنب الينا ، ولا توقعنا[4] فى المحن ، وسلمنا من الشرور[5] .

=

يديه ، ولا من خلفه ، أخبرنا أن يوسف ، واخوته ، جاءوا الى مصر (اقرأ سورة يوسف) وأن ذريتهم ، خرجوا منها الى سيناء بزعامة موسى عليه السلام (اقرأ سورة طه : ٩ — ٩٩ ، والشعراء : ١٠ — ٦٧) .

الزبور : الكتاب جمعه زبر ، وقد غلب لفظ الزبور على الكتاب الذى انزل الى داود عليه السلام ، فقوله تعالى : ((**وآتينا داود زبورا**)) (النساء : ١٦٣) .

أى وأعطينا داوود ، كتابا خاصا ، مزبورا ، فالزبور بمعنى المزبور ، كالركوب بمعنى المركوب وهو المكتوب ، وكل كتاب فهو مزبور ، ومنه قول امرىء القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى

هل الزبور الذى انزل على داود هو المزامير الموجود فى العهد القديم الذى بين أيدينا ؟ يشك باحثو الأديان ، فى نسبة المزامير ، الى داود عليه السلام . (انظر سبينوزا ص ٣٠٩)

النبوات : هى أخبار أنبياء بنى اسرائيل ، الملحقة بالعهد القديم .

(١) فى ج : ((وصلواتنا)) .

(٢) فى ج : ((وات)) بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الالف .

(٣) فى ج : ((الماتم)) بدون نقط ، وفى ت : ((الملايم)) وساقطة من ع فوضعنا كلمة ((كفافنا)) الواردة فى انجيل ((متى)) .

(٤) فى ج : ((توسقنا)) بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الواو .

(٥) جاءت صيغة الصلاة فى انجيل ((متى)) على النحو التالى :

=

[نزول النور فى بيت المقدس]

فهذه صلاتنا[1] ، [...][2] وينزل الله علينا من السماء النور ، فى

=

« أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا . ولا تدخلنا فى تجربة . لكن نجنا من الشرير . الأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد ، آمين ».

(متى ٦ : ٩ — ١٣) .

وزاد فى ع : « السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة ، نعمة الرب معك ، مباركة أنت فى السماء ، ومبارك هو ثمرة بطنك يسوع . يا قديسة مريم ، ياوالدة الله ، صلى الأجلنا نحو الخطاة ، الآن ، وفى ساعة موتنا . آمين » .

(١) فى ج : « صلواتنا » .

(٢) زاد فى ع : تفصيلا لأركان المسيحية الخمسة ، نوجزها فيما يلى :

(أ) التغطيس ، ذلك أن فى كل كنيسة حوضا ، يملأه القسيس بالماء : ويقرأ عليه شيئا من الانجيل ، ويرمى فيه ملحا أو شيئا من دهن البلسان . فاذا أراد أحد اعتناق النصرانية ، يقام له احتفال يحضره بعض الأعيان ، ويتلو فيه القسيس عليه مبادىء المسيحية ، ثم يسأله : هل آمنت بهذا كله ؟ فيقول : نعم ، وحينئذ يأخذ القسيس جزءا من الماء المذكور ، ويسكبه عليه ، وهو يقول : وأنا أغطسك باسم الأب والابن ، والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بمنديل ، وينصرف ، وقد أصبح مسيحيا .

ويقام هذا الاحتفال الأولاد المسيحيين ، فى اليوم الثامن من ولادتهم ، غير أن أبا الطفل هو الذى يجيب على سؤال القسيس ، ولا يمكن أن يعتبر أحد مسيحيا ، الا بعد أن تقام له هذه الطقوس .

(ب) الايمان بالتثليث .

(ج) الاعتقاد بأن اقنوم الابن قد التحم بعيسى فى بطن مريم .

(د) الايمان بالقربان ، وهو الاعتقاد بأن فطيرة من خبز ، اذا قرأ عليها القسيس بعض كلمات تصير بعينها جسد المسيح ، كما انه اذا قرأ على بعض شراب الخمر ، فانه يصير دم عيسى . وتجرى طقوسا فى الكنيسة ،

=

كل سـنة فى بيت المقدس(١) .

***

=

فبعد أن يتم صنع الفطيرة ، يأمر القسيس بضرب ناقوس الكنيسة ، فيأتى المسيحيون ، ويقفون صفوفا ، ثم يتقدم القسيس أمام الصفوف ويستقبل المشرق ، ويقوم ببعض الطقوس ، ثم يأكلون الفطيرة ، على أنهـا جسـد المسيح ، ويشربون الخمر على أنه دم عيسى ، وذلك كما فعل المسيح ليلة القبض عليه كما يزعمون . (انظر متى ٢٦ : ٢٦ — ٣٠ ومرقس ١٤ : ٢٢ — ٢٦ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ — ٢٠) .

(هـ) الاقرار بجميع الذنوب للقسيس ، اذ يعتقد المسيحيون انه لا يمكن دخول الجنة ، الا بعد الاقرار بالذنوب للقسيس .

هذه هى أركان شريعتنا ، ألفها ، واتفق عليها أئمتنا ، وفقهاؤنا فى زمن « قسطنطين » الرومانى . ثم أورد نص القرار الذى أصدره مجمع « نيقية » وختم ذلك بقوله :

« فهذه هى عقائدنا ، التى أجمعت عليها جميع فرقنا ، واتفقوا على أنه لا يتم لنا عيد ، ولا قربان ، الا بها ، فانظر ، وتأمل الى معانيها الشريفـة وحكمها العظيمة ، عسى الله أن يلهمك بأسرارها ، فتخلص مما انتم عليـه من الأباطيل » .

(١) يعتقد المسيحيون : أن قيام عيسى من القبر ، هو نور الهى ، أرسله الله الى البشرية ليهديها الى « الطريق المستقيم » ، لذلك يحتفلون كل عام بهذه المناسبة ، فى كنيسة القيامة فى القدس ، وتتضمن مراسيم الاحتفال اطفاء أنوار الكنيسة ، واشعال النار فى مكان اتخذوه رمزا ، لقبر عيسى — فهو المكان الذى دفن فيه كما يزعمون — يشعل المحتفلون الشموع من هذه النار ، ويدخلون بها الى الكنيسة المظلمة — بعد اطفاء أنوارها — ليضيئوها « بنور المسيح » .

ويعتقد كثير من المسيحيين ، أن هذه النار نزلت عليهم من السماء .

بين أبو عبيـدة فى رده على القسيس هـذه الخدعة ، فليرجع اليهـا القارىء .

وكان قيصر روسيا — قبل قيام الثورة البلشفية — يرسل كل عام سفينة الى القدس محملة شموعا ، لاشعالها من هـذه النار ، لتضاء بها كنائس روسـيا .

[مكانة المطران عند المسيحيين]

وقد جعل الله فى أيدى المطارين[1] ما لم يجعله فى يد أحد ، وذلك أن[2] كل ما يفعلونه فى الأرض يفعله الله فى السماء ، فاذا أذنبنا ، فهم الذين يقبلون التوبات[3] ويعفون عن السيئات ، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات .

---

(١) المطران : رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ودون البطريرك جمعها : مطارنة ومطارين .

وتتدرج الألقاب الكهنوتية على النحو التالى :
١ ــ شماس . ٢ ــ قسيس . ٣ ــ أسقف . ٤ ــ مطران .
٥ ــ بطريك . ٦ ــ بـابـا .

(٢) فى ج : « أنهم » وفى ت : « أن جميـــع » ، وفى ع : « أنهم كلما يفعلونه » .

(٣) منحت المجامع الدينية البابا ، سلطات دينية ترفعه الى مرتبـــة غفران الذنوب ، فقد قرر مجمع روما المنعقد ســـنة ١٢١٥ م أن الكنيســـة البابوية ، تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

ومن يملك حق الغفران ، يملك بالتالى حق الحرمان !!!

وقد باشر رجال الدين فى الكنيسة ، هذه السلطة وتوسعوا فيها ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرارات الحرمان ، حتى لو تعلقت بالملوك والعظماء .

وشـاع بين المسيحيين ، أن الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيســـة ، فانتشرت صكوك الغفران ، وذاعت ، ومارستها كل الكنائس ، التى كانت تخضع للكنيسة البابوية ، فكان المذنب يدفع قدرا من المـــال ، فى مقابل الحصول على صك مكتوب فيه :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا ... : (يكتب اسم الذى سيغفر له) ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى ى ، أحلك من جميع القصاصات والأحكام ، والطائلات الكنســية ، التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الافراط ، والخطايا ، والذنوب ، التى ارتكبتها ،
=

[ما أورده من شبهات]

وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتبا ، فى الطعن فيه[1] ، وذكروا صاحب شريعتكم ، وحيله ، ووصفوا أشياء .

فرأينا أنكم لستم على الحق ، وانما الحق معنـــا . ولا فائدة فى شريعتكم ، لأنا نجد الأحكام الشرعية حكمين :

[الشبهة الأولى]

الأول : الحكم التوراوى ، والذى هو من لطمك فالطمه[2] .

=

مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وان كانت محفوظة لأبينا ، الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هــذه الفرصة ، وأرفع القصاصات ، التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثا ، الى الشركة فى أسرار الكنيسة واقترنك فى شركة القديسيين ، أردك ثانية الى الطهارة ، والبر ، اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب ، الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب ، الذى يؤدى الى فردوس الفرج ، وان لم تمت ســنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الأب ، والابن ، والروح القدس » .

ويعتمد أبناء الكنيسة فى غفران الذنوب ، على النص الذى جاء فى انجيل يوحنا : **« من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت »** (يوحنا ٢٠: ٢٣) .

(انظر Stohlins. 58 FF ، وشلبى ص ٨ — ٢٩)

أما الاسلام فيبين أن الله وحده ، هو الذى يغفر لمن يشاء ولا يمكن لأى انسان — مهما بلغت منزلته — أن يدعى هــذا الحق ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »** . (التوبة : ٨٠) .

(١) فى ج : « عليكم » وفى ع : « عليه » .

(٢) لم يرد هــذا التعبير فى التوراة ، وانما ورد فى سفر اللاويين :

=

الآخر : الانجيلى ، الذى هو : من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[1] .

وأنت ترى فضل هذا على الأول ، ثم لا تجد لهذين الحكمين ثالثا ، كان داخلا فيهما[2] .

* * *

[الشبهة الثانية]

وأى دليل يطلب على أنكم على الحق ، أكثر من أن يكون مكتوبا فى كتابكم :

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع »[3] .

والله قد قال فى التوراة :

« لا يتزوج الرجل الا امرأة واحدة ، كما كان آدم وزوجته »[4] .

=

« واذا احدث انسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به . كسر بكسر وعين بعين ، وسن بسن كما احدث عيبا فى الانســـان كذلك يحدث فيه » (اللاويين ٢٤ : ١٩ — ٢٠) .

(١) جاء فى الانجيل : **« سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن . واما انا فاقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول لـــه الآخر ايضا »** (متى ٥ : ٣٨ — ٣٩) .

(٢) جاء الرد على هذه الشبهة فى الأصل فلا داعى للتكرار .

(٣) النســـاء : ٣ .

(٤) لا يوجد هـــذا النص فى التوراة ، بل ورد فيها ما يخالف مفهومه فقد جاء فى سفر التكوين : **« واتخذ لامك لنفسه امرأتين . اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة ... وقال لامك لامرأتيه عادة وصلة : اسمعا قولى يا امراتى لامك واصغيا لكلامى ...»** (تكوين ٤ : ١٩ — ٢٣) .

=

. . . .

كذلك جمع يعقوب بين امرأتين هما ليئة ، وراحيل . (تكوين ٢٩) .

وهذا يدل على أن التعدد كان مباحا .

بل لم يرد نص فى الانجيل ، يدل صراحة على أن التعدد حرام ، وانما يعتمد المسيحيون فى تقييدهم الزواج بواحدة ، على نصوص يؤولونها تأويلا بعيدا عن مفهومها ، وعن السياق التى وردت فيه ، من ذلك ما نشره أحد القساوسة فى مجلة الفكر الاسلامى . (العدد الثانى عشر من السنة الأولى ص ٦٠ — ٦٢) :

« ان تعدد الزوجات هو على نوعين : تعدد الزوجات فى وقت واحد وتعدد الزوجات بالتتابع ، فتعدد الزوجات فى وقت واحد ، يقوم بأن يكون الرجل مقترنا بأكثر من امرأة ويعيش معهن فى آن واحد . بينما تعدد الزوجات بالتتابع ، يقتصر على أن يكون للرجل زوجة واحدة ، ولا يقترن بأخرى ، الا اذا توفيت الأولى ، أو حل من ارتباطاته بها . فتتابع الزوجات بالتتابع معناه اذن : أن الرجل ليس مقترنا الا بامرأة واحدة . والديانة المسيحية ما عرفت قط — وما أمكنها أن تعرف — تعدد الزوجات فى وقت واحد ، ولكنها عرفت تعدد الزوجات بالتتابع ، وهذا لا يسمى تعدد زوجات » .

جاء فى الانجيل المقدس ، أن التلاميذ سألوا السيد المسيح :

« أيحل لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت » ؟ فأجاب :

« أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكرا وانثى وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلزم امرأته ، فيصير الاثنان جسدا واحدا ، لا يفرقن الانسان ما جمعه الله » . (انجيل سيدنا المسيح للقدس متى ، الفصل ١٩ العدد ٤ — ٧).

لم يقل السيد المسيح : « ويلزم نساءه » ، بل « امرأته » أى « الرجل واحد » « امرأة واحدة » والاثنان يصيران جسدا واحدا .

والرجل الذى اقترن بامرأة قرانا صحيحا ، لا يحق له أن يطلقها ، أو يحل الارتباطات ، التى بينه وبينها ، ويتزوج امرأة أخرى ثانية :
« من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى : ومن تزوج التى طلقها زنى » .

(انجيل سيدنا المسيح للقديس لوقا : الفصل ١٦ العدد ١٨)

. . . .

=

كلنا نعلم أن لا زنا من قبل الرجل ، الذى يعيش مع امرأة ، ومع نساء عقد معها أو معهن زواجا صحيحا .. فبما أن الحياة مع امرأة ثانية ، هو فى الديانة المسيحية زنا . معناه أن تعدد الزوجات ، فى آن واحد ممنوع قطعا . هذا ما جاء فى الانجيل وهذا ما نجده بحرفيته ، فى رسالة القديس بولس ، الى أهل رومية حيث قال :

« **فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل مادام حيا ، فاذا مات حلت من شريعة الزوج ، وان سارت الى رجل آخر ، وزوجها حى عدت زانية ، واذا مات الزوج تحررت من الشريعة ، فلا تكون زانية ، وان صارت الى رجل آخر** » (رسالة القديس بولس الى أهل رومية ، الفصل ٧ ، العدد ٢ — ٤ ، ورسالته الأولى الى أهل كورنتس ، الفصل ٧ : العدد ٣٩) .

ويقول القديس بولس أيضا : « **فليكن لكل رجل امرأته ، ولكل امرأة زوجها ، وليقض الزوج امرأته حقها ، وكذلك المرأة حق زوجها** » .
(رسالته الأولى الى أهل كورنتس الفصل ٧ : العدد ٢ — ٣)

وقد رددنا عليه فى نفس العدد بما يلى :

١ — جاء فى التوراة فى مواضع متعددة ما يفيد تعدد الزوجات ، وقد أقر القسيس ذلك فى مستهل مقاله .

قال السيد المسيح : « **لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لانقض بل لأكمل ، فانى الحق اقول لكم : الى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل ، فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، واما من عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ، فانى اقول لكم انكم ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات** » (متى ٥ : ١٧ — ٢٠) .

ما هو الناموس الذى لم يأت السيد المسيح لنقضه ، اذا لم يكن المقصود به التوراة ؟

ألا يدل قوله « **لا يزول حرف واحد ..** » الخ

على أن المراد التوراة ؟

اذن فالمسيحيون ، ملزمون بأحكام التوراة — حسب رأى الأغلبية من علماء الدين — الا اذا ورد فى الانجيل ما ينقضها .

وقد ذكر « Stauffer » فى كتابه « Botschaft » أن رسالة المسيح كانت أخلاقية ، ولم تكن لسن قوانين ، واصدار تشريعات ، ودلل على ذلك بما جاء فى انجيل لوقا : « **وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث ، فقال له : يا انسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما** » (لوقا ١٢ : ١٣ — ١٤) .

ثم — عاد — أى Stauffer — فبين أن عيسى عليه السلام شرع « أخلاقيات جديدة » وصاحبها ابطال مقابلها فى التوراة ، ثم ذكر سبع نقاط اساسية ، خالف فيها الانجيل التوراة ، والمقام يقتضينا أن نذكر منها نقطتين ، تتعلقان بموضوعنا :

(ا) عقوبة الزانى فى التوراة القتل ، كما جاء فى سفر اللاويين (اصحاح ٢٠ فقرة ١٠ — ١٣) .

خالف الانجيل التوراة فى هذا ، وترك الزانية بدون عقاب .
(يوحنا ٨ : ١١)

(ب) اباحت التوراة الطلاق (التثنية ٢٤ : ١) . وحرمه الانجيل (مرقس ١٠ — ١٢) .

. . ولم يذكر « Stauffer » — كما لم يذكر أحد من الباحثين فى المسائل الدينية — أن الانجيل خالف التوراة فى تعدد الزوجات ، ولو كانت هناك فقرة واحدة تفيد هذا صراحة ، لملئت بها صفحات وصفحات لبيان مسايرة المسيحية فى أصولها ، للاتجاه الأوروبى فى مقابل الاسلام .

أما ما أورده من فقرات الانجيل ، فلا يدل على تجريم تعدد الزوجات ، بل على تحريم الطلاق ، فصيغة الافراد التى وردت فى اجابة عيسى عليه السلام ، جاءت لتماثل صيغة الافراد فى سؤال التلاميذ ، فلو فرض أن التلاميذ وضعوا سؤالهم على هذا النحو : « أيحل لأحد أن يطلق نساءه لأية علة كانت ؟ » فلربما أجابهم السيد المسيح : « . . . ويلزم نساءه . . . . . » .

فالافراد كان لمطابقة مثيله فى السؤال ، وظروف النص ، تبين بوضوح أنه لتحريم الطلاق ، ولا يفهم منه تحريم التعدد ، الا بتأويل متعسف .

. . . .

=

أما الفقرة الثانية : « **من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج التى طلقها زوجها زنى** » .

اذا فهم تحريم التعدد من الجملة الأولى ، فلن يفهم من الثانية - لأنه ربما يكون الرجل ، الذى تزوج المطلقة ليس معددا ، لأنها بالنسبة له زوجة أولى ، فلم كان زانيا ؟ فهو لم يعدد ....

كان زانيا لأنه دخل بامرأة ، لازالت فى عصمة آخر ، لأن الطلاق لم يعترف به ، لا لأنه عدد الزوجات .

اذن ملابسات النص بأكمله تصرفه الى تحريم الطلاق .

وقول القديس بولس لا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، الا اذا صيغ على الوجه التالى : « فليكن لكل رجل امرأة ولكل امرأة زوج »

ولا يخفى الفرق بين التعبيرين .

اذا كان تحريم الكنيسة تعدد الزوجات ، لا يستند الى نص صريح فمن اين جاء ؟

ونجد اجابة هذا السؤال فيما نقله الدكتور عبد الواحد وافى فى كتابه « قصد الزواج والعزوبة فى العالم » ص ٥٧ عن « Westermarck » بقوله :

« ... وقد اخذ بهذا النظام (الزوجة الواحدة) كثير من المجتمعات الانســـانية قديمها وحديثها ، متحضرها ، وبدائيها ، وساد على الأخص فى العصور القديمة عند قدماء اليونان والرومان ، ويسير عليه فى العصر جميع الأوربيين ، وسلالاتهم بأمريكا واستراليا وغيرهما ، وقد جعلته المسيحية المثل الاعلى للزواج وان لم يرد فى الانجيل نص صريح يدل على تحريم تعدد الزوجات ، واذا كان قدامى المسيحيين قد ساروا على نظام وحدة الزوجة ، فما ذاك الا لأن معظم الأمم الأوربية التى انتشرت فيها المسيحية فى أول الأمر كانت تقاليدهم تحرم تعدد الزوجات ، وقد سارت بعد اعتناقها المسيحية ، على ما وجدت عليـــه آباءها من قبل فلم يكن وحدة الزوجة لديها نظاما طارئا ، جاء به الدين الجديد الذى دخلت فيه ، وانما كان نظاما قديما جرى عليـــه العمل فى وثنيتها الأولى » .

تلك هى سياسة الكنيسة فى نشر عقائدها ، تحرم ، وتحلل ، لترغيب الناس فى اعتناق المسيحية ، ثم يصير ما حللته ، أو حرمته — بمرور الزمن —

=

[الشبهة الثالثة]

وكتب فى كتابكم[1] أن الرجل اذا طلق امرأته ثلاثا ، لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره[2] .

والله قد قال فى التوراة :

« من طلق امرأته ، ثم أحب مراجعتها ، فهى تحل له ، ما لم يتزوجها[3] رجل آخر[4] .

* * *

=

شريعة ، تدافع عنها الأجيال اللاحقة ، كأنه منزل من السماء ، ولم يكن سوى تحريفا لشريعة الله .

ولم نكف الكنيسة عن اتباع هذا الأسلوب الى اليوم ، فهى تغض الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين فى أفريقيا ، حتى القسيس فى الكنيسة الأفريقية ، تجوز له أن يتزوج أكثر من امرأة ، بينما يحرم هذا على زميله فى أوربا ، فأيهما المسيحية ، أتحريم التعدد على المسيحيين فى أوربا أم جوازه لشركائهم فى العقيدة فى افريقيا ؟

لا نجد عندهم جوابا سوى أنهم أحلوا تعدد الزوجات فى افريقيا ، ليكسبوا أتباعا ، والا خسروا المعركة أمام الاسلام ، لأن عادة الافريقيين التعدد ، والاسلام يبيحه ، فاذا هم تمسكوا بتحريمه ، فلن يعتنق أحد المسيحية فى افريقيا الا نادرا .

(١) فى ت : « وكذلك عندكم » .

(٢) يشير الى قوله تعالى : **« الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله ، فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون »** (البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

(٣) فى ع ، ج : « يمسها » .

(٤) نص ما جاء فى التوراة هو : **« اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فان**

=

[الشبهة الرابعة]

وكتب فى كتابكم :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسـهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن »[1] .

وقال الله فى التوراة :

« لا يكون قتال بين بنى آدم ، فان القاتل والمقتول فى النار »[2]

=

لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته . ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر . فان ابغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ، أو اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة . لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها ان يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست . لأن ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب الهك نصيبا »
(التثنية ٢٤ : ١ — ٤)

فأى فضل فى هذا على ما جاء فى القرآن الكريم ؟

أليس فيه تضييقا على المرأة ، فى أن تحيا حياة طبيعية فى المجتمع دون حرج ، مادامت ملتزمة حدود الآداب ، ومتبعة لأحكام الشريعة ؟

ان من غير المعقول عقلا ، أن يحكم على المرأة بالنجاسة ، اذا تزوجت رجلا آخر !!!

ولمـــاذا لم تتنجس باتصالها بالرجل الأول ، فتحرم على الثانى ؟
ان ذلك تحريف لشريعة الله !!!

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) لم يرد هذا النص فى التوراة ، بل ورد ما يفيد أن الله أمر موسى عليه السلام ، الا يهادن الخارجين عن عبادة الله ، بل يهدم مذابحهم ويكسر أصنامهم : « **احفظ ما انا موصيك اليوم ها انا طارد من قدامك الأموريين**

=

وليس العجب من هـذا ، فان الذى ذكرته[1] لك فى كتابك من الأحكام ، يمكنك أن تحتج فيه بالنسخ ، الذى هو مقدمة من مقدمات أصل شريعتك .

وانما العجب من قوله مخبرا : **«وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل»** وما فى التوراة والانجيل الا ضد ذلك[2] .

* * *

= **والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهدا مع سـكان الأرض التى أنت آت اليها لئلا يصيروا فخا فى وسطك بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم »** .

(خروج ٣٤ : ١١ — ١٣)

وجاء فى سفر العدد ، أن الرب أمر موسى ، أن ينتقم لبنى اسرائيل من المديانيين : **« وكلم الرب موسى قائلا : انتقم نقمة لبنى اسرائيل من المديانيين »**

(العدد ٣١ : ١)

فاختار موسى اثنى عشر الفا ، وأرسلهم الى مديان كما أمر الرب ، فقتلوا كل ذكر ، وسبوا النسـاء ، والأطفـال ، واخذوا أموالهم غنيمة .

(انظر العدد ٣١ : ٣ — ٥٤)

(١) فى ت : « الذى ذكرت » .

(٢) انكار القسيس ورود هذا فى التوراة واضح البطلان ، فقد جاء فى التوراة ، التى بين أيديهم (وهى المشكوك فى صحتها) ما يفيد ان الله رضى بما قام به بنو اسرائيل فى حرب العمالقة : **« فقال الرب لموسى اكتب هـذا تذكارا فى الكتاب وضعه فى مسامع يشوع . فانى سـوف أمحو ذكر عماليق من تحت السـماء . فبنى موسى مذبحا ودعا اسمه يهوه نسى . وقال ان اليد على كرسى الرب . للرب حرب مع عماليق من دور الى دور »** .

(خروج ١٧ : ١٤ — ١٦)

ومن يرضى عنه الله ، يدخله الجنة ، جزاء ما قام به ، وهو هنا حرب العماليق .

أما الانجيل الموجود بين أيدينا ، فقد جاء بالمتناقضات حول هذا الموضوع فبينما يقول : **« أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسـنوا الى مبغضيكم »**

(متى ٥ : ٤٤)

=

[الشبهة الخامسة]

والعجب أيضا من قوله عن مريم أم المسيح :

« **ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها** »[1] .

وقال عنها فى موضع آخر : « **يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا** » [2] .

وليست أم المسيح بأخت هارون ، ولا بابنه عمران ، وانما اسم أبيها يؤاخيم[3] ، فتوهمتم أنها ابنة عمران ، التى كانت أخت موسى وهارون[4] .

* * *

=

نطالع بعد قليل قوله : « **لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا** » . (متى ١٠ : ٣٤)

(١) التحريم : ١٢ (٢) مريم : ٢٨

(٣) فى ج ، ت : « يعقيم » .

لم تذكر الأناجيل اسم أبيها ، وانما جاء فى الأساطير انه «Joachim» (يؤاخيم) وأمها « Anna » (انا) [انظر «Mensching» ص ١٩ — ٩٢]

(٤) ورد فى التوراة : « **وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له . فولدت له هارون وموسى** » . (خروج ٦ : ٢٠)

« **واســم امرأة عمران يوكابد بنت لاوى التى ولدت للاوى فى مصر فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختهما** » . (عدد ٢٦ : ٥٩)

ويرجح الباحثون أن زمن وجود موسى وهارون كان ١٥٠٠ قبل الميلاد .

فما هو عمران المذكور فى قوله تعـــالى : « **اذ قالت امرأة عمران** » . (آل عمران : ٣٥)

=

. . . .

=

لقد عرف فى التاريخ رجلان بهذا الاسم :

(ا) عمران والد موسى وهارون وهو : عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

(ب) عمران بن ماثان والد مريم ، وكان من نسل سليمان بن داود بن نسى . وهم من نسل يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، وهو المذكور فى آية آل عمران المذكورة سابقا .

اذن ، فكيف نفسر وصف القرآن الكريم لمريم ، بأنها اخت هارون وبينهما خمسة عشر قرنا تقريباً ؟

ذكر العلماء فى تفسير قوله تعالى : ((**يا أخت هارون**)) . اربعة أقوال :

الأول : انه رجل صالح من بنى اسرائيل ، ينسب اليه كل من عرف بالصلاح . والمراد أنك كنت فى الزهد كهارون ، فكيف صرت هكذا . وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة . ويروى أن هارون الصالح هذا ، لما مات تبع جنازته اربعون الفا ، كلهم يسمون هارون تبركا به وباسمه !!

الثانى : انه اخو موسى عليه السلام ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم انما هو هارون النبى ، اذ كانت من أعقابه ، وانما قيل يا اخت هارون كما يقال : يا أخا همدان ، أى يا واحدا منهم .

الثالث : كان رجلا مشهورا بالفسق ، فنسبت اليه بمعنى التشبيه ، لا بمعنى النسبة .

الرابع : كان لها أخ يسمى هارون ، من صلحاء بنى اسرائيل ، فذكرت به . وهذا هو الأقرب لوجهين :

(ا) أن الأصل فى الكلام الحقيقة . وانما يكون ظاهر الآية محمولا على حقيقتها ، لو كان لها أخ يسمى بهارون .

(ب) انها أضيفت اليه ووصف أبواها بالصلاح ، وحينئذ يصير التوبيخ أشد ، لأن من كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش .
((الرازى ج ٢١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨)

[الشبهة السادسة]

وقال أيضا فى كتابكم عن ابليس أن الله أسقطه من السماء الى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم[1] .

وقال فى التوراة : انه أسقط ابليس من السماء ، قبل أن يخلق آدم[2] لأنه أراد أن يجعل نفسه ندا لله ، واعتز على الملائكة فقال لهم : أنا من نار ، ولا خالق ، فاجعلوا لى كرسيا ، أكون عليه شبه العلى .

فلم يتم قوله ، حتى أسقطه الله من السماء ، الى خزى الدنيا هو وجميع أصحابه الذين أضلتهم[3] الفكرة الرديئة[4] .

---

(١) يشير الى ما جاء فى الأعراف ١١ — ١٨ ، الحجر ٣٠ — ٤٣ ، وسورة ص ٧١ — ٨٥ .

(٢) سقط من ت : « من السماء الى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم ، وقد قال فى التوراة : انه أسقط ابليس ... » .

(٣) فى ج ، ع : « داخلتهم » .

(٤) لم ترد كلمة « ابليس » فى العهد القديم ، وما اشتهر فى قصة الخطيئة ، أنه أغوى حواء ودفعها الى الأكل من الشجرة ، فلم تذكره التوراة الا فى صورة حوار بين حواء والحية . (تكوين ٣ : ١ — ١٥)

واذا بحثنا عن الكلمة المرادفة ، وهى « الشيطان » نجد أن كاتب سفر أيوب هو أول من ذكرها : **« وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان ايضا فى وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت » ؟** . (أيوب ١ : ٦ — ٧)

اثر سفر أيوب على العقلية اليهودية ، فاعتقدت فى وجود :

— طبيعة خيرة ، وتتمثل فى الملائكة الذين أطلق عليهم سفر أيوب « بنو الله » .

— طبيعة شريرة ، وتتمثل فى الشيطان كما جاء فى نفس السفر .

— طبيعة الانسان (وأيوب رمز لها) .

. . . .

والشيطان وأعوانه ، يعملون ضد الانسان ، بينما الملائكة تدافع عنه أمام الله وتقف فى صفه ، بل تحارب الشيطان وأعوانه ، لتخلص الانسان منه ، ولتحفظ ملك الله خالصا له .

ويرجح علماء الأديان أن كاتب سفر أيوب ، كان واقعا تحت تأثير المعتقدات الزرادشتية ، التى انتشرت بين اليهود أثناء وجودهم فى بابل ، اذ أن زرادشت يؤمن بالثنائية :

— قوى الخير .
— قوى الشر .

وبأن الصراع قائم بينهما [انظر «Van Glasenapp» ص ٢٩٩]

نسج أحبار اليهود الأساطير ، حول الصراع بين الله والشيطان ، وتناقلوها جيلا بعد آخر الى أن صاغها كاتب رؤيا يوحنا اللاهوتى حيث قال

« وظهرت آية عظيمة فى السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها اكليل من اثنى عشر كوكبا . وهى حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد . وظهرت آية أخرى فى السماء . هو ذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان . وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها الى الأرض . والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت . فولدت ابنا ذكرا عتيدا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد . واختطف ولدها الى الله والى عرشه . والمرأة هربت الى البرية حيث لها موضع من الله لكى يعولوها هناك ألفا ومئتين وستين يوما . وحدثت حرب فى السماء . ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته . ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء . فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذى يضل العالم كله طرح الى الأرض وطرحت معه ملائكته وسمعت صوتا عظيما قائلا فى السماء : الآن صار خلاص الهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طرح المشتكى على اخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أمام الهنا نهارا وليلا » .

(رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٢ : ١ — ١٠)

ومن هذا نتبين أن القسيس اعتمد فى رأيه على ما كتب فى رؤيا يوحنا اللاهوتى التى هى تعبير عن الأسطورة التى شاعت بين اليهود وقد سبق أن بينا أن نسبة الرؤيا الى يوحنا ، افتراء وكذب عليه ، وأن المحقق « برطشنيد » يرى أن كاتبها رجل آخر غير يوحنا الحوارى ، صنفها فى ابتداء القرن الثانى

[الشبهة السابعة]

وأنتم تقولون : ان فى التوراة والانجيل والزبور والنبوات خللا[1] كثيرا[2] ، وأننا قد زدنا فيها ونقصنا ، وهذا من كفركم ، وليس معكم على ذلك دليل ، ولا هو مكتوب أيضا[3] فى الكتاب الذى جاء به صاحب شريعتكم ، وانما هو كلام قلتموه أنتم[4] .

=
الميلادى ، وذلك يجعلنا نضرب بها عرض الحائط ، فهى لا تخرج عن كونها أسطورة ، ومن شأن الأساطير الباس الحق بالباطل ، فجاء القرآن الكريم — وهو الكتاب المقدس الوحيد ، الذى حفظ من عبث الرواة — مبينا ما خلطوا وموضحا ما البسوا : **« اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين »** . (سورة ص : ٧١ — ٧٨)

(١) فى ت : « فسادا » .

(٢) ورد فى الانجيل نصوص كثيرة متناقضة ، ذكر المؤلف بعضا منه فى رده على رسالة القسيس .

أما النصوص المتناقضة فى التوراة ، والزبور ، والنبوات فعديدة ، ويستطيع القارىء أن يطالع طائفة منها ، فى كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم جـ ٢ ص ٣ — ٧ ، ص ١٣ — ١٩ وفى اظهار الحق ، لرحمة الله الهندى جـ ١ ص ٨٧ — ١٧٢ .

(٣) فى ج ، ع : « ولا أيضا هو مكتوب » .

(٤) يرى بعض العلماء أنه لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يفيد — على سبيل القطع — أن الكتب السماوية (التوراة ، الزبور ، الانجيل) قد حرفت أو بدلت .

وما جاء فيه حول هذا الموضوع يحتمل أكثر من وجه ، ولهذا سنذكر هنا أوضح الآيات دلالة على التحريف ، ثم نذكر عقب كل آية ، ما قاله
=

أئمة المفسرين فى عصور الاسلام الأولى . وسوف يقتضى هذا المنهج اسهابا — بل وتكرار أحيانا — اضطررنا اليه ، كى تتضح الصورة أمام القارىء .

(أ) قال الله تعالى : ((**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**))(البقرة : ٧٥)

((اعلم انا ان قلنا ، بأن المحرفين ، هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام ، فالمحرف هو التوراة)) .
وكيف ؟

((روى أن قوما من السبعين المختارين ، سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ، وما أمر به موسى ، وما نهى عنه ، ثم قالوا : سمعنا الله يقول فى آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء ، فافعلوا وإن شئتم الا تفعلوا فلا بأس .

وأما ان قلنا : المحرفون هم الذين كانوا فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم : فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، وذلك أنهم حرفوا نعت الرسول وصفته ، أو انهم حرفوا الشرائع . كما حرفوا آية الرجم . وظاهر القرآن ، لا يدل على أنهم أى شىء حرفوا .... وعن ابن عباس : أنهم زادوا فيه ونقصوا)) . (الرازى جـ ١ ص ١٣٥) .

أما الطبرى فيروى قولين فى التحريف :

— المحرف هو التوراة ، وهو رأى السدى .
— المحرف هو ما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو رأى الربيع .

((ثم يقول — اى الطبرى — وأولى التأويلين ، ما قاله الربيع بن أنس ، والذى حكاه ابن اسحاق عن بعض أهل العلم : من أن الله تعالى ذكره : انما عنى بذلك من سمع كلامه من بنى اسرائيل ، سماع موسى اياه ، ثم حرف ذلك وبدل .... فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم ، أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق ، وهم لا يسمعون من الله ، وانما يسمعون منكم .
((الطبرى جـ ٢ ص ٢٤٧ — ٢٤٨)

(ب) قال الله تعالى : ((**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**)) . (البقرة : ١٤٦)

. . . .

«يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون». (آل عمران : ٧١)

قال مجاهد : « ليكتمون الحق وهم يعلمون » : يكتمون محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوبا عندهم ، فى التوراة والانجيل . (الطبرى ج ٣ ص ١٤٦)

أما الرازى فيقول : لبس الحق بالباطل ، يحتمل هنا وجوها :

احدها : تحريف التوراة ، فيخلطون المنزل بالمحرف ، وهو رأى الحسن وابن زيد .

ثانيها : أنهم تواضعوا على اظهار الاسلام أول النهار ، ثم الرجوع عنه فى آخر النهار ، تشكيكا للناس ، وهو رأى ابن عباس وقتادة .

ثالثها : أن يكون فى التوراة ، ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ، من البشارة والنعت ، والصفة ، ويكون فى التوراة أيضا ، ما يوهم خلاف ذلك ، فيكون كالمحكم ، والمتشابه ، فيلبسون على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر ، كما يفعله كثير من المشبهة وهذا قول القاضى .

رابعها : أنهم كانوا يقولون : ان محمدا معترف بأن موسى عليه السلام حق ، ثم ان التوراة دالة على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ ، وكل ذلك القاء للشبهات . (الرازى ج ٢ ص ٩٨ — ٩٩)

(جـ) وقال تعالى : **« وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »** . (آل عمران : ٧٨)

وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب :

عن مجاهد : يحرفونه .

وعن قتادة : هم أعداء الله اليهود ، حرفوا كتاب الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

وعن ابن عباس : هم اليهود ، وكانوا يزيدون فى كتاب الله ، ما لم ينزل الله (الطبرى جـ ٦ ص ٥٣٦)

. . . .

أما الرازى فيقول : « كيف يمكن ادخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ؟

الجواب : لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام ، وعلى هـذا التقدير ، يكون هـذا التحريف ممكنا ، والأصوب عندى فى تفسير الآية وجـه آخر ، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كـان يحتاج فيها الى تدقيق النظر ، وتأمل القلب ، والقوم كانوا يوردون عليهـا الأسئلة المشوشة ، والاعتراضات المظلمة ، فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين . واليهود كانوا يقولون : مراد الله من هذه الآية ما ذكرناه لا ما ذكرتم ، فكان هذا هو المراد بالتحريف ، ولى الألسنة » .

(الرازى جـ ٨ ص ١١٤)

(د) وقال تعالى : **((من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خـيرا لهم وأقوم ولكـن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا))** (النساء : ٤٦)

تناول الرازى ـــ عند تفسير هذه الآية ـــ كيفية التحريف ، فذكر أنهـا تحتمل وجوها : أحدها : أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر ، مثل تحريفهم اسم « ربعة » عن موضعه فى التوراة بوضعهم « آدم طويل » مكانه ، ونحو تحريفهم « الرجم » بوضعهم « الحد » بدله .

ونظيره قوله تعالى : **((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله))** . (البقرة : ٧٩)

وان قيل : كيف يمكن هذا فى الكتاب ، الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته، مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب ؟

قلنا : لعله يقال : القوم كانوا قليلين ، والعلماء بالكتاب كانوا فى غاية القلة فقدروا على هذا التحريف .

الثانى : أن المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة ، والتأويلات الفاسدة وتحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم . وهذا هو الأصح .

الثالث : أنهم كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به ، واذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه .
(الرازى جـ ١٠ ص ١١٧ — ١١٨)

(هـ) وقال تعالى : ((**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه**)) . (المائدة : ١٣)

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهودنا من بنى اسرائيل قاسية ، منزوعا منها الخير ، مرفوعا منها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون فهم لنزع الله عز وجل التوفيق من قلوبهم ، والايمان ، يحرفون كلام ربهم ، الذى أنزله على نبيهم موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فيبدلونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذى أنزله الله جل وعز على نبيهم ، ثم يقولون لجهال الناس : ((هذا هو كلام الله الذى أنزله على نبيه موسى عليه السلام ، والتوراة التى أوحاها اليه)) .

كما حدثنى المثنى عن ابن عباس : ((**يحرفون الكلم عن مواضعه**)) يعنى حدود الله فى التوراة ، ويقولون : ان أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلوه ، وان خالفكم فاحذروا . (الطبرى جـ ٦ ص ١٢٨ — ١٢٩) .

وقال الرازى ((. . . . . ثم انه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال : ((**يحرفون الكلم عن مواضعه**)) وهذا التحريف ، يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ ، وقد بينا فيما تقدم ، أن الأول أولى ، لأن الكتاب المنقول بالتواتر ، لا يأتى فيه تغيير اللفظ)) .
(الرازى جـ ١١ ص ١٧٧) .

(و) وقال تعالى : ((**ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا**)) (المائدة : ٤١)

((وكان تحريفهم حكم الله تعالى ، الذى أنزله فى التوراة فى المحصنات والمحصنين من الزنا بالرجم ، الى الجلد . . . . يقولون ليهود المدينة : ((ان أوتيتم هذا الجلد ، فخذوه ، وان لم تؤتوه ، فاحذروا الرجم)) .
(الطبرى ج ١٠ ص ٣١٣ — ٣١٥)

. . . .

=

وجاء فى تفسير الرازى : ((**يحرفون الكلم من بعد مواضعه**)) اى من بعد أن وضعه الله مواضعه ، أى فرض فروضه ، وأحل حلاله ، وحـــرم حرامه . قال المفسرون : ان رجلا وامرأة من أشراف خيبر زنيا ، وكان حـد الزنا فى التوراة الرجم ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فأرسلوا قوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن حكمه فى الزانيين اذا أحصنا ، وقالوا : ان أمركم بالجلد فاقبلوه وان أمركم بالرجم فاحذروه ، ولا تقبلوا ، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، نزل جبريل بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فقال جبريل عليه السلام : اجعـــل بينك وبينهـــم ((ابن صوريا)) . فقال الرسول : هل تعرفون شابا أمرد أبيض اعـــور ، يسكن فدك ، يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم ، وهو اعلم يهودى على وجه الأرض ، فرضوا به حكما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو ، الذى فلق البحر لموسى ، ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم ، وأغرق آل فرعون ، والذى أنزل عليكم كتابه ، وحلاله وحرامه ، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال ابن صوريا : نعم ، فوثبت عليه سفلة اليهود . فقال : خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب ..... اذا عرفت القصة فنقول : قوله ((**يحرفون الكلم عن مواضعه**)) اى وضعوا الجلد ، مكان الرجم . وقوله ((**يقولون أن أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا**)) اى ان أمركم محمد بالجلد فاقبلوا ، وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا)) .

(الرازى ج ١١ ص ٢٣٢ — ٢٣٣)

ونستنتج مما تقدم — ضاربين الصفح عن فحص الروايات التى وردت فى التفسير حتى لا نطيل على القارىء أكثر من هذا — أن العلماء اختلفوا فى مفهوم التحريف :

— فالمحرف هو ما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم .

— أو المحرف هو التوراة .

ثم تشعب الاتجاه الثانى الى آراء :

— حرف اليهود التوراة بالزيادة والنقص فيها .

— أو وضعوا لفظا مكان آخر .

=

. . . .

= ـــ أو فهموا من النص معنى لا يستقيم مع منطوق اللفظ فأولوه تأويلا باطلا بعيدا كل البعد عما يدل عليه مفهوم النص ، ويرى الرازى أن هـــذا الرأى هو الأصح .

***

اهتم علماء الأديان ، والباحثون فى علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة تاريخيا ومنهجيا ، ومن أهم النتائج ، التى توصل اليها بعضهم ، الشك فى نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ، اما لتأخر تدوينها عن عصره ، أو للمعلومات الخاطئة ، والصورة المهزوزة ، التى يشتمل عليها النص ، الموجود بين أيدينا . وكتب فى ذلك كثير من علماء المسلمين (راجع : رحمة الله الهندى جـ ١ ص ٢١٧ ـــ ٣٣٦) ، ورجال اللاهوت المسيحيين واليهود ، والمقام يحتم علينا الاستشهاد بما قاله غير المسلمين ، فهو أبلغ فى الدلالة ، وأوقع فى نفس السامع . فاخترنا مقولة فيلسوف يهودى ، درس علـــم اللاهوت ، وعلم الكلام ، بجانب دراسته الفلسفية ، ألا وهو « سبينوزا » .

يرى « سبينوزا » : أن الجميع ـــ تقريبا ـــ يعتقدون أن موسى قـــام بتدوين الأسفار الخمسة ـــ أى التوراة ـــ الموجودة بين أيدينا ، « بل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأى باصرار شـــديد ، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين . ولهذا السبب ، فان ابن عزرا ـــ (هو ابراهيم بن عزرا ولد سنة ١٠٩٢ أو سنة ١٠٩٣ وتوفى فى غرناطة سنة ١١٦٧ . وهو عالم وشاعر ، ويبدو أنه أول شارح للتوراة ، شك فى نسبة الأسفار الخمسة ، الى موسى) (S. Nölle S. 20) ـــ لم يجرؤ على الافصاح عن ذلك صراحة ، واكتفى بالاشارة اليه ، بألفاظ مبهمة أما أنا ـــ أى سبينوزا ـــ فلن أخشى توضيحها ، واظهار الحق ناصعا . هذه هى أقوال ابن عزرا ، فى شرحه على « التثنية » » .

ـــ فيما وراء نهر الأردن .. الخ .
ـــ لو كنت تعرف سر الاثنتى عشرة . . .
ـــ كتب موسى شريعته أيضا . . .
ـــ وكان الكنعانى على الأرض . . . .
ـــ سيوحى به على جبل الله . . .
ـــ ها هو ذا سريره سرير من حديد .
ـــ حينئذ تعرف الحقيقة .

بهذه الكلمات القليلة يبين ، ويثبت فى الوقت ذاته ، أن موسى ليس هو =

. . . .

=
مؤلف الأسفار الخمسة ، بل ان مؤلفها شخص آخر ، عاش بعده بزمن طويل، وأن موسى كتب سفرا مختلفا . وللبرهنة على ذلك يذكر :

١ ــ أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن .

٢ ــ نقش سفر موسى كله بوضوح تام ، على حافة مذبح واحد (انظر التثنية ٢٧ ، يشوع ٨ : ٣٢) يتكون من اثنى عشر حجرا ، حسب عدد الأحبار ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى ، كان فى حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة ، وهذا ما يقصد اليه المؤلف بقوله:«سر الاثنتى عشرة . .».

٣ ــ كذلك يذكر ، أنه قد ورد فى التثنية (٣١ : ٩) : **« وقد كتب موسى هذه التوراة »** .

ويستحيل أن يكون موسى ، قد قال ذلك ، بل لا بد أن يكون قائلهـا كاتب آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ ــ يذكر هذا النص من التكوين (١٢ : ١) وفيه يقص الراوى رحلة ابراهيم ، فى بلاد الكنعانيين ، ويضيف : **« والكنعانيون حينئذ فى الأرض »** .

وهذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك ، عندما كان يكتب ، فلابد أن هـذه الكلمات ، قد كتبت بعد موت موسى ، وبعد أن طرد الكنعانيون ، ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق ... لأن الكنعانيين فى زمان موسى ، كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض .

٥ ــ يذكر أنه جاء فى التكوين (٢٢ : ١٤) : أن جبل موريا ، سمى جبل الله .

ولم يحمل هذا الاسم ، الا بعد الشروع فى بناء المعبد ، وهذا الاختيار متأخر عن موسى فى الزمان . والواقع أن موسى لا يشير الى أى مكان اختاره الله ، بل انه تنبأ ، بأن الله سيختار بعد ذلك مكانا ، سيطلق عليه اسم الله.

٦ ــ وأخيرا يذكر أن التثنية « الاصحاح ٣ » تدخل بعض الكلمـات فى الرواية الخاصة بعوج ملك باشان :

« ولقد بقى عوج ملك باشان وحده ، من بين العمالقة الآخرين ، وها هو سريره ، سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله ، تسعة أذرع ، الموجود فى الربة عند أطفال آمون ... » الخ .

=

هذه الاضافة تدل بوضوح تام ، على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى بمدة طويلة ، طريقته فى الحديث عن الأشياء ، طريقة مؤلف يروى قصصا قديمة جدا ؛ ويذكر بعض الآثار ، التى ما زالت باقية من هذا الزمن البعيد ، ليجعل كلامه موثوقا به ، وفضلا عن ذلك ، فلا شك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدى الا فى عصر داود الذى استولى على الربة كما يروى صموئيل الثانى (١٢ : ٢٩) . . . . . وهكذا شرحنا فكر ابن عزرا ، وكذلك نصوص الأسفار الخمسة ، التى ذكرها ، لكى يثبت فكره هذا . ولكن يبدو أنه قد فاته ، أن يذكر أهم الأمور ، اذ يمكن ابداء ملاحظات اخرى متعددة ، أكثر خطورة على الأسفار . فمثلا :

١ — لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وانما يعطى عنه شهادات عديدة ، مثل :

تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجها لوجه ، كان موسى رجلا حليما جدا ، أكثر من جميع الناس (العدد ١٢٥ : ٣) ، فسخط موسى على وكلاء الجيش (العدد ٣١ : ١٤) ، موسى رجل الله (التثنية ١٣ : ١) ، لقد مات موسى خادم الله ، ولم يقم من بعد نبى فى اسرائيل كموسى .

وعلى العكس ، يتحدث موسى ، ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى التثنية ، التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول :

كلمنى الرب (التثنية ٢ : ١ : ١٧ الخ) ، ورجوت الرب . . . الخ .

الا فى آخر السفر ، حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ، ويحكى فيه روايته ، كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، (التى شرحها) ، كتابة ، ثم أعطاهم تحذيرا أخيرا ، وبعد ذلك ، أنتهت حياته .

كل ذلك — أعنى طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها يدعو الى الاعتقاد :

بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر .

٢ — يجب أن نذكر أيضا ، أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ، ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروى أيضا أنه فاق جميع الأنبياء ، اذا قورن بالأنبياء ، الذين عاشوا بعده :

. . . .

« ولم يقم من بعد نبى فى اسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب ، وجها لوجه » (التثنية ٣٤ : ١٠) .

هذه شهادة لم يكن من الممكن ، أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ ، قد استعمل صيغة الفعل الماضى : « ولم يقم من بعده نبى فى اسرائيل » .

ويقول عن القبر : « ولم يعرف احد قبره ، الى يومنا هذا » (التثنية ٣٤ : ٦) .

٣ ــ يجب أن نذكر أيضا ، أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء ، التى عرفت بها فى زمن موسى ، بل أطلقت عليها أسماء ، عرفت بعده بوقت طويل :

اذ يقال ان ابراهيم تابع اعداءه حتى دان (انظر ، التكوين ، ١٤ : ١٤)

وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله الا بعد موت يشوع بمدة طويلة (انظر ، القضاة ١٨ : ٢٩) .

٤ ــ تمتد الروايات فى بعض الأحيان ، الى ما بعد موت موسى ، فيروى فى الخروج (١٦ : ٣٥) :

أن بنى اسرائيل ، اكلوا المن اربعين يوما ، حتى وصلوا الى أرض مسكونة ، على حدود بلاد كنعان ، اى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع (٥ : ١٢) .

وكذلك يخبرنا سفر التكوين (١٦ : ٣١) :

« وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم ، قبل أن يملك ملك فى بنى اسرائيل » .

ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك ، الذين كانوا يحكمون الأدوميين ، قبل أن يخضعهم داود لحكمه ، ويضع حاميات ضدهم فى أديميا (انظر ، صمويل الثانى ٨ : ١٤) .

من هذه الملاحظات كلها ، يبدو واضحا وضوح النهار :

أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة .

. . . .

=

ولكن لتبحث ، ان شئت ، بمزيد من الدقة فى الأسفار ، التى كتبها موسى نفسه ، والمذكورة فى الأسفار الخمسة .

فمن الثابت فى « الخروج » (١٧ : ١٤) :

أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ، ولا يقول لنا هــذا الاصحاح نفسه ، أى سفر كتب ؟ بل ترد فى « العدد » (٢١ : ١٤) اشارة الى سفر يسمى « حروب الرب » يحتوى ولا شك على قصة الحرب ضد عماليق، وعلى كل أعمال اقامة المعسكرات (التى يشهد مؤلف الأسفار الخمسة فى « العدد » (٢٣ : ٢) . بأن موسى قد عرضها كتابة) .

كما جاء فى « الخروج » (٢١ : ١٤) : أن هناك سفر آخر ، يعرف باسم : «سفر العهد» :

قرأه موسى أمام الاسرائيليين ، عندما عقدوا عهدا مع الله .

ولا يحتوى هذا السفر ، أو هذه الرسالة ، الا على أشياء قليلة ، أى أنه لا يحتوى الا على شرائع الله ، ووصاياه ، الموجودة فى « الخروج » فى الاصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الاصحاح ٢٤ .

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشىء من الفهم السليم ، ودون تحيز ، فقيه يرى أنه بمجرد أن عرف موسى رأى الشعب فى العهد المبرم مع الله ، كتب على التو كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب ، شروط العهد فى الصباح ، بعد اقامة بعض الطقوس ، وبعــد هذه القراءة ، دخل الشعب فى هذا العهد ، بمحض رضاه ، بعد أن عــرف الناس كلهم ، بلا شك هذه الشروط .

ونظرا الى ضيق الوقت ، الذى استغرقته كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظرا الى طبيعة هذا العهد ، كان حتما ألا يحتوى هذا السفر ، أكثر مما قلته الآن .

وأخيرا فمن الثابت :

أن موسى قد شرح جميع الشرائع ، التى سنها فى السنة الأربعين ، بعد الخروج من مصر (انظر التثنية ١ : ٥) .

وأخذ من الشعب وعدا جديدا ، بأن يظلوا خاضعين لهــذه الشرائع (انظر التثنية ٢٩ : ١٤) .

=

ثم كتب سفرا يحتوى على هذه الشرائع ، التى تشرح هذا العهـد الجديد (انظر التثنية ٣١ : ٩) . وقد سمى هذا السفر : « توراة الله » .

وقد أضاف اليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة ، رواية العهد ، الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه ، وهو ثالث عهد ، يقيمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤ : ٢٥ — ٢٦) .

ولما لم يكن لدينا اى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضرورة ، بأن هذا السفر قد فقد .

(سبينوزا ، ص ٢٦٦ وما بعدها)

يتساءل المرء — بعد أن تظهر امامه هذه الحقيقة — عن السبب فى أن القرآن الكريم ، أشار الى ذلك اشارات خفيفة !

لماذا لم يكشف الأخطاء فى التوراة ، فيهاجمها بأسلوب واضح لا يحتمل التأويل ؟ والجواب :

ان أسلوب القرآن الكريم ، فى معالجة أخطاء التوراة ، يدل على انـه ليس من أعمال البشر ، بل هو منزل من عند الله ، الذى يعلم دقائق الأمور ، وأسرار الطبائع البشرية ، ذلك انه لو أعلن مهاجمته للتوراة سافرة ، لكان ذلك أشبه بالمهاترات ، التى تتقاذفها الطوائف المتنازعة ، اذ يلقى كل التهمة على الآخر ، تحت تأثير العواطف الثائرة ، وغالبا ما يكون هذا الأسلوب بعيدا عن الاطار العلمى — حسب التعبير الحديث — وخارجا عن دائرة التفكير العقلى ، ولهذا ركز القرآن على ناحيتين هامتين :

(ا) وحدانية الله ، فقد وضح هذه المسألة وضوحا لا لبس ، ولا غموض فيها ، بل وصل به الأمر أحيانا ، الى التهديد الشديد ، والوعيد لمن يشرك بالله ، واستعمل فى ذلك أبلغ العبارات ، وأوضحها : **« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شىء قدير » .** (المائدة : ١٧)

« لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » (المائدة : ٧٣)

[ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات]

فلو أنك تطالع جميع كتبنا ، وما كان لنا من الفضائل ـــ وحتى [الى] الآن ـــ فان[1] منا أقواما صالحين ، يوعون الآيات والبراهين ، ولكنهم لا يظهرونها ، ، الا فى وقت الحاجة اليها . ولو شاهدت نزول النور ،

=

(ب) اثبات أن محمدا رسول الله يتلقى الوحى من السماء :

((ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ، وان تكفروا فان لله ما فى السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما)) .
(النساء : ١٧٠)

((قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض ، لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)) (الأعراف : ١٥٨)

((وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، انه كان غفورا رحيما)) (الفرقان : ٤ ـــ ٦)

((أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)) (النساء : ٨٢)

فاذا نجحت الدعوة ، فى اقناع الفرد ، بأن الله واحد ، وأن محمدا رسول الله ، فاعتقد الانسان ، أن القرآن وحى من الله ، لم يعد للتوراة ـــ ولا لغيرها ـــ وجود ، اذ تحل التشريعات القرآنية مكانها ، ويتخذها الفرد منهاجا له ، فى سلوكه ويقرها المجتمع قانونا ، ينظم شئون حياته كلها . وحينئذ تصبح قضية التوراة عديمة الأهمية ، ويستوى ثبوت التحريف ، وعدم ثبوته ، اذ هو يتعلق بشىء ، لم يعد سارى المفعول فى المجتمع الذى آمن :

ـــ بوحدانية الله .

ـــ وبأن محمدا صلى الله عليه وسلم ، أرسل الى الناس جميعا . وبالقرآن وحيا منزلا من الله عليه .

(١) فى ع : ((فانه)) .

الذى يأتينا ، فى كل سنة ، فى ليلة عيدنا الكبير [...][1] ، لرأيت أمرا عجيبا وشيئا غريبا[2] .

***

(1) زاد فى ع : « أو يد الله التى كانت تظهر لنا فى كنيسة كانت لنا فى الأندلس » .

(2) أظهر الله على يد عيسى عليه السلام ، معجزة احياء الموتى ، وابراء الأكمه ، والأبرص ، تأييدا له ، وبيانا لمن بعث فيهم ، بأنه رسول من عند الله . ولم يحدثنا القرآن الكريم ، عن رسول أحيا الموتى — مخالفا بذلك سنن الله فى خلقه — الا عيسى عليه السلام ، فهى منحة من الله أعطاها له ، لحكمة لا ندرك كنهها ، وان عللها علماء الأديان بعلل شتى .

« وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله » . (الرعد:٣٨،غافر:٧٨)

تلك كانت آية عيسى وحده ، دون غيره من الأنبياء ، فاذا لم يعطها الله لأحد منهم ، فأولى به ألا يعطيها ، لمن هم دون الأنبياء ، اذ لا فائدة فيها .

لكن يبدو أن طبيعة هذه المعجزة — أعنى احياء الموتى — أثرت على عقلية أتباع المسيح ، كما اثرت عليها ، ما قصه اليهود من المعجزات ، التى ايدهم الله بها ، فقد حاولوا — أى اليهود — ، أن يبينوا بذلك ، أن الطبيعة كلها مسيرة لمصلحتهم وحدهم ، بأمر من الاله ، الذى يعبدونه ، وذلك حتى يقنعوا المعاصرين لهم ، من غير اليهود ، الذين يعبدون آلهة منظورة كالشمس والنور والأرض والماء والهواء ... الخ وحتى يبينوا لهم ضعف هذه الآلهة، وتقلبها ، ، أى تغيرها وخضوعها ، لاله غير منظور . وقد سر الناس بذلك ، الى حد أنهم ما زالوا حتى اليوم يصطنعون معجزات بخيالهم ، حتى يعتقد الآخرون، أن الله قد فضلهم على الآخرين .

أثر هذا كله على رجال اللاهوت المسيحيين ، فاعتقدوا أنهم قادرون على الاتيان بخوارق العادات ، مستندين الى ما ورد فى الانجيل :
« فالحق اقول لكم : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شىء غير ممكن لديكم »
(متى ١٧ : ٢٠)

« لأنى الحق أقول لكم : ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » .
(مرقس ١١ — ٢٣)

=

[الشبهة الثامنة]

وأنتم تقولون : ان فى الجنة أكلا وشربا ونكاحا ، وجميع ذلك عندكم فى الكتاب (١) الذى جاء به صاحب شريعتكم (٢) • ونحن ننكر جميـــع

= ثم تمادى الرهبان فى الاغراق فى هذه الناحية ، فزعموا أن الله فضلهم على الآخرين ، باظهار خوارق العادات على أيديهم ، وشاع ذلك عنهم ، حتى طغى هذا الجانب على غيره ، وأصبحت هذه الظاهرة أمرا ملازما ، للدين المسيحى ، وطبيعة خاصة ، لدى من يقومون بالطقوس الدينية •

شاع هذا بين العامة — حتى صدقها أيضا عدد غير قليل من المسلمين — لانهم عاجزون فكريا ، عن التفريق بين الحقيقة ، والادعاء ويميلون — بفطريتهم البدائية — الى نصديق الخرافات •

لكن المحققين ، استطاعوا التوصل الى ما يكمن وراء هذه الاعمال ، التى ادعى القسيسون ، أنها معجزات ، أظهرها الله على أيديهم ، دليلا على صدقهم واتباعهم طريق الحق :

زعموا أن لديهم جدارا يبكى ، اذا تلى الانجيل أمامه ، ويوهمون العامة، انه يبكى لما يعلمه من أمر الانجيل •

وحقيقة الأمر ، أن فى جفه مجارى ، فى غاية الدقة ، متصلة بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشمامسة ، فيخرج المـــاء من المجارى ، ويتصل بالمنافذ ، التى رسموها ، على هيئة عيون ، فتسيل « دموعا » ، فيراها الخاص والعام، ومن لا يعرف سرها ، وعنده استعداد التصديق بمثل هذه الخوارق ، يعتقد أنهـــا معجزة ، تدل على أن الأناجيل التى بأيديهم صحيحة •

وشبيه بذلك تلك الأصنام ، التى كانوا يصنعونها ، على هيئة امرأة يخرج اللبن من أثدائها ، عند قراءة الانجيل أمامها •

أما حقيقة النور ، الذى يرونه فى بيت المقدس ليلة عيدهم ، فليس الا احدى الحيل ، التى برعوا فيها ، بينها المؤلف فى رده ، كما بين حقيقـــــة « يد الله » التى تمتد لهم فى يوم معلوم من السنة •

(١) فى ج : « وجميع ذلك عندكم هو مكتوب فى الكتاب » • وفى ع : « وجميع ذلك هوعندكم مكتوب فى الكتاب » •

(٢) يشير الى قوله تعالى : « **ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون** •

=

ذلك[1] ، ولا يمكن بوجــه من الوجــوه [وقوعــه] عنــدنا ، ذلــك أننا[2] اذا حشرنا يوم القيامة ، حشرنا بأجسادنا ونفوســنا ، ولكن لا نأكل [هناك] ولا نشرب[3] .

* * *

=

هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون» .
(يس : ٥٥ — ٥٧)

وقوله : « مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آســن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عســل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » (محمد : ١٥)

وقوله : « فى جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون » . (الواقعة : ١٢ — ٢٤)

(١) استنادا الى ما جاء فى الانجيل «وجاء اليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين : يامعلم كتب لنا موسى ان مات لأحــد أخ وترك امرأة ولم يخلف أولادا أن يأخذ أخوه امرأته ويقيم نسلا لأخيه . فكان سبعة اخوة أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلا فأخذها الثانى ومات ولم يترك هو أيضا نسلا . وهكذا الثالث . فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلا . وآخر الكل ماتت المرأة أيضا . ففى القيامة متى قاموا لمن منهم تكون زوجة . لأنها كانت زوجة للسبعة . فأجاب يسوع وقال لهم : أليس لهذا تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة فى السموات » .

(مرقس ١٢ : ١٨ — ٢٥)

(٢) فى ج : ت : « ذلك الا أنا » .

(٣) لم يرد فى التوراة (الموجودة بين ايدينا) ذكر للدار الآخرة ، فلــم نوعد اليهود بشىء مقابل طاعتهم ، الا باستمرار دولتهم ، التى يسعدون بها وبنعيم الدنيا ، وفى مقابل ذلك فانها أنذرتهم بسقوط الدولة ، وبأفدح المصائب لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه .

وكما أن غاية كل مجتمع ، وكل دولة ، هى العيش فى أمن ، والحصول

=

. . . .

=

على مزايا معينة ، فان الوعود ، التى نجدها فى التوراه — مقابل المحافظة على الشريعة — لم تكن سوى الأمن فى الحياة ، والنعم المادية ، وعلى العكس من ذلك ، فلم يتنبأ لهم بعذاب أكيد مقابل عصيانهم سوى انهيار الدولة ، وما ينتج عن ذلك عادة من الشرور ، وكذلك بعض المصائب التى تحل بهم خاصة ، وذلك نتيجة لانهيار دولتهم . (انظر : سبينوزا ص ١٧٧)

فاذا نظرنا فى العقوبات ، والمكافآت التى تحدثت عنها التوراة ، نجد أنها تتعلق بأشياء مادية ، وينالها المرء — سواء أكانت عقوبة أو جزاء — فى الحياة الدنيا ، فحين توجه الله سبحانه ، الى الأسرة الانسانية الأولى ، بشأن الفاكهة المحرمة ، قال : ((**وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه ، لئلا تموتا**)) (تكوين ٣ : ٣)

وحين خاطب ولدها الأكبر قابيل ، قاتل أخيه هابيل ، قال : ((**فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها ، لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها**)) . (تكوين ٤ : ١١ — ١٢)

وعندما فسدت الأرض بعد ذلك بحين من الدهر ، فعوقبت بالطوفان ، بارك الله نوحا وبنيه ، فقال : ((**أثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض**)) . (تكوين ٩ : ١)

وقوبل اذعان ابراهيم ، للارادة الالهية ، حيث أطاع الله ، فهم بذبح ابنه ، بورك بالخيرات الأرضية ، على سبيل الثواب : ((**بذاتى أقسمت يقول الرب ، انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه**)) . (تكوين ٢٣ : ١٦ — ١٧)

منذ ذلك الحين أصبحت هذه الأفكار مألوفة لدى ذرية ابراهيم ، فهى تعد صيغة السلام والمباركة ، فان اسحاق يبارك يعقوب بهذه الكلمات :

((**فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل**)) (تكوين ٢٧ : ٨ — ٩)

ويقول الرب أيضا لاسرائيل (يعقوب) : ((**أثمر ، وأكثر ، أمة ، وجماعة**

=

أمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت ابراهيم واسحاق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض » .

(تكوين ٣٥ : ١١ — ١٢)

فاذا وصلنا الى موسى ، وجدناه ، يركز على تنمية نفس الهدف ، ليعظ أبناء اسرائيل ، وهو ينقل اليهم الدعوة الالهية ، ليحملهم على الايمان بها :

« وتعبدون الرب الهكم . فيبارك خبزك ، وماءك ، وأزيل المرض من بينكم . لا تكون مسقطة ولا عاقر فى أرضك . وأكمل عدد أيامك ارسل هيبتى أمامك ، وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم ، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين . وأرسل أمامك الزنابير . فتطرد الحويين والكنعانيين ، والحثيين من أمامك . لا أطردهم من أمامك فى سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك الى أن تثمر وتملك الأرض .. »

(خروج ٢٣ : ٢٥ — ٣٠) .

ويقول الرب لهم فى موضع آخر : « اذا سلكتم فى فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعملتم بها ، أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها ، وتعطى أشجار الحقل أثمارها . ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ، فتأكلون خبزكم للشبع ، وتسكنون فى أرضكم آمنين . وأجعل سلاما فى الأرض ، فتنامون وليس من يزعجكم . وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ، ولا يعبر سيف فى أرضكم . وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ، يطرد خمسة منكم مئة ، ومئة منكم يطردون ربوة ، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف . وألتفت اليكم وأثمركم ، وأكثركم ، وأفى ميثاقى معكم . فتأكلون العتيق المعتق ، وتخرجون العتيق من وجه الجديد . وأجعل مسكنى فى وسطكم ، ولا ترذلكم نفسى . وأسير بينكم ، وأكون لكم الها ، وأنتم تكونون لى شعبا . أنا الرب الهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، من كونكم لهم عبيدا ، وقطع قيود نيركم وسيركم قياما . لكن ان لم تسمعوا لى ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وان رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتهم كل وصاياى ، بل نكثتم ميثاقى . فانى أعمل هذه بكم . أسلط عليكم رعبا ، وسلا وحمى تفنى العينين ، وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم ، فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهى ضدكم ، فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتسلط عليكم مبغضوكم ، وتهربون وليس من يطردكم » .

(لاويين ٢٦ : ٣ — ١٧)

. . . .

وبقول فى موضع آخر : ((**ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام، وتحفظون، ونعملونها ، يحفظ لك الرب الهك العهد ، والاحسان اللذين أقسم لآبائك ويحبك ويباركك ، ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك ، وثمرة أرضك ، قمحك ، وخمرك ، وزيتك ونتاج بقرك ، واناث غنمك ، على الأرض ، التى أقسم لآبائك أنه يعطيك اياها ، مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ، ولا فى بهائمك ، ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة ، التى عرفتها ، لا يضعها عليك ، بل يجعلها على كل مبغضيك ، وتأكل كل الشعوب ، الذين الرب الهك يدفع اليك**)) (تثنية ٧ : ١٢ — ١٦ ، وانظر كذلك الاصحاح الحادى عشر : ١٣ وما بعدها) .

فهى فكرة واحدة ، استولت على عقلية بنى اسرائيل .

عقاب وصورته : قحط ، هلاك ، ذلة ، عار ، استعباد الأعداء لهم .

وجزاء ، وصورته : زيادة فى غلة الأرض وثمارها ، ووفرة فى نتاج البهائم ، وزيادة فى نسلهم ، نصر على أعدائهم .

ولا تتحدث التوراة عن ثواب أو عقاب فى الدار الآخرة ، بل لم يرد لها ذكر على الاطلاق ، والمسكن الذى ورد فى قول موسى : ((**ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه بقوتك ، الى مسكن قدسك**)) . (الخروج ١٥ : ١٣)

فليس المراد به جنة فى الدار الآخرة ، بل هى الأرض الموعودة وراء نهر الأردن وهى بلد الكنعانيين ، يؤيد ذلك ما جاء فى فقرة أخرى : ((**بل المكان الذى يختاره الرب الاهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه سكناه ، تطلبون ، والى هناك تأتون ، وتقدمون الى هناك محرقاتكم ، وذبائحكم ، وعشوركم ، ورفائع أيديكم ، ونذوركم ، ونوافلكم ، وأبكار بقركم وغنمكم**)) . (تثنية ١٢ : ٥ — ٦) .

وهكذا لا نصادف ، منذ آدم ، حتى موسى ، الى آخر عهده ، أية اشارة ، فى أى مكان ، الى حياة بعد الموت ، كأنما لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان فى أديانهم .

غير أن القرآن الكريم يحدثنا أن موسى — وكذلك ابراهيم — ذكر لهم الدار الآخرة ، وأنبأهم بالبعث بعد الموت ، فابراهيم يدعو الله قائلا : ((**ولا تخزنى يوم يبعثون**)) . (الشعراء : ٨٧)

. . . .

وموسى يتوسل الى الله قائلا : **((واكتب لنا فى هـذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك))** . (الأعراف : ١٥٦)

كذلك أنذرهم الله بيوم الآخرة ، حيث لا ينفع المرء الا ما قدمت يداه فى هـذه الحياة الدنيا ، قال تعالى مخاطبا بنى اسرائيل : **((واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون))** (البقرة : ٤٨)

لم يرد فى التوراة الموجودة بين أيدينا ، ذكر لهذه المعانى ، التى تحدث بها القرآن عن لسان أنبيائهم ، لأنها ليست توراة موسى ، بل ألفها رجل آخر عاش فى عصر متأخر عن موسى بزمن بعيد — كما سبق بيان ذلك — ، عصر كان اليهود فيه أذلاء ، مستعبدين ، يتوقون الى الحرية ، ويحلمون بالثروة ، ويتمنون اليوم الذى يستطيعون فيه الانتقام من أعدائهم ، الذين يسومونهم سـوء العذاب ، فعبر الكاتب عن آمالهم ، وآلامهم ، وخلطها بالأفكار والقصص الدينية ، التى كانت تتناقلها الأفواه آنذاك ، فجاءت على هـذه الحالة ، خالية من الاشـارة الى الدار الآخرة ، لأن ظروفهم الاجتماعية ، والسياسية كانت قاسية عليهم ، فلم يكونوا يفكرون الا فى الخلاص من المآسى المحدقة بهم .

واذا تصفحنا الأسفار التى عاش ((مؤلفوها)) بعد فترة الأسر ، حيث اتصل اليهود بالايرانيين ، أتباع زرادشت ، نجد فيها اشارات الى الحيـاة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب (انظر أشعياء اصحاح ٤٠ : ٦٦ ، وحزقيال اصحاح ٤٦ : ٤٨) .

ولعل أوضحها ما جاء فى سفر دانيال : **((وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء الى الحيـاة الأبدية وهؤلاء الى العار للازدراء الأبدى))** . (دانيال ١٢ : ٢ — ٣)

أما العهد الجديد ، فقد اشتمل على نصوص عديدة ، تشير الى الجزاء الأخروى ، فاذا قلبنا صفحاته ، فلسوف تستمع الى نغمة جديدة كل الجدة ، لم توجد فى العهد القديم ، هنا يحس القارىء بأنه انتقل من طرف ، الى أقصى طرف مقابل له .

نجد فكرة دينية ، تدعو الى أن صلاتنا بالعالم الراهن ، بكل ما فيهـا

من غنى ، وعظمة سوف تنقطع ، فهى بالنسبة الينا قيود ، ينبغى أن نتحرر منها ، نظراتنا لا تعود منبتة على الأرض ، تنتظر الثمار ، والزرع ، بل انها دائمـــا موجهة الى السماء . قال المسيح لأحد المؤمنين الجدد : ((**ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب ، وبع أملاكك ، وأعط الفقـــراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى)) .** (متى ١٩ : ٢١ ومرقص ١٠ : ٣٤)

وقال لتلاميذه : ((**فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون ، وما تشربون ، ولا تقلقوا . فان هـــذه كلها تطلبها أمم العالم . وأما أنتم ، فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون فى هـــذه . بل اطلبوا ملكوت الله ، وهـــذه كلها تزاد لكم . لا تخف أيها القطيع الصـــغير ، لأن أباكم ، قد سر أن يعطيكم الملكوت . بيعوا مالكم ، وأعطوا صدقة . اعملوا لكم أكياسا لا تفنى ، وكنزا لا ينفد فى الســـموات ، حيث لا يقرب سارق ، ولا يبلى سوس . لأنه حيث يكون كنزكم هنـــاك ، يكون قلبكم أيضا)) .** (لوقا ١٢ : ٢٩ — ٣٤)

هذه التعاليم ذاتها ، قدمها كذلك تلاميذ المسيح فى وعظهم ، وفى رسائلهم الى الذين دعوهم الى التمسك بالمسيحية دينا . كتب ((بولس)) فى رسالته الى ((تيموثاوس)) : ((**أوص الأغنياء فى الدهر الحاضر ، أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحى ، الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع . وأن يصنعوا صلاحا ، وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل ، لكى يمسكوا بالحياة الأبدية)) .**

(رسالة بولس الأولى الى ((تيموثاوس)) ٦ : ١٧ — ١٩)

وقال يوحنا : ((**لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التى فى العالم . ان أحب احد العالم ، فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجســـد وشهوة العيون ، وتعظيم المعيشة ليس من الآب ، بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت الى الأبد . أيها الأولاد هى الســـاعة الأخيرة .... وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية)) .**

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٥ — ٢٥)

وهكذا نجد أن الانجيل يجعل أمل المؤمنين دائما هو الجزاء فى الآخرة ، فى حياة ما بعد الموت ، على العكس من العهد القديم الذى ركز على تحقيق ما يعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب ، فى الحياة الدنيا ، ولا نجد هـــذا الاتجاه فى الانجيل الا فى مواضع قليلة :

. . . .

١ — فى فقرة واحدة فى الانجيل حيث وعد المسيح بمكافأة مزدوجة فى الحياة المقبلة ، وفى هـذه الحياة (مرقس ١٠ : ٣٠) غير أن ذكر الجزاء الدنيا فى هـذه النقطة لم يأت فى انجيل متى (انظر متى ١٩ : ٢٩) .

٢ — فى فقرات متعددة عند « بولس » ، حيث وعد الأولاد المطيعين بالأعمار الطوال فى رسالته الى أهل « أفسس » ، الاصحاح السادس فقرة رقم ثلاثة ، كذلك وعد عامة الناس ، بأن يزيدهم الله كل نعمة « مادية » ، لكى يكونوا ولهم كل اكتفاء ، كل حين فى كل شىء يزدادون ، فى كل عمل صالح ، فيعطوا المساكن (رسالته الثانية الى أهل «كورنثوس» ٩ : ٨ — ١١) . وفى رسـالته الأولى الى أهل « كورنثوس » ١١ : ٢٩ — ٣٠ ، فسر كثرة الوفيات ، والعدد الكبير من المرضى والضعفاء ، بالاخلال ببعض الواجب الدينى .

***

أما منهج التعليم القرآنى ، فيبين للناس صورة مركبة مزدوجة ، تستهدف الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى معا ، وتعلن للانسان بأن عليه أن يتقبل فى كلتا الحياتين ، الثمن الأخلاقى ، والبدنى ، والروحى ، لما قدمت يداه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، ففى الصالحين يقول سبحانه : **« ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسـنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »** .

(البقرة ٢٠١ ، ثم اقرأ الآيات : ١٤٨ آل عمران ، و ١٣٤ النساء ، و ٥٦ ، ٥٧ يوسف ، و ٣٠ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٢٢ النحل ، ٢٧ العنكبوت ، و ٣١ فصلت) .

ويقول سـبحانه فى الطالحين : **« أفتؤمنون ببعض الكتـاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون »** .

(البقرة ٨٥ ، ثم اقرأ الآيات : ١١٤ البقرة ، و ١٢ ، ٥٦ آل عمران ، و ٤١ المائدة ، و ٧٤ التوبة ، و ٧٥ الاسراء ، و ٩ ، ١١ الحج ، و ١٩ النور ، و ٢١ السجدة ، و ٤٠ الزمر ، و ١٦ فصلت ، و ٢٥ نوح) .

وليس المفهوم المادى للجزاء الأخروى اسلامى النوع ، بل هو عنصر مشترك بين جميع الأخلاق الدينية ، التى تعترف للناس بحياة أخرى ، سوف يجتمع فيها البدن والروح من جديد ، بعد أن يكونا قد انفصلا مؤقتا بالموت ، يجتمعان ليتلقيا معا ثوابا خالدا ، أو عقابا أبديا .

. . . .

=

ولما كان المسيح قد تحدث عن حياة أخرى بعد الموت ـــ على عكس ما جاء فى العهد القديم ـــ فالمسيحيون يعتقدون ، بأن الله سيثيب الانسان على ما قدم من عمل صالح ، ويعاقبه على ما اقترف من سيئات ، وليس بلازم أن يكون ذلك فى الدنيا ـــ فمن لم ينل ثوابه وكذلك من لم يعاقب على ما ارتكب ـــ فى الدنيا ، سيأخذه لا محالة يوم الحساب : ((.... **فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية**)) . (متى ٢٥ : ٤٦)

غير أن علماء العقيدة المسيحية ، اختلفوا فى كيفية الحياة فى الدار الآخرة : فريق يرى أنها ستكون بلا أكل ولا شرب ، ولا نكاح ، مستدلين بما ورد فى انجيل مرقس ١٢ : ١٨ ـــ ٢٥ ، وعليه فلن يكون هناك نبات ، ولا حيوان ، اذ خلقهما الله فى الدنيا ، لسد احتياج الانسان ، فلما انتفت الحاجة ، لزم عدم اعادة خلقهما ، ويؤلون ما يفيد ذلك .

ويرى جمهورهم أن الحياة الأخرى ، ستكون مثل الحياة الدنيا ، فيها أكل وشرب ، ونكاح .. الخ . وهـــذه هى القاعدة العامة لدى الكنيسة ، اذ يعلم آباء الكنيسة وفقهاؤها أتباعهم عقيدة بعث الجسد ، وعقيدة اشتراكه مع الروح فى الجزاء ، وهما عقيدتان ، قائمتين على أساس متين من تعاليم السيد المسيح ، والدعاة فقد قال يسوع لحوارييه : ((**ولا تخافوا من الذين يقتلون الجســـد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجســـد كليهما فى جهنم**)) . (متى ١٠ : ٢٨)

وقال أيضا : ((**يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر ، وفاعلى الاثم . ويطرحونهم فى أتون النار . هنـــاك يكون البكاء وصرير الأسنان**)) . (متى ١٣ : ٤١ ـــ ٤٢)

وكثيرا ما صور جهنم على أنها : ((.. **الى النار التى لا تطفأ . حيث دودهم لا يموت ، والنار لا تطفأ**)) (مرقس ٩ : ٤٣ ـــ ٤٤ ، ٤٨)

ويصرخ الفتى الخبيث ، الذى كان يلبس الأرجون ، والبز مترفها ، ولم يكن يتصدق على المسكين ((لعازر)) حتى مات جوعا ، يصرخ وهو فى عذاب جهنم قائلا : ((**يا أبى ابراهيم ! ارحمنى ، وأرســـل ((لعازر)) ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى ، لأنى معذب فى هذا اللهيب**)) . (لوقا ١٦ : ٢٤)

ونقرأ فى رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى : ((**وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ،**

=

والرجسون ، والقاتلون ، والزناة ، والسحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت » . (٢١ : ٨)

وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تقل شيئا عن طبيعة النار ، فانها تقرر أنها نار واقعية ، لها سماتها من ، اللهب ، والجمر ، والأوار الذى لا يخمد .. الخ .

ومع أن الاشارة الى الجنة ، كانت أقل ترديدا فى العهد الجديد من موضوع النار ، فانها تحمل كثيرا طابع السعادة الحسية ، بجانب السعادة الروحية .

ولقد رأينا آنفا توسلات الفتى الخبيث ، يلتمس قليلا من الماء ليبل لسانه . ولذلك يقرر يسوع فى أكثر العبارات صراحة وعموما : « **وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا . لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، وتجلسوا على كراسى تدينون اسباط اسرائيل الاثنى عشر »** .
(لوقا ٢٢ : ٢٩ — ٣٠)

وقال أيضا للذى دعاه : « **اذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا اخوتك ولا أقرباءك ، ولا الجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضا ، فتكون لك مكافأة . بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدع ، العرج ، العمى ، فيكون لك الطوبى ، اذ ليس لهم حتى يكافوك . لأنك تكافى . فى قيامة الأبرار »** .
(لوقا ١٤ : ١٢ — ١٤)

وأكثر من ذلك تحديدا أيضا قوله فى آخر اجتماع له مع حوارييه : « **وأقول لكم : انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى »** .
(متى ٢٦ : ٢٩ ، ومرقس ١٤ : ٢٥ ، ولوقا ٢٢ : ١٨)

بيد أن الجانب الحسى من نعيم الجنة أكثر ظهورا فى رؤيا القديس يوحنا :
« **من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله »** .
(٢ : ٧)

« **من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضا »** . (٣ : ٥)

« **لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحر »** .
(٧ : ١٦)

[الشبهة التاسعة]

ودين الصليب فشا [1] فى الأرض دون سيف ولا قهر ، ودينكم انما ظهر بالسيف ، والقهر فى الأرض [2] .

= وبهذا يتبين خطأ ما ذهب اليه القسيس من أن المسيحية تنكر النعيم المـــادى فى الحياة الأخرى .

(١) فى ج : « فشاء » بهمزة .

(٢) هذا ما يردده أعداء الاسلام ، منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة الى اليوم ، اذ مازلنا نسمع من المستشرقين ، ومن يدور فى فلكهم من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الاســلام الى الحرب ، والى الجهاد فى ســبيل الله أى الى اكراه الناس بالسيف على الدخــول فى الاســلام ، وهــذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء الحقائق التاليـــة :

أولا : نص القرآن الكريم فى مواضع عدة ، على انه لا اكراه فى الدين يقول تعالى : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » . (البقرة : ٢٥٦)

ويقول : « **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » . (يونس : ٩٩)

ويقول : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » . (الكهف : ٢٩)

ويقول : « **فذكر انمـــا أنت مذكر . ليست عليهم بمسيطر** » . (الغاشية : ٢١ ، ٢٢)

فالاسلام لا يجيز لأحد ـــ ولو كان النبى نفسه ـــ أن يجبر انسانا على الدخول فى الاسلام .

ثانيا : يمتاز الانسان عن الحيوان ، بالقدرة على التفكير ، ومن خصائص هذا التفكير ، ميل الانسان الى الحرية فى التعبير عن آرائه ، وفى اعتناق ما يراه موافقا لطبيعته ، فاذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فان من الطبيعى أن =

. . . .

يدافع عن رأيه بالوسائل التى يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، فان أراد أحد أن يفتن آخر عن عقيدته ، مستعملا الدعاية والمنطق ، دون اللجوء على حمله على ترك عقيــدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيــدته ، الا بالحجة والمنطق ، أما اذا أجبر بقوة الســلاح ، لم يكن له من ســبيل الا حمل الســلاح أيضا ، للدفاع عن عقيــدته ، لأنها أثمن شىء عند من يفهمون معنى الانسانية فهى أثمن من المــال والجاه بل أغلى من الحياة نفسها ، وقد أدرك هــذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمنا للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة الله فى خلقه .

((ولولا دفع الله النــاس بعضــهم ببعض لفســدت الأرض)) .
(البقرة : ٢٥١)

((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز)) .
(الحج : ٤٠)

ولو لم يقاتل المســلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم أذلوا ، وأهينوا ، فرضوا بالذل ، والهوان ، وتلك سبة تأباها الطبيعة الانسانية ، ولمــا كان الاســلام موافقا — فى تعاليمه وشرائعه — لهذه الطبيعة ، لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة . وعليــه فلم يحمل المسلمون الســلاح . لاجبار أحد على الدخول فى دينهم ، بل كان للدفاع عن أثمن شىء لديهم ، الا وهى حرية ممارسة ما تمليه عليهم عقيدتهم .

ثالثا : يعقد أعداء الاسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحدا ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ، ضد من وقفوا فى سبيل دعوته وينسى هؤلاء أن عيسى استمر ثلاث سنوات فقط يدعو الى دينه بدون قتال ، ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ، دون أن يحمل السلاح فأى المدتين أطول ! !

أضف الى ذلك أن عيسى قال أثناء هــذه المدة القصير : **((ما جئت لألقى سلاما بل سيفا)) .**
(متى ١٠ : ٣٤)

بينما لم يذكر محمد فى العهد المكى — وهو ثلاث عشرة سنة — شيئا

. . . .

=

عن القتال ، فأيهما كان — بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحيا — أشد ميلا الى السلم ! !

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر فى دعوته مدة أطول من المدة التى مكثها محمد فى مكة داعيا الى الله ، ولم يقاتل ، بينما قاتل محمد !

فاذا تركنا العهد النبوى لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلنا الديانتين لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاما اطلاقا ، بل حمل المسيحيون الناس حملا على اعتناقها ، « فمنذ فجر المسيحية الى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعا بالدماء ، باسم السيد المسيح ، خضبها الروم ، وخضبتها أمم أوربا كلها .

والحروب الصليبية ، أنما أذكى لهيبها المسيحيون ، لا المسلمون . ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوربا مئات السنين قاصدة أقطار الشرق الاسلامية تقاتل ، وتحارب وتريق الدماء . وفى كل مرة كان البابوات ، خلفاء المسيح ، يباركون هذه الجيوش الزاحفة ، للاستيلاء على بيت المقدس ، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة .. أفكان هؤلاء البابوات جميعا هراقطة وكانت مسيحيتهم زائفة ؟

أم كانوا أدعياء جهالا ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على اطلاقه ؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى ، عصور الظلام ، فلا يحتج على المسيحية بها ؟ ان يكن ذلك بعض ما قد يقولون ، فان هذا القرن المتمم للعشرين ، الذى نعيش فيه ، والذى يسمونه عصر الحضارة الانسانية العليا ، قد رأى ما رأت تلك العصور المظلمة فقد وقف اللورد اللنبى ممثل الحلفاء (انجلترا وفرنسا ، وايطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول فى بيت المقدس ، فى سنة ١٩١٨ م حين استيلائه عليه فى آخريات الحرب العالمية الأولى : « اليوم انتهت الحروب الصليبية »

واذا كان من بين المسيحيين قديسيون أنكروا القتال فى مختلف العصور ، وسموا بذواتهم الى الذروة من معنى الاخاء الانسانى ، بل من معنى الاخا بعد عناصر الكون كله ، فمن بين المسلمين كذلك قديسون سمت نفوسهم هذا السمو ، واتصلوا بكل الوجود اتصال أخاء ومحبة واشراق ، ملأ منهم النفوس بوحدة الوجود .. لكن هؤلاء القديسيين من النصارى والمسلمين ، وان صوروا المثل الأعلى لا يمثلون حياة الانسانية اثناء تطورها الدائم وفى

=

وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلبهم ، وكان سببا فى تغيير أمرنا وتكفيرنا . وفى كتابه :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » (١) .

ودخلت العرب بلادنا ، واستأصلت ديارنا ، وهتكت أستارنا . [لكنه لما آمن بالله ، ودعا الى الله ، أعانه الله ، فقاتل] جميع الأمم فغلبهم بسيفه .

وانما جاء المسيح بن مريم مهينا ضعيفا ، ولم يقاتل أحدا ، فأخذ

=

دأب جهادها الى الكمال . الى الكمال هـذا الذى نحاول تصوره ثم يقعد بنا العقل ويقعد بنا الخيال ، دون شيء من الدقة فى ادراكه ، وان نحن جازفنا بتصويره تمهيدا لما نحاول من جهود فى سبيله ، وهـذه اربع وتسعون وثلاثمائة والف سنة قد انقضت منذ هجرة النبى العربى من مكة الى يثرب والناس فى مختلف العصور يزدادون فى القتال افتنانا وفى صنع آلاته الجهنمية المدمرة دقة واتقانا . وما تزال كلمات نبذ الحرب والغاء التسلح والتحكيم لا تزيد على أنها كلمات تقال فى أعقاب كل حرب تهلك الأمم ، او على أنها دعايات تلقى فى جو الحياة من اناس لم يستطيعوا حتى اليوم — ومن يدرى ! لعلهم لا يستطيعون يوما — أن يحققوا منها شيئا ، وأن يحلوا السلام الصحيح سلام الاخاء والعدل محل السلام المسلح نذير الحرب وطليعة ويلاتها .

والاسلام ليس دين وهم وخيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده الى الكمال ، وانما الاسلام دين الفطرة التى فطر الناس جميعا عليها افراد وجماعات وهو دين الحق والحرية والنظام . ومادامت الحرب فى فطرة الناس ، فتهذيب فكرتها فى النفوس وحصرها فى ادق الحدود الانسانية هو غاية ما تحتمل فطرة البشر ، وما يحقق للانسانية تطورها فى سبيل الخير والكمال . وخير تهذيب لفكرة الحرب الا تكون الا للدفاع عن النفس ، وعن العقيدة ، وعن حرية الرأى والدعوة اليه ، وأن ترعى فيها الحرمات الانسانية تمام الرعاية . وهـذا ما قرره الاسلام . وهـذا ما نزل به القرآن » .
(هيكل ص ٢٥٣ ، ٢٥٤)

(١) المـائدة : ١٧ .

وصلب فى مرضاتنا ، فهو الهنا ، وخالقنا ، ورازقنا ، ومميتنا ، ومحيينا ، وهو عز وجل بفضله يغفر ذنوبنا ويتغمدنا برحمته •

وأنا [....][1] قد بذلت لك النصيحة فى هذه الرسالة [....][2] لما ظهر لى من ذكائك [3] ، فاعتبرها وتدبرها والله يجعلها نورك ، وسبب هداك • آمين آمين •

ولما وقف الصبى على هذه الرسالة زجر موصليها ، وامتنع عن[4] مراجعة القسيس ، تخوفا منه ، لكونه يومئذ بين ظهرانيهم ، وفى كنه ديانتهم[5] ، فألحوا عليه فى الجواب • وفى خلال ذلك حان [موعد] سفره عنهم فكتب هذا الجواب المسمى بمقامع هامات الصلبان ، ورواتع روضات الايمان[6] وتركه[7] عندهم ومضى وهذه نسختها[8] •

---

(١) فى ع : « يا صاحبى » •
(٢) فى ع : « لمحبتى لك و ..... » •
(٣) فى ج : « سلك » وفى ت : « نباهتك » .
(٤) فى ج : « من • » •
(٥) فى ت : « لكونه مدجن بين أظهر القوم : وفى قبة ديانتهم » .
(٦) لم يتفق المؤرخون على عنوان هذا الكتاب فهو :
ـ مقامع الصلبان ، فى برنامج شيوخ الرعينى ونيل الابتهاج ومعجم المؤلفين .
ـ مقامع الصلبان ، ومراتع رياض أهل الايمان ، فى التكملة .
ـ مقامع هامات الصلبان ورواتع رياض الايمان ، فى الذيل والتكملة .
ـ مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الايمان ، فى الأعلام .
كذلك اختلف العنوان فى المخطوطات الثلاث التى اعتمدنا عليها كما ذكر سابقا .
ولهذا رأيت أن أختار له عنوان « بين الاسلام والمسيحية » اقتباسا من موضوعه ، ثم ذيلته بما لم يختلف فيه وهو نسبته الى أبى عبيدة فجاء عنوان الكتاب هكذا :

بين الاسلام والمسيحية
كتاب أبى عبيدة الخزرجى المتوفى سنة ٥٨٢ هـ .

(٧) فى ج : « وغادره » .
(٨) سقط من ع قوله « ولما وقف الصبى ... الى وهذه نسخته » .

[رسالة أبى عبيدة الى القسيس] (*)

من فلان الى فلان :

بســــــــــم الله الرحمن الرحيم

اله ، فرد ، صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد[1] .

سلام على المهتدين ، والحمد لله رب العالمين ، مفضلنا بالايمان على جميع الأجناس ، وجاعلنا خير أمة أخرجت للناس[2] ، نوحد الله بموجبات توحيده ، ونمجده سبحانه حق تمجيده ، ونؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله[3] ولا نشرك بعبادة ربنا أحـــدا[4] .

(*) صدر صاحب « الفاصل بين الحق والباطل » الرد على القسيس بأبيات شعرية ، فيها محاجاة للمسيحيين وهى :

عجبى للمســيح بين النصارى	والى أى والد نســـــبوه
أسـلموه الى اليهــود وقالوا	انهم بعــــد قتله صـــلبوه
واذا كان ما يقولونه حقــــا	وصـــحيحا فأين كان أبوه
حين خلى ابنـــه رهين الأعادى	أتراهم أرضـــوه أم أغضبوه
فلئن كان راضيــــــا بأذاهم	فاحمــــــدوهم لأنهم عــذبوه
ولئن كان ســـــاخطا فاتركوه	واعبـــدوهم لأنهم غلبـــــوه

(1) اقتباسا من سورة الاخلاص .

(2) « **كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » . (آل عمران : ١١٠)

(3) « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » . (البقرة : ٢٨٥)

(4) « **قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا ســمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا** » .

(الجن : ١ ، ٢)

وصلى الله على سيدنا ، ومولانا ، ونبينا محمد ، خلاصة أصفيائه ، وخاتم رسله ، وأنبيائه ، سيد الآدميين ، المبعوث رسولا فى الأميين[1] .

---

(1) ((**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم**)) . (الجمعة : ٢)

((**فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**)) . (الأعراف : ١٥٨)

فما معنى الأمى ، وما المقصود بالأميين ؟

ورد لفظ الأمى فى القرآن الكريم مرتين فقط ، فى آيتى ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، وفى كلا الاستعمالين وصف للنبى صلى الله عليه وسلم بأنه أمى ، أى لا يعرف القراءة والكتابة ، فالعرب كانت تنسب من يجهلها الى أمه « لأن الكتاب كان فى الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب ، ولا يخط من الرجال ، الى أمه فى جهله بالكتابة دون أبيه » .

أما لفظ « الأميون » فقد ورد أربع مرات :

(ا) ((**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون**)) . (البقرة : ٧٨)

(ب) ((**فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد**)) . (آل عمران : ٢٠)

(ج) ((**ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**)) . (آل عمران : ٧٥)

(د) ((**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين**)) . (الجمعة : ٢)

فالمقصود بالأميين من هم فى مقابل أهل الكتاب — وهم العرب — ما عدا الآية الأولى : فالمراد بهم قوم من أهل الكتاب ، وعليه فيحتمل أن يكون اللفظ فى آيتى آل عمران ، وآية الجمعة مستعملا استعمالا مجازيا ، على اعتبار أن العرب كانوا جاهلين برسالات السماء ، مثل من يجهل القراءة والكتابة ، لأنه لم يبعث فيهم رسول من قبل ، أو يكون المراد حقيقة اللفظ ، لأن الأمية كانت متفشية فيهم .

ولا يرد على استعمال الأول أن وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالأمى

صلى الله عليه وسلم ، من نبى كريم ، على خلق عظيم[1] ، جاءنا على فترة من الرسل[2] ، موضحا السبل ، داعيا الى خير الملل ، ملة أبينا ابراهيم .

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه »[3] .

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »[4] .

« ان الدين عند الله الاسلام »[5] .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »[6] .

فصل : فى تقديم الاعتذار ، عن النزول الى اجابتك[7] ، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفات [الى] ما لديكم يخل بعقل الانسان ، ودينه[8] .

* * *

=

فى آية الأعراف لا يكون دليلا قاطعا على أنه لم يعرف القراءة والكتابة ، لأن قول الله تعالى :

« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون » . (العنكبوت : ٤٨)

يمنع صرف اللفظ عن حقيقته .

(١) **« وانك لعلى خلق عظيم » .** (القلم : ٤)

(٢) **« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شىء قدير ».** (المائدة : ١٩)

(٣) البقرة : ١٣٠ . (٤) آل عمران : ٦٧ .

(٥) آل عمران : ١٩ . (٦) آل عمران : ٨٥ .

(٧) فى ج ، ت : « مجاوبتك » .

(٨) فى ت : « للاعتراف بأن دينكم لا مجال لعقل الانسان ودينه » .

[رأى أحد ملوك الهند فى المسيحية]

وكما وصف أحد ملوك الهند ــ وقد ذكرت له الملل الثلاثة ــ فقال :

أما النصارى ، فان كان مناصبوهم من أهل الملل ، يجاهدونهم بحكم شرعى ، فلقد أرى ذلك بحكم عقلى ، وان كنا لم نربحكم عقولنا قتالا[1] ، ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم[2] ، فانهم قصدوا مضادة العقل ، وناصبوه[3] العداوة واستحلوا[4] ، بيت الاستحالات مع أنهم حادوا[5] عن المسلك الذى انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيهم كفاية ، ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية ، الصالحة، والعقلية ، الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكنا ، فلم يعرف عنهم شىء[6] ، وبنوا من ذلك شرعا لا يؤدى البتة ، الى اصلاح نوع من أنواع العالم ، الا أنه يصير العاقل ،

اذا تشرع به أخرق ، أحمق .

والمرشد سفيها .

والمحسن مسيئا .

لأن من كان فى أصل عقيدته ، التى نشأ عليها[7] الاساءة الى الخالق ، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى ، فخليق به أن يستحل الاساءة الى مخلوق .

---

(١) ، (٢) أى أن العقل لا يحكم بالقتال الا مع هؤلاء .

(٣) فى ج : « وناصبوا » وفى ت : « ونصبوا » .

(٤) فى ج : « وتحلوا » .

(٥) فى ج : « مع أنهم حاروا » .

(٦) أى لم يفهم منهم شىء .

(٧) فى ج : « التى جرى نشاءه عليها » وفى ت : « التى جرى نشوه عليهـا » .

وكذلك ما بلغنا عنهم فى خلقهم ، من جهل[1] وضعف العقل والطمع ، والبخل ، ومهانة النفس ، وخساسة الهمة والقدر ، وقلة الحياة الا قليلا منهم .

فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم الا لعموم أضرارهم التى لا تحصى وجوهه [لكفى . . .] ، وكما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه [لا يلام المرء على قتل هؤلاء] فكيف وثم من الموجبات ما تقدم .

فهذا ما بدا له من جهلكم ، وليس بمخاصمكم ، ولا مناوئكم ، ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم .

ولم أقدم هذا الفصل قاصدا تبيان ضلالتك ، لأن ذوائبها قد سارت مسرى الشمس[2] ، وبواطلها لاحت لعيون الجن والانس ، ولكن لأتم الحجة على نفسى ، وأحيل مارمته أولا من الاعتذار عن النزول الى مجاوبتك ، وأوجب الاختلال بانسانية من التفت الى مقالاتكم ، وعطل [نفسه ساعة] من نهار [بالاشتغال بـ][3] محالاتكم التى عقيدتها قذى فى عين الحق ، ومقالتها قرع على كبد الصبر[4] .

* * *

[رأى رئيس سدنة الهياكلة بمصر]

وقال أفلاطون رئيس سدنة الهياكلة بمصر :

لما ظهر محمد صلى ألله عليه وسلم بتهامة ، ورأينا أمره يعلو على

---

(١) كان هذا حالهم قبل النهضة الأوربية التى كان السبب الرئيسى فيها — كما يرى الباحثون المعتدلون — اتصال أوربا بالشرق الاسلامى .

(٢) فى ج : « صارت تستر الشمس » .

(٣) كلمة النص غير واضحة فى ت ، ج .

(٤) فى ت : « ومقالها فزع فى عين العرف » .

الأمم المجاورة له ، رأينا أن نقصد « اصطفن » البابلى[1] لنعلم ما عنده ، ونأخذ رأيه ، فلما اجتمعنا على الخروج من مصر ، رأينا أن نذهب[2] الى قراطيس معلمنا لنودعه ، فلما دخلنا عليه ورأى جمعنا ، أيقن أن الهياكل قد حدث فيها شيء[3] ، فغشى عليه حينا غشية حتى ظننا أنه فارق فيها ، فبكينا ، فأومأ الينا أن اسكتوا فكففنا عن الصراخ ، والبكاء ، فتصبرنا جهدنا ، حتى هدأ ، وفتح عينيه وقال :

هذا ما كنت أنهاكم عنه ، وأحذركم منه ، انكم قوم غيرتم فغير بكم ، وأطعتم جهالا من ملوككم ، فخلطوا عليكم فى الأدعية ، فقصدتم البشر من التعظيم بما هو للخالق وحده ، فكنتم فى ذلك كمن أعطى القلم مدح الكاتب ، وانما حركة القلم بالكاتب .

قال : فقلت له :

ويحك ! هذا التعظيم انما هو للخالق ، فاجتمعت العامة فأخرجتنى من الهياكل[4] وكذلك ذكر عنه — أى أفلاطون — أيضا أنه قال :

رأيت فى نومى فى ليلة حسن فيها اخلاصى ، كأن « أرمانيوس » الملك جالساً ، اذ دخل عليـــه غلمان بأطباق فى أيديهم [فيها] هدايا [يقدمونها له] فردها فى وجوههم ووضـــع خـــده فى الأرض ، يدعو عليهم ويقول :

---

(١) فى ج « اصكل من البابلى » .

(٢) فى ت : « نسعى » وفى ج : « نصر » .

(٣) فى ج : « قد خلت منا » .

(٤) لم يستطع البقاء عندما أراد أن يبين وجهة نظره فى وجوب الاستماع لى ما نزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن العامة — لجاهلين بادراك مثل هذه المواقف — ثارت عليه ، ووقفت بجانب من يدعو الى لتمسك بما كان عليه الآباء ، ولو كان ضلالا ، وتلك ظاهرة قابلت الأنبيـــاء جميعـــا :

=

ياسيدى ! أعطنى ما يخصك ، ولا يشاركك فيه غيرك وعزيز — والله — على أن أرى هـــذا المشهد العظيم ينتقل ، وانتقاله أحسن من التحريف . واقامة الدعوات على الاختلاط .

فكان على أثر ذلك ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام . وسيأتى فى هـــذه الرسالة ذكر [أشياء] من ديانتكم ، وأسباب التحريف المسلم بها ، وقصدكم تعظيم رجل بما هو للخالق وحده ، جرأة على الخالق تبارك وتعالى ، واستخفافا بحقه ، وذكر اقامة الدعوات على اختلاط . على أنى بين القصور ، لصغر السن ، واغفال المطالعة ، وقلة العناية بذلك قبل اعتراضك اياى[1] .

* * *

=

« **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** » .
(المائدة : ١٠٤)

« **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمـــر بالفحشـــــاء ، أتقـــولون على الله ما لا تعلمــــون** » .
(الأعراف : ٢٨)

كما يعانى منها المصلحون فى كل عصر وجيل ، لأن العقبة الكئود أمـــام برامجهم الاصلاحية ، هى سهولة اثارة العامة ضدهم ، ويكفى أن تتصفح تاريخ جمال الدين الأفغانى — كمثل على ذلك — وتلميذه الشيخ محمد عبده فسترى أن من اتخذوا الوظائف العامة وسيلة للارتزاق ، وجمع الثروة وقفوا فى سبيل هذا التيار الاصلاحى ، لا حبا خالصا فى الدين ، ولا دفاعا عنه ، وانما خوفا على ضياع المركز ، وذهاب موارد جمع الثروة الا قليلا منهم دفعه جهله للوقوف فى وجه التيار الاصلاحى .

(١) سقط من ع من أول رسالة أبى عبيدة حتى هنا ، ووضع بدلا عنهـــا النص التـــالى :

« الحمد لله الذى ليس لأزليته بداية ، الأبدى الذى ما لأبديته نهاية . خلق عيسى من غير ذكر ، وحوى من غير أنثى ، وآدم من تراب ، ان فى ذلك لآية .
=

[ابطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام
واثبات نبوته من نصوص أناجيلهم]

أما بعـــد :

أيها الأعجمى الألكن ، الطاعن على كتاب الله جهلا ، ولا يعرف لخطابه فصلا ، والملتمس له تأويلا ، وأنت لم تؤت من العلم كثيرا ولا قليـــلا .

هلا راجعتك[1] بصيرتك ، وناجيت بالتحقيق سريرتك ؟ فعلمت أنه منزل بلغة لا تعلمها ، وعبارة لا تفهمها .

« وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم »[2] .

ومن أعجب قولك ، الشاهد على جهلك أن تندب مسلما الى الايمان بالله ، وترغب مؤمنا فى عيسى ابن مريم رسول الله[3] . وكلتا الخلتين قد

=

أحمده حمد من نزه عن الجوهر والعرض والجسد ، وأشكره شكر من قدسه عن أن يكون والد ، أو يكون له ولد . وأشهد أنه الملك الحق الذى لا يهزم ولا يغلب ، القوى الذى يغنى كل شىء ولا يقتل ولا يصلب . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به عيسى ، ونص عليه موسى صلى الله عليهم أجمعين ، أن الدين عند الله الاسلام . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

(١) فى ج : « عارتك » وفى ت : « أعدت » .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) من ع ، وفى ج : « أن تندب مسلما الى الايمان بالله عيسى ، وتولى عيسى ابن مريم رسول الله » وفى ت : الى الايمان بالله ... عيسى بن مريـــم رسول الله » .

أحكم عندنا مضمارها[1] ولدينا ثبوتها واستقرارها ، ومنا صدع ظهورها فى الخليقة واستمرارها . كواكب الايمان بالله عندنا تتجلى ، ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى . قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضله المعلوم وفخره ، واعتقدناه بمنزلة تقبلها الأفهام ، وتليق بالعقول والأوهام[2] .

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا »[3] .

وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفى نقيض : مفتون به ضال ، وظالم بغيض ، وهما فى عمى بصائرهما سيان ، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان . أما المفتونون به الضالون فقد أوقعوا أنفسهم فى خطيئة [ذى شقين] يستحيل غفرانها[4] :

[الأول] : الاشراك بعبادة الله غيره .

[الثانى] : أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه موردا يعتذر عند الله منه يوم الحشر بين يديه ، اذ يقول له ، وهو تبارك وتعالى أعلم :

« أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب . ما قلت

---

(١) من ع ، وفى ج : « وكلتا الخيلتين عند أحكم مضمارها » . وفى ت : « وكلتا الحالتين عندحكم مضمارها » .

(٢) فى ع : وفى ج : « واعتقدناه بمنزل ما تعد فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام : وفى ت « واعتقدناه بمنزلة سابغة فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام » .

(٣) النساء : ١٧٢ .

(٤) من ع . وفى ج ، ت « ان للمفتون مزيتين فى الضلال على من أبغضه وسبه أحدهما الاشراك بعبادة الله غيره ، والأخرى أنهم أوردوا » .

لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد » (١) .

أما من أبغضه ، أو سبه ولعنه ، فانما أوردوه بفعلهم موردا يكون الله حسيبهم فيه ، والقائم دونه ، يأخذ حقه منهم [...](٢) .

أخبرنى أيها الجاعل الهه المسيح من حيث هو من الله روح ! لم تظلم آدم -؟ وأنتم تقولون وتوافقون : ان الله تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب .

وتقولون : ان المسيح نفخه من روح الله فى رجل سواه الله تعالى من لحمة مريم ، المتخذة من آدم ، فلحمه اذن بمنزلة ترابه ، ونفخه من روح الله بمنزلة نفخة من روح الله ، فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم ، وأنت تقر له بروح من الله فى حجاب من تراب(٣) ؟

ما أزين بك أن تقول : ان الله خلق عيسى وأمه آية للناس ، عبدا

---

(١) المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) زاد فى ع : « هذا وقد اطلعت على كتابك ، وعلمت مرامك ، ويعلم الله أنك ضلاعن جهلك لديننا — دين الاسلام — القويم ، لست على شىء من دينك السقيم . فلذلك قد أشفقت عليك ، وحررت لك كتابى هذا زدا على كتابك لعلك بعد تلاوته ، ترجع عن غيك وجهلك ويهديك الله صراطا مستقيما . فأعرنى السمع والبصر ، لأشرح لك من نفس كتابيك الانجيل والتوراة ، فساد ما أنتم عليه من الاعتقادات المضحكة ، المخجلة التى لو لم توجد النصرانية الى وقتنا هذا ، لما أمكن التصديق بوجود طائفة تعقل بين الناس ، فتعتقد أقوالكم ، أو ترضى بمقالاتكم .

ثم أبين بعد ذلك أساس ديننا ، وموافقته للمدنية ، ومساعدته لاشرف مقاصد المجتمع الانسانى ، عسى الله أن يكشف عن بصيرتك وتميز الحق من الباطل ، فتخرج من الظلمات الى النور .

(٣) فى ج : « فلحمه اذن بمنزلة ترابه ونفخه من روح الله فهى أوجبت بذلك الالهية لعيسى فمالك لا توجبها لآدم وأنت تقول انه روح من الله فى فخار من تراب » .

ورسولا ، [وهى] صديقة مباركة ، [و] كانا يأكلان الطعام[1] ، وأكل الطعام هنا كناية عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى لو سبق فى حكمه أن يكون انسانا وينزل لمقابلة[2] عباده — كما زعمت — أن يمتنع عن التغوط ، اذ هو دنية ابتلى بها آدم وبنيه ، مبينة لنقصهم واحتقارهم . وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال فلا يليق به تلك الدنية ، ولا نعلم فى فرق ملتكم من يقول : ان عيسى لم يكن يتغوط ، ولا يبول . حاشى الله أن يحقر خلقا له بدنية ، يراها أخس الآدميين عارا على نفسه ، ثم يتشبه بعبيده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الانســـانية[3] .

أليس من الواضح عند ذوى العقول ، أنه لمـــا لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام ، أن يكون ابنا لله تعالى ، ولمـــا لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضا خلق عيسى عليـــه السلام من الدم ، الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليهما السلام .

فلو أنصفت وطلبت الحق ، لعلمت أن ذلك من البيان ، ما يبلغ الى الغاية القصوى ، فى تحصيل المرام ، من هذه المسألة ، ولكنك قد اتخذت التقليد دليلا ، على عـــدم النظر والتأمل فى الأمور مذهبا ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

أخبرنى أيها المسكين :

متى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية تصريحا ؟ أو متى ذكر الأقانيم التى تقولونها توضيحا[4] ؟ .

---

(١) « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمـــه صديقة كانا يأكلان الطعام ». (المائدة : ٧٥)

(٢) فى ج ، ت : « لمباشرة » .

(٣) سقط من ع من أول قوله : « ما أزين بك » .

(٤) زيد فى ع من قوله : « أليس من الواضح » ... « ...... » .

ألم تقرأ فى انجيلك الكائن بين يديك عن عيسى ، أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل[1] : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه[2] ؟ . وفى الانجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف تقبلونه[3] ؟ .

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة .

وفى الانجيل لمرقس[4] أن رجلا أقبل الى المسيح وقال له : **« أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية[5] . فقال له : لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله[6] . ولكن ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له : أية الوصايا ؟ فقال يسوع[7] : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك »[8] .**

---

(١) فى ج ، ت : « بجلجان » .

(٢) **« وبعد اليومين خرج من هناك ومضى الى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه »** . (يوحنا ٤ : ٤٣ — ٤٤)

(٣) **« فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل أيها الطبيب اشف نفسك . كم سمعنا انه جرى فى كفر ناحوم فافعل ذلك هنا أيضا فى وطنك ، وقال : الحق أقول لكم انه ليس نبى مقبولا فى وطنه »** . (لوقا ٤ : ٢٣ — ٢٤)

(٤) فى ج ، ت « لماركس » .

(٥) فى ج ، ت « الأنال الحياة الدائمة » .

(٦) فى ج ، ت « لم قلت لى صالحا انما الصالح الله وحده » .

(٧) وردت العبارة فى ج ، ت هكذا « ... الله وحده .. وقد عرفت الشروط وذلك الا تسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تخون أكرم أباك وأمك » .

(٨) متى ١٩ : ١٦ — ١٩ أما ما جاء فى انجيل مرقس كما أشار المؤلف بهذا الصدد فهو كما يلى : **« وفيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله . أنت تعرف الوصايا ، لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك »** . (مرقس ١٠ : ١٧ — ١٩)

وفى الانجيل ليوحنا[1] أن اليهود لما أرادت القبض[2] عليه وعلم بذلك ، رفع بصيره الى السـماء ، وقال : قد دنا الوقت يا الهى فشرفنى لديك[3] ، واجعل لى سبيلا الى أن أملك كل ما ملكتنى ، الحياة الباقية ، وانما الحياة الباقية ، أن يؤمنوا بك الها واحدا ، وبالمسيح الذى بعثت ، وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتنى به فشرفنى لديك[4] .

وفى الانجيل أن[5] عيسى قال لتلاميذه : لا تسبوا أباكم على الأرض ، فان أباكم الذى فى السماء وحده ، ولا تدعوا معلمين ، فان معلمكم المسيح وحـده[6] .

فقوله : ولا تسبوا أباكم على الأرض [معناه] : لا تقولوا انه على الأرض ، ولكنه فى السـماء .

ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فان معلمكم المسيح وحده .

فها هو [ذا] قد سمى نفسه معلما فى الأرض لهم ، وشهد أن الههم فى السـماء واحد .

وفى الانجيل للوقا أن عيسى أحيا الميت بباب مدينة « نائين » [7]

---

(١) فى ج : « ليحنى » . (٢) فى ج ، وفى ت : « التقبض » .

(٣) فى ج : « لذلك » .

(٤) قارن يوحنا : الاصحاح السابع عشر .

(٥) فى ج : « وفى الانجيل لمـا أن عيسى ... » .

(٦) ورد النص فى انجيل متى هكذا : **« ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحـد المسـيح »** . (متى ٢٣ : ٩ ـ ١٠)

(٧) فى ج ، ت : « ثايم » .

عندما[1] أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه فقالوا : ان هذا النبى لعظيم[2] ، وان الله قد تفقد أمته[3] .

وفى الانجيل ليوحنا[4] أن عيسى قال لليهود :

لست أقدر [أن] أفعل من ذاتى شيئا ، لكننى أحكم بما أسمع ؛ لأننى لست أنفذ ارادتى ؛ بل ارادة الذى بعثنى[5] .

وفى الانجيل ليوحنا[6] أيضا أنه أعلن صوته فى البيت وقال لليهود .

قد عرفتمونى فى موضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق ، وأنتم تجهلونه[7] فها هو [ذا] قد جعل نفسه ، وموضعه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولا ، وقال :

انه لم يأت من ذاته ، ولكن الله قد بعثه ، فما زاد فى دعواه شيئا على ما ادعاه غيره من الأنبياء عليهم السلام .

وفى الانجيل أنه قال لليهود ــ بعد حوار طويل [وكلام] كثير مذكور بينه وبينهم فى ذلك المجلس ــ حين قالوا له : انما أبونا ابراهيم .

---

(1) فى ج ، ت : « حين » .   (2) فى ج : « العظيم » .

(3) « ... فاخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شـعبه » .   (لوقا ٧ : ١٦)

(4) فى ج : « ليحنا » .

(5) ونص انجيل يوحنا : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شـيئا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسـلنى » .   (يوحنا ٥ : ٣٠)

(6) فى ج : « ليحنا » .

(7) يشير الى قول انجيل يوحنا : « فنادى يسـوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا : تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق الذى انتم لستم تعرفونه » .   (يوحنا ٧ : ٢٨)

قال : ان كنتم بنى ابراهيم فاقفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على أنى رجل أديت اليكم الحق الذى ســمعته من الله • غير أنكم تقفون أثر آبائكم •

قالوا : لسنا أولاد زنا ، انما نحن أبناء الله ، وأحباؤه •

فقال : لو كان أباكم لحفظتمونى ، لأنى رسول منه [أى من الله][*] خرجت مقبلا ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى ، ولكنكم لا تقبلون وصيتى ، وتعجزون عن سماع كلامى ، انما أنتم أبناء الشيطان ، وتريدون اتمام شهواته ، الى كلام كثير ذكر فى الانجيل الذى بأيدكم ، [عما][1] كان بينه وبين اليهود فى ذلك[2] •

وفى الانجيل أيضا : أنه كان يمشى يوما فى اسطوان سليمان فأحاطت به اليهود وقالت له : الى متى تخفى أمرك[3] ؟ ان كنت المسيح الذى ننتظره ، فأعلمنا بذلك[4] •

ولم يقولوا : ان كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك[5] ، ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه [هو] انســان نبى ، ليس بانســان اله كما تزعمون •

(*) زدنا ما بين القوسين لأن النص يقول : « **لأنى خرجت من قبل الله واتيت • لأنى لم آت من نفسى بل ذاك ارسلنى** » • (يوحنا ٨ : ٤٢)

(١) فى ج : « اذ » وفى ت : « لأنه » .

(٢) قارن يوحنا الاصحاح الثامن .

(٣) نص انجيل يوحنا : « **الى متى تعلق انفسنا** » • (يوحنا ١٠ : ٢٤)

(٤) راجع يوحنا ١٠ : ٢٥ .

(٥) لم يوفق أبو عبيدة فى الاستدلال بهذا النص ، على أن الانجيل الموجود بين أيدينا ينكر الوهية عيسى .

=

وفى الانجيل أيضا عنه : أن اليهود أرادوا القبض[1] عليه ، فبعثوا لذلك الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا الى قوادهم .

فقالوا : لم لم تأخـذوه ؟

فقالوا : ما رأينا آدميا أنصف منه !

فقالت[2] اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون[3] ؟

أترون أنه آمن به أحد من القواد ، أو من رؤساء أهل الكتاب ؟

انما آمن به من الجماعات ، من يجهل الكتاب .

فقال لهم « نيقوديموس » — وهو من كبار القسس[4] — :

أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟

فقالوا له : اكشف الكتاب ! ترى أنه لا يجىء من الجليل نبى[5] .

=

كما أخطأه الصواب فى الاعتماد عليـه — أى النص المشار اليه — بأن اليهود لم تعلم من دعواه أنه ادعى الالوهية ، ذلك أننا نقرأ بعد فقرات قليلة أن الحوار تطور بينه وبينهم : **«فتناول اليهود ايضا حجارة ليرجموه . اجابهم يسوع : اعمالا كثيرة حسـنة أريتكم من عند أبى . بسبب اى عمل منهـا ترجموننى . أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فانك وانت انسان تجعل نفسك الها»** . (يوحنا ١٠ : ٣١ — ٣٣)

فاذا سلمنا بصحة هـذا النص — وذلك بعيد — ، لا يسعنا الا التصديق بأن اليهود الذين اشتركوا فى هذه المناقشة علموا أن عيسى ادعى الالوهية .

(١) فى ج ، ت : « التقبض » .   (٢) فى ج : « وقالت » .

(٣) فى ج : « تخدعون » .

(٤) فى ج : « قعود من القس » وفى ت . « نتود من القس » .

(٥) قارن يوحنا ٧ : ٤٥ — ٥٢ .

فما قالت اليهود ذلك الا [لأنه][1] أنزل لهم نفسه منزلة نبى فقط ، ولو علمت من دعواه [ادعاء] الالوهية لقالته يومئذ [تقبيحا له وتحريضا على قتله] .

وكثير من هـذا فى الانجيل يطول ذكره ، ولا محالة أنك ان سمحت نفسك بالانقياد الى الحق ، وخلعت الهوى ، علمت أن ذلك كذلك .

وفى الذى اتخذتموه دليلا على صلبه من كلام عاموص النبى ، أن الله قال على لسانه :

ثلاثة ذنوب أقبل لبنى اسرائيل [و] الرابعة لا أقبلها : [وهى] بيعهم الرجل الصالح .

[حجة عليكم لا لكم ، لأنه] لم يقل بيعهم اياى ، ولا قال بيعهم الها متساويا معى ، ويجرى تأويل قوله [هنا] على وجهين :

١ ـ أما أن يكون عنى بالمبيع عيسى كما تزعمون ، فقولوا [حينئذ] : انه الرجل الصالح ، أو العبد الصالح كما قال عاموص ، وليس بالاله المعبود .

٢ ـ وأما أن يريد بالمبيع غيره ، وهو الذى شبه لليهود فابتاعوه ، وصلبوه[2] ويلزمكم [وقتئذ] انكار صلوبية عيسى [عليه السلام] .

ثم جعلت حجة على اجلال منزلة عيسى عن آدم ، والاعتلاء به الى منزلة الألوهية ، أنه أحيا ميتا ، ولم ترد أن يكون الله تعالى [قد جعل][3] له ذلك برهانا على نبوته . ودلالة على صدق رسالته . ثم لم تلبث أن أوجبت ما نفيت ، وأقررت بما أنكرت ، وكنت كالقائم القاعد فى الحال

---

(١) فى ت : «الا وقد أنزل لهم نفسه» وفى ج : «الا وقد أنزل الله نفسه» .

(٢) يساق هذا دليلا على عدم صلب المسيح عليه السلام .

(٣) فى ج : « أن يجعل » .

الواحد [وذلك حين] قلت : ان عيسى فى حال الألوهية التى تصفونه بها ، قد أيد نفرا من الحواريين باحياء الموتى ــ بزعمكم ــ ، وجعلهم رسلا[1] الى الأجناس ، فأحيوا الموتى بزعمك .

فما الذى أوجب أن يكون المسيح فى حال الألوهية ، قد أيد بذلك بشرا[2] وجعله رسولا الى الأجناس ، ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيــد بشرا ، ويجعله رسولا الى الناس ؟

فان كان المسيح من أجل احياء ميت[3] هو الله فكل من أحيا ميتا بزعمك فهو الله ! .

وباجماع من جميع الملل الثلاثة أن الياس النبى أحيا الموتى ، وكذلك اليسع [4] فلم تظلمون بعضا دون بعض ؟

---

(١) فى ج ، ت : « وجعل لهم ارسالا » .

(٢) فى ج : « كثيرا » .

(٣) فى ج : « فان المسيح فمن أحيى ميتا » .

(٤) تحدث القرآن الكريم عن الياس مرتين :

(أ) « ..... **وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين** » .
(الأنعام : ٨٥)

(ب) « **وان الياس لمن المرسلين . اذ قال لقومه الا تتقون . أتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الأولين . فكذبوه فانهم لمحضرون . الا عباد الله المخلصين . وتركنا عليــه فى الآخرين . ســلام على ال ياسين . انا كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين** » .
(الصافات : ١٢٣ ــ ١٣٢)

وليس فيهما ما يدل على أنه أحيا الموتى . كذلك لم يذكر مؤلفو قصص الأنبياء شــيئا من ذلك ، باستثناء الثعالبى الذى ذكر أن الياس أحيا ميتا بعد موته بأربعة عشر يوما (انظر : ابن كثير جـ ٢ ص ٢٤١ ــ ٢٤٧ ، الثعالبى ص ٢٢٨) وهو من الاسرائيليات التى نقلها الثعالبى من سفر الملوك الأول اصحاح ١٧ .

=

ثم قلت : ان الله عز وجل لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله ، ووسطائه الى خلقه ، ليعلموهم الاقرار بربوبيته ، وشرعوا لهم ترك أوثانهم ، وأصنامهم • الفاشية ضلالتها فى جميع الأرض [لم يذعنوا] فنزل هو تعالى بعد ذلك من السماء ، ليكلم الخلق بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم بأن كلمهم بذاته ، لا بواسطة • فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده بعد أن كلمه بذاته •

أخبرنى أيها المغرور !

ما الذى أوجب ذلك ؟ هل كان علمه[1] لم يحط بما فعل أنبيائه ، حتى هبط ليطلع على فعلهم ؟

أو هل كانت أنبياؤه متهمة عنده لمخالفة أمره ؟

أو هل كانت الأنبياء لم تقو على بيان[2] ما جاءت به من الايمان

=

أما اليسع فقد ذكره القرآن الكريم فى موضعين :

(أ) ((..... واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين)) • (الأنعام : ٨٦)

(ب) ((.... واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار)) •
(سورة ص : ٤٨)

دون أن يبين أن الله أظهر على يديه معجزة احياء الموتى • كذلك لم أعثر فى قصص الأنبياء على ما يؤيد رأى أبى عبيدة ، الا أن العهد القديم ذكر أن اليسع أحيا صبيا مات بعد اصابته بدوار فى رأسه (الملوك الثانى ٤ : ١٦ — ٣٧) ويبدو ان أبا عبيده تأثر بذلك — وهى ظاهرة ابتلى بها كثير من علماء المسلمين — فسلم بأن الياس واليسع أعادا الحياة للموتى ، ونسى أن القرآن الكريم لم يخبر أن الله أيد نبيا غير عيسى عليه السلام بمعجزة احياء الموتى . وعليه فيكون قوله : ((وباجماع من جميع الملل .... الخ)) قولا خاطئا .

(١) فى ج : ((هل كان معلمك)) •

(٢) فى ج : ((هل كانت الأنبياء لم تقوا فيما بان)) •

بالله ، وعجزت عن اظهاره فى العالم ، وضعفت عن اظهار المعجزات العجيبة الدالة على صدقهم ، حتى هبط هو ففعل ما لم يفعله [من أرسل] من قبله ؟

فلقد قصصتم فى الانجيل الذى بأيديكم :

أن اليهود كانت تطالبه[1] بمثل معجزات موسى بن عمران ، فلا يجيبهم بشىء ، وسأذكر ذلك ، وبعض مواضعه من الانجيل ان شاء الله عز وجل .

أخبرنى أيها المخدوع !

ما الذى أظهره دليلا على أنه هو الله حتى تنقطع حجة العالم به دون غيره كما زعمت ؟

وما الذى رأوا من العظمة التى لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير ؟ الأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة ! ـ كما تظن من غير يقين ـ ، مصفوعا فى قفاه ، مبصوقا فى وجهه بتاج من الشوك على رأسه[2] مصلوبا على جذع[3] مسمرة يداه ورجلاه فيه .

وعجبا لتمويهكم أيضا ، باختلافكم فى خشبة صلبه . فمن قائل : كانت من السرو ،

ومن قائل : كانت من الأرز ،

ومن قائل : كانت أطروشا من قنبيط ! !

وقلتم : ان الخشبة قطعت وحملت على عنق الله تبارك وتعالى اذلالا له ، أو تبكيتا ، وصلب عليها .

تشنعون بذلك خطيئة اليهود ، لتضرموا قلوب عوامكم ضغنا عليهم .

---

(١) فى ج ، ت : « تطلبه » .

(٢) قارن انجيل يوحنا ١٩ : ١ ـ ٥

(٣) فى ج ، ت « على أطروش قلبيط » .

ولقد وجب [وحق الانسانية] تنقيص تلك الألوهية بما لا يخفى على أحد [ولو كان صبيا] .

لا جرم أنه لو سبق فى حكم الله ، أن يباشر خلقه ، مثل المباشرة التى ذكرتها ، لأنبأت بذلك التوراة ، والأنبياء تصريحا ، لا كناية وألغازا . ولجل ذلك عن الأفكار ، ولعظم فى الأوهام ، وانتظرته الأمم بأشد أسباب الانتظار .

ولقد[1] تأولتم فى التوراة ، وفى بعض النبوات [لاثبات التثليث] بما يخرج عن منهج الحق ، ويبعد عن الصدق[2] — ويوجد تأويل من قبلكم لها ، [وهو] أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ، وأوضح دليلا — [مثلا —] كما تأولتم فى الملائكة الثلاثة الذين أتوا بالبشارة [الى] ابراهيم تحت العفصة ، فقام اليهم ، وبجلهم ، وخاطبهم خطاب رجل واحد على ما ذكر فى توراة اليهود[3] .

جعلتم [ذلك] دليلكم على التثليث . الى غير ذلك من التأويلات التى هى رمد فى عين الايمان ، وشجى[4] فى صدر كل ناطق ، انسان .

ثم احتال بعضكم[5] لذلك الكفر البشيع ، والجهل الشنيع فى وجوه من العذر [التى] هى أقبح من الذنب ، كالشمس ثلاثة أشياء : جرم ، ونور ، وحرارة تشبيها بالتثليث .

وكالحديدة يحميها الحداد ، ثم يمدها ، فليمد ما شاء ، فانه ليس يمد النار وانما يمد جسم الحديد . تشبيها بالله عز وجل ، حين صلب بظنكم . الى غير ذلك من الهذيانات .

---

(١) فى ج ، ت : « أما أنكم »

(٢) فى ج ، ت : « وينزح عن مبين الصدق » .

(٣) انظر سفر التكوين ١٨ : ١ — ٢٢ .

(٤) فى ج : « سحى » . (٥) فى ج : « بعضهم » .

وانما استدركتم العذر بهذه الأقوال الوخيمة ، لتوهموا جهلاءكم[1] أن لتلك البشائع التى تعتقدونها ، وتنطق بها ألسنتكم[2] أسرارا وأصولا ثابتة فى الحقائق حين ينظرون الى من سواهم من أهل الملل ، يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئا ، وان اختلفوا فيما سوى ذلك .

وقد دعا سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أربابكم[3] الى المباهلة حين أنزل الله عليه :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »[4] .

فجزعوا لذلك ، وأبوا عليه ، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام لو باهلوا باضطرام ذلك الوادى نارا عليهم ، فتخوفوا نقمة الله تعالى حين يظهر[5] كرامته عليهم وجاهه لديه ، والا فلم لم يجيبوه[6] حينئذ ويتباهلوا ، ولا يحترقون كما أوعدهم فيكون فى ذلك عليه ما لا يخفى[7] :

[واذا تأملتم بعين الانصاف] الانجيل الذى بأيديكم ، فانكم تجدون فيه نصا على ما قدمت من الدلائل على براءة عيسى مما نسبتموه اليه من ادعاء الألوهية لنفسه :

---

(١) فى ج ، ت : « سفهاءكم » .   (٢) فى ج : « ألسنتهم » .

(٣) فى ج ، ت « وقد كان سيد النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم دعى أربابكم » .

(٤) آل عمران : ٥٩ — ٦١ .

(٥) فى ج « سمعوا » ، وفى ت : « شنوا » .

(٦) فى ج ، ت : « بيكتوه » .

(٧) انظر البخارى ج ٥ ص ٢١٧ وابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٠٠ — ١٠٨ .

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله »[1] .

غير أن من ضل بعده الى مدة من نحو ثلثمائة سنة كانوا [مهرة] فى استدراك الأكاذيب ، وتقفية الانجيل بها ، فادعوا[2] أنه[3] يكلمهم فى سحاب السماء ، وفى أضغاث الأحلام ، وشدوا أزر ذلك[4] بأن نصوا فى الانجيل :

أن الايمان بعيسى لم يتم الا بعده .

ليجعلوا ما جاءوا به من الكذب تماما لايمانهم .

وأصل هذا النص أن عيسى قال لأصحابه :

أن الايمان به لا يتم الا بالذى بعده ، وأكد ذلك فى مواضع كثيرة صرح فيها بسيد النبيين والمرسلين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . سأذكر منها ما تأتى لى ذكره فى هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

ولما هموا بالتحريف[5] بعد مدة من وفاة[6] الحواريين رضى الله عنهم ، وكرهوا ما ندبهم اليه عيسى ، وأمرهم به فانحرفوا عنه بتأويلات وخيمة اخترعوها ، والى شرائع مضلات شرعوها .

* * *

[بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها ، وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة]

وفى الانجيل الذى بأيديكم [كثير من المتناقضات][7] .

---

(1) آل عمران : ٧٩ .
(2) فى ج ، ت : « يدعون » .
(3) فى ج : « أنهم » .
(4) فى ج : «وشدوا ان رد ذلك»
(5) فى ج : « بالتخويف » .
(6) فى ج ، ت : « هلاك » .
(7) ذكر صاحب كتاب « الفاصل بين الحق والباطل » متناقضات أخرى =

. . . .

=

اردنا اثباتها هنا بتصرف مع تصحيح نصوص الانجيل التى أخطأ فى نقلها :

« أخبرنى أيها المغرور »

أى ضمان عندكم على صدق رواة دينكم ؟

وأى شهادة لكم على صدق أقوال مؤسسى مذهبكم ؟

أنتم تعلمون علم اليقين ، وتقرون مع الناس أجمعين ، أن عيسى عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقا ، ولم يترك شـيئا مسطورا من أقواله ، ولم يكلف أحدا بجمع مقالاته ، ولا أملى انسانا شريعته .

وانما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاها ، لم تحصرها الدفاتر ، ولا سطرتها الأقلام ، فى زمن المسيح عليه السلام ، ولا فى زمن متقارب منه ، لأن دينكم فشا فى الناصرة بين جماعة من صيادي الأسماك ... قليلى العدد .

ولاختلاطهم باليهود ، واستيلاء الجهل عليهم لم يقدروا على كتابة شيء من أقوال المسيح عليه السلام .

ثم اشتغلتم بعد ذلك بالمنازعات ، والمدافعات عن النصرانية. ..فلم تفكروا فى تقرير شيء من أصل دينكم ، وبقى هذا الدين .. فى الأذهان تلعب به أيدى الأغراض ، وهو يتقلب بين ما يمحوه النسيان ، وبين ما يثبته ويزيد فيه حوادث الأيام ، حتى آل الأمر الى اختلاف مذاهبكم ، وتعدد شرائعكم ، فصار عندكم أزيد من الخمسين انجيلا اتفقتم بعد الجيل السادس على خمسة أناجيل اخترعتموها تعرفون منها أربعة مشهورة .. وها أنا أسرد عليك عدة من تناقضها ، لتعلم تغييرها ، وتبديلها ، وعدم الوثوق بشيء منها :

١ ــ قال « لوقا » : **« وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله ... فقال لها الملاك : لا تخافي يامريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ... ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية »** . (لوقا ١ : ٢٦ ــ ٣٠)

ثم يذكر بعد ذلك ــ اى لوقا ــ أن يسوع حمل الى بيلاطس مذلولا مهينا : **« وسأله** (أى سأل بيلاطس يسوع) **بكلام كثير فلم يجبه بشيء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد »** . (لوقا ٢٣ : ٩ ــ ١٠)

وهذا تناقض ، لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكا عظيما ،

=

. . . .

والآخر يصفه بالذل والمهانة ، ثم ان هذا الملك الذى بشر به لم يتحقق مطلقا ؛ أما على رأيكم فقد صلب ؛ وأما على رأينا فقد رفعه الله تعالى من غير ملك ، ولا مهانة .

وقولكم فى هذا كله لا أصل له . ثم ان محاورة تجرى بين عيسى عليه السلام والأحبار أقحمت فى الانجيل اقحاما ، فأى شىء ادخلها فى الانجيل المنزل من السماء ؟

فالأولى بك أن تقطع أن هذا غير منزل .

٢ — ذكر انجيل « لوقا » أنه لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملاك السماء ليقويه . (انظر لوقا ٢٢ : ٤٢)

ثم يذكر ذلك « متى » ولا « مرقس » ولا « يوحنا » !

فان كانوا قد تركوا ذلك ، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام .

وان كان الترك صحيحا فتكون الزيادة كذبا فى النسخة الأخرى ! وليس هذا سوى التحريف والتبديل مع أن نقل « لوقا » يقتضى رفع المسيح عليه السلام الى السماء ، لأن الملك لا تقتله اليهود ، وما نزل الا للعصمة من الأذى .

وهذا ظاهر وهو مبطل لمعتقدكم فى الصلب . ثم تقوية الملك ان كان للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ، لأن الله تعالى لا يحتاج الى تقوية بغيره وان كان للناسوت ، فحينئذ أين هو اللاهوت ؟ فما حصل الاتحاد الذى تقولونه .

٣ — قال « يوحنا » ان أول آية أظهرها المسيح عليه السلام هى تحويل الماء خمرا (يوحنا ٢ : ١ — ١١) ، ولم يذكرها الثلاثة الآخر . واذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين ، وان كانت غير صحيحة عندهم ، فكيف ينقل الدين عن شخص واحد هو يوحنا ، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر .

٤ — قال « يوحنا » أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ، ومسحها بمنديل كان فى وسطه . (انظر يوحنا ١٣ : ٤ — ١١) وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع . ولم يذكر ذلك الثلاثة الآخر ، فان كان كذبا دخل الخلل ، وان كان صدقا ، فلم أغفلوه ؟ فدخل الخلل أيضا .

. . . .

٥ — قال « متى » : **« حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعتمد منه . ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى »**
(متى ٣ : ١٣ — ١٤)

وفى موضع آخر يقول : **« أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه . وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » .**
(١١ : ٢ — ٣)

وقال يوحنا : **« وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم . هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل ... فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس » .** (١ : ٢٩ —٣٣)

ولم يشارك أحد من أصحاب الأناجيل « يوحنا » فى الاشارة الى عيسى بأنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم . كذلك اضطرب « متى » ، فمرة يحكى عن احتياج « يوحنا » لعيسى وأخرى يبين لنا جهل « يوحنا » — وهو النبى بحقيقة عيسى .

٦ — يحكى يوحنا أن مريم المجدلية جاءت لزيارة قبره ومعها امرأة أخرى، واذا ملك نزل من السماء وقال لهما : لا تخافا فليس يسوع هنا فقد قام بين الأموات . (٢٧ : ١ — ٧)

بينما يحكى « يوحنا » أنها جاءت وحدها فرأت أن الصخرة قد رفعت عن القبر فأسرعت الى « بطرس » وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة . فخرج « بطرس » وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة فى ناحية القبر . وبينما هى واقفة تبكى ..... قال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبين ..... الخ . (انظر يوحنا ٢٠ : ١١ — ١٨)

فأى الروايتين أصح ؟

٧ — لم أغفل « متى » صعود المسيح عليه السلام وذكره « يوحنا » بتعبير غامض (٢٠ : ١٨) وهما من الحواريين الاثنى عشر ، بينما ذكره « لوقا » و « مرقس » وهما ليسا من الحواريين .

(قارن : الفاصل بين الحق والباطل ص ٤٢ — ٤٩) .

[فمثلا[1]] استشهادكم بكلام الأنبياء عليهم السلام ، واتخاذكم أقوالهم حجة [2] بينكم وبين اليهود . ثم أثبتم فى نص الانجيل أن عيسى قال :

أنا الباب ، فمن دخل على سلم ، ويجد مرعى أبدا ، ثم عرض بمن قبله من الأنبياء فجعلهم لصوصا وسراقا . فقال آمين ، أقول لكم انى أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا لصوصا وسراقا ، ولا يقبل اللص الا ليسرق شيئا ، ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا ، وتزدادوا خيرا[3] ولقد رأيت مفسركم « أوجستين »[4] . قد اعتذر عن هذا بهذيان لا يلتفت اليه .

وفى الانجيل الذى بأيدكم عنه قال :

ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة[5] وغيرى يشهد لى .

ثم فى موضع آخر من الانجيل أنه قال :

ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت[6] والى أين أذهب .

أخبرنى ! كيف تكون شهادته حقا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ؟

وكيف يجمع بين هذين فى كتاب منسوب الى الله تعالى ؟ .

---

(1) فى ج ، ت : « مملو من القول ونقيضه ، ولقد رأيت فيه من التضاد والتناقض ما فيه عجيب كاستشهاد » .

(2) فى ج ، ت : « جنة »

(3) قارن انجيل يوحنا ١ : ٨ — ١٨ .

(4) فى ج ، ت : « لطيفكم أغشيش » وفى ع : « أغشتين » .

(5) فى الانجيل : « فشهادتى ليست حقا » (يوحنا ٥ : ٣١) .

(6) فى الانجيل « **من أين جئت** » (يوحنا ٨ : ١٤) .

وفى الانجيل الذى بأيديكم عنه ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه — بظنكم — قال :

[الآن] قد جزعت نفسى ، فماذا أقول يا أبتاه ؟ فسلمنى من هذا الوقت[1] وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحا عظيما ، وقال :

ايلى ، ايلى ! لم شبقتنى[2] ، وترجمته : الهى ، الهى لم أسلمتنى[3]؟ ثم فى موضع آخر من الانجيل . أنه قال قبل ذلك :

من أحب أن يقفو أثرى فليوهب نفسه[4] .

فحرص على اتلاف النفوس ، فكيف يجزع [هو] مما حرض عليه قبل ؟ أم كيف يكون الها وتجزع نفسه ؟

أم كيف يكون ابنـــا لله يدعوه أن يخلصـــه من ذلك الوقت فلم يستجب له ؟

وفى الانجيل الذى بأيديكم عن « متى » الحوارى ، حين ذكر نسب عيسى عليه السلام :

قال هو ابن[5] يوسف بن يعقوب بن قتان بن اليعازر بن أليود

---

(1) نص الانجيل : « **فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت ... يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك** » . (متى ٢٦ : ٣٨ — ٤٢)

(٢) فى ج : « لم عرب » ، وفى ت : « لم عذبتنى » .

(٣) قارن « متى » ٢٧ : ٤٦ .

(٤) نص فى الانجيل : « **من أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الانجيل فهو يخلصها** » (مرقس ٨ : ٣٤ — ٣٥)

(٥) فى ج : « من يوسف » .

ابن أخيم[1] [وهكذا الى أن] عد الى ابراهيم الخليل عليه السلام أربعين أبا[2] .

وفى انجيل « لوقا » الحوارى يقول فى نسب عيسى :

انه ابن يوسف بن هالى[3] . وهكذا عد الى ابراهيم خمسا وخمسين أبا[4] .

فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله تعالى ؟ حتى أن[5] أحد ملوك العجم غير المتنصرة اطلع [فى] [6] أناجيلكم على هذا التناقض فى نسب عيسى فعابه عليكم[7] وشافه أربابكم فيه ، فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم .

ثم ان أحد الأساقفة سمع ذلك على بعد ، فخاطب الملك بعذر تخيل فيه[8] وهو أن النسبين المتناقضين :

أحدهما : نسب طبيعى ، نسب التناسل[9] والتوليد .

والآخر نسب شرعى ، نسب الولاء والكفالة .

فاستحسن جمهوركم هذا العذر وعمل عليه .

وفى الانجيل الذى بأيديكم عنه أنه كان يوما قد نهاهم عن التجارة فى بيت المقدس ، وأن اليهود قالت حينئذ : أى علامة تظهر لنا ؟

---

(١) متى ١ : ١ — ١٧ . (٢) فى ج ، ت : « تسعا وثلاثين أبا » .

(٣) فى ج ، ت : « يوسف بن متان بن لابى بن ملحا بن منان » .

(٤) فى ج ، ت : « تسعا وخمسين » وهو خطأ . انظر لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٤ .

(٥) فى ج ، ت : « وقد كان » . (٦) فى ج ، ت : « من » .

(٧) فى ج : « فكانت عليكم » . (٨) فى ج : « بعد أن تجبل فيه » .

(٩) فى ج ، ت : « التنسيل » .

فقال : تهدمون هـذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام .

فقالت اليهود : بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فـى ثلاثة أيام ؟ (*) .

ثم فى موضع آخر عنه [يقول انه] لما ظفرت به اليهود ـ بظنكم ـ وحمل الى بلاط عامل [ال] قيصر ، واستدعيت عليه بينة ، أن شاهـدى زور جاءا اليه وقالا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام[1] .

أخبرنى ! كيف استجزتم أن تسموهما شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم أنه قال ذلك ؟

فان قلت : ان اليهود ظنوا بهـذا القول غير ما عنى عيسى ، فان الشاهدين لم يشـهدا على تأويل ، انما شـهدا على لفظه ، وما نطق به لسانه ، وما هو فى كتابكم منصوص[2] .

وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فى كلامه ، [هو] بيت المقدس ؟

[فقلتم انما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام ، وأن الخمس والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الجمل ، وهكذا من الهذيانات التى لم تعرف اليهود منها شيئا ، ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى عليه السلام هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم][3] .

(*) نص الانجيل : « **أية آية ترينا ؟ ... فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل** » . (يوحنا ٢ : ١٨ ـ ٢٠)

(١) قارن متى ٢٦ : ٦٠ ـ ٦١ .

(٢) فى ج ، ت : « وما هو فى كتابكم نص » .

(٣) فى ج ، ت : « فقلتم فى معنى ذلك أن التربة التى صنعت منهـا =

وفى الانجيل الذى بأيديكم عنه أن يحيى قال فيه : انه يجب أن يكبر ولا ينقص[1] .

أخبرني أيها المغرور عمن كان الها تاما كما تصفون . كيف تلحقه الزيادة ، ويدركه النقصان أو تأخذه الآفات ؟

وقد اعتذر عن سفاف هذه المقالة مفسركم « أوجستين »[2] ، وأراد تأويله بنوع [من] الهذيان ، ثم استحى .

وفى الانجيل « للوقا » أن عيسى قال لرجلين من تلامذته :

اذهبا الى الحصن الذى يقابلكما ، فاذا دخلتما ، فستجدان جحشا[3] . مربوطا لم يركبه أحد فحلاه وأقبلا به الى[4] .

=

الخمسة والأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التى فى ابتداء السطر اذا حصلت وجد آدم . وأكدتم التصديق ، فهذا الهذيان الذى لا يؤدى الى معنى باخراج المعدود من اسم آدم حين نزل حروفه بحساب أبى جاد على خمسة وأربعين من العدد : فأنتم تأولتم قول اليهود بهذا الهذيان ، وأنتم أقررتم أنها لم ترد شيئا من ذلك ، وانما أرادت المدة التى يبنى فيها بيت المقدس ، ومن أعجب الأشياء أن اليهود لا تعرف شيئا من هذا ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من مزخرفات أصل مزخرفات كتبكم » .

(١) نص الانجيل : **« ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص »** .
(يوحنا ٣ : ٣٠)

(٢) فى ج ، ت : « مفسركم ولطيفكم أغسس » .

(٣) فى ج ، ت : « فلوا » .

(٤) نص الانجيل : **« اذهبا الى القرية التى أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاه وائتيا به »**
(لوقا ١٩ : ٣٠)

وفى الانجيل « لمتى » يصف هذا الخبر بعينه ، ويذكر [أنه كان معها أتانة] [1] فحسبك [هنـا] من خلل ووقوع تشكيك .

وفى الانجيل « للوقا » يخبر عن المرأة التى صبت الطيب على رجلى المسيح ، و [أنكر ذلك] [2] التلاميذ ، وقالوا : هلا تصدقت به[3] .

وفى الانجيل « لمتى » يصف هذا الخبر بعينه [ويذكر] أنها انما صبت الطيب على رأس المسيح[4] .

فما أبعد اليقين عن خبر فيه هـذا الاختلاف ؟

وفى الانجيل أن أم ابنى [زبدى][5] جاءت الى عيسى ، ومعها ابناها ، فقال : ما تريدين ؟

فقالت : أريد أن يجلس ولدى : أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، اذا جلست فى ملكك .

فقال : تجهلين السؤال . أيصبران على الكأس الذى أشرب ؟

فقالا : نصبر .

فقال : سيشربان بكأس ، وليس تجليسكما عن يمينى ، ولا عن شمالى الا الى من وهب ذلك الى[6] .

---

(١) فى ج ، ت : « أنها انما كانت حمارة متبعة » . قارن متى ٢١ : ١ — ٢ .

(٢) فى ج ، ت : « شق على » .

(٣) قارن لوقا ٧ : ٢٦ — ٥٠ .

(٤) متى ٢٦ : ٧ .

(٥) فى ج : « سداى » . وفى ت : « أن أم سداى » .

(٦) قارن متى ٢٠ : ٢٠ — ٢٣ .

فها هو ذا عيسى قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء[1] .

ومن أعجب الأشياء ، التماس بعضكم تأويلا لهذه المقـــالات الشنيعة[2] . [فتنتقلون من الفلسفة تارة ومن العلوم الروحانية أخرى] [3] حــين [لا تجدون لنصوصكم مخرجا شرعيا][4] .

وأيم الله ! ما يعلم في معمور الأرض ديانة يتشرع بها انسان[5] تضاد الفلسفات والعقليات التى ادعيتم تجويز محالاتكم عليها مثـــل ملتكم[6] .

ولعمرى[7] ان العرب ، عبدة الأوثان ـــ الذين بعث الله فيهم ســيد النبيين ، والمرسلين ، محمدا صلى الله عليه وسلم ـــ كانوا أشد الكفار[8] عبادة [للأوثان] وأشنعهم الحادا [ورغم هذا] فلقد اتقوا من مثل ما أنتم عليـــه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم :

« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »[9] .

فكأنهم نزهوا الله تعالى [الا أنهم] جعلوا واسطة بينهم وبينـــه جهلا منهم .

---

(1) ليس هذا النص دليلا على التناقض فى الانجيـــل ، وانمـــا يســـاق دليلا على عدم الوهية عيسى ، لأنه فوض الأمر لله العلى القدير .

(2) فى ج : « البشيعة » .

(3) فى ج ، ت : « من فلسفة ، وروحانية » .

(4) فى ج : « يهديكم المقبولات الشرعيات » ، وفى ت : « حتى نبذتم المعقولات الشرعية » .

(5) فى ج : « يسرع بها انسانا » .

(6) فى ج : « من مثلكم » .

(7) فى ج ، ت : « ولقد تعلم » .

(8) فى ج ، ت « كانوا شر الكفار » .   (9) الزمر : ٣ .

ما أبين فضل[1] هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك [وتعالى] ، نزل من السماء عن كرسى عظمته ، ودخل فى امرأة ، وأقام يتخبط تسعة أشهر فى بحر[2] بين بول ودم وطمث ثم خرج بعد ذلك الى لطم اليهود خديه وصفعهم فى قفاه وبصقهم فى وجهه ، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه وقصبة فى يده استخفافا به ، وتسميرهم يديه ورجليه فى خشبة ، وصلبهم اياه عليها [3] ، وايجابه تبارك وتعالى على نفسه اللعنة ، بذلك ، لأنه تعالى قال فى التوراة : « ملعون ، ملعون من تعلق بالصليب »[4] .

ولقد جعلتموه سفيها حين وصفتموه بهذا وهو قادر ، وأوجبتم شكر اليهود على أنفسهم ، فان فعلهم به أرشد من فعله بنفسه ، حين أعادوه الى سمائه، وصرفوه الى كرسى عظمته .

وقد كان سفها بأن أهان نفسه وأنزلها فى غير نصابها .

نستعيذ بالله من شر هذا الالحاد الذى شرعتموه ، ونستهديه أوضح سبل الرشاد الذى حرمتموه : ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ومما فى الانجيل عنه من التناقض أنه قال : لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض ، لم آت لصلاحهم لكن لألقى المحاربة بينهم . انما قدمت لأفرق بين المرء وابنه ، وبين الابنة وأمها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته[5] .

---

(١) فى ج : « ما من فصل » .   (٢) فى ج : « من بحر » .

(٣) قارن « متى » ٢٧ : ٢٨ — ٣١ « مرقس » ١٥ ، ١٦ : ١٦ — ٢٠ ، « لوقا » ٢٢ : ٦٣ — ٦٥ « يوحنا » ١٩ : ١ — ٥ .

(٤) نص التوراة : **« واذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله »** . (سفر التثنية ٢١ : ٢٢ — ٢٣)

(٥) قارن متى ١٠ : ٣٤ — ٣٦ .

وفى الانجيل أيضا عنه أنه قال : انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا ، وأصلح بين الناس [1] .

ففى الأول جعل المسيح نفسه نقمة على العالم ، وفى الثانى رحمة عليهم ، وهذا كلام نبرىء الحواريين منه .

وأنه قال : من لطمك على خدك الأيمن [2] فانصب له الأيسر[3] .

وفى الانجيل عنه أنه قال : لم آت لأنقض شريعة من قبلى ، انما جئت لأتمم[4] .

وما أشبه هذا ، ثم فيه بعد أحرف قليلة كلام آخر ينقض فيه شريعة التوراة حرفا حرفا ، فى قوله :

أما علمتم أنه قيل للقدماء :لاتقتلوا ومن قتل فقد استوجب القتل .

وأنا أقول : كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة .

ومن قذف أخاه ، فقد استوجب النفى من الجماعة ، ومن رماه بالحرق ، فقد استوجب جهنم .

أما علمتم أنه قيل للقدماء : من فارق امرأته ، فليكتب لها كتاب الطلاق ؟ .

وأنا أقول : من فارق امرأته منكم ، فقد جعل لها سبيلا الى الزنا[5] ومن تزوج مطلقة فهو فاسق .

---

(١) هذا النص ترجمة لما تحتويه موعظة الجبل .

انظر متى : الاصحاح الخامس والسادس والسابع .

(٢) فى ج : « بخديك » .

(٣) قارن متى ٥ : ٣٩ .

(٤) قارن متى ٥ : ١٧ .

(٥) فى ج : « الزواج » .

وقوله : أما بلغكم أنه قيل للقدماء : العين بالعين والسن بالسن ؟

وأنا أقول لكم :لاتكافئوا أحدا بسيئة ، ولكن من لطم خـــدك اليمنى ، فانصب له خدك اليسرى ، ومن أراد مغالبتك ، وانتزاعك قميصك، فزده أيضا رداءك ومن سألك شيئا فأعطه ، ومن استسلفك فأسلفه(*) .

أخبرنى أيها المغرور عن هذا الخلاف ! أتعده تتميما أو نقضـــا لشريعة من سبقه ؟

وفى الانجيل « لمتى » عن المسيح أنه قال « لبطرس » :

طوبى لك ياشمعون بن الحمام ، وأنا أقول لك انك الحجر ، وعلى هذا الحجر أبنى بيتى ، فكل ما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقودا فى السماء[1] .

ثم فيه بعد أحرف يسيرة يقول له ــ أى « لبطرس » :

اذهب [عنى] ياشيطان ، ولا تعارضنى ، فانــك جاهل[2] .

فكيف يكون شيطانا جاهلا ويطيعه صاحب السماء ؟

وفى الانجيل أيضا نص [يفيد] أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هــذا ما [جــاء] فى انجيل « متى »[3] .

ثم فى انجيل يوحنا أن يحيى بعثت اليه اليهود من يكشفون لهم عــن أمره ، فسألوه من هو : أهو المسيح ؟

قال : لا .

قالوا : أخبرنا ! من أنت ؟

قال : أنا صوت صارخ فى البرية [4] .

(*) قارن متى ٥ : ٢١ ــ ٤٤ .. (١) قارن متى ١٦ : ١٧ ــ ١٩

(٢) قارن متى ١٦ : ٢٣ . (٣) قارن متى ١١ : ١١ .

(٤) فى ج ، ت : « أنا صوت مناد فى المفاز » .

الى كلام كثير ينفى [شيه] عن نفسه ، كونه الياسا ، أو كونه نبيا[٥] ولا يجوز لنبى أن ينكر نبوته•

وقال فى هذا الكلام [حـين][١] ذكر عيسى أنه لا يصلح أن يحـل شراك نعله[٢] ؛ وسماه حمل الله [٣] ، وأنتم تقولون : هو الله •

وكذلك تتالون من الانجيل الذى بأيديكم [حين تدعون] أنه لا نبى بعده [أى بعد عيسى ثم تثبتون] فيه أيضا أنه كان بعده بأنطاكية أنبيـاء منهم « برنابا » ، و « سمعان » ، « ولوكيوس » ، و « مناين » [٤]•

وكذلك فى كتبكم أنه قدم أنبياء الله من البيت المقدس ، وقام آخرهم ـــ وكان يتيما [اسمه] «أغبانوش» ـــ فتنبأ [بقحط شامل ومجاعة عامة][٥]•

وفيها [أى الكتب] أن « جرجيس » [جاء] بعده ، وبعث الى ملك الموطى وهو من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين •

فأنتم القائلون أن لا نبى بعد المسيح ، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء كلهم ولم يكن لهم من الذكر فى الكتب ولا [فى أخبار الأنبياء] مثل ما للذى كفرتم •

(*) قارن يوحنا ١ : ١٩ — ٢٧ •

(١) فى ج ، ت : « وقد » •   (٢) فى ج : « شراك عينيه » •

(٣) فى ج ، ت : « حروف » باهمال الأول • لكن فى الانجيل (حمل) انظر يوحنا ١ : ٣٧ — ٢٩ •

(٤) فى ج : « فاربه (بدون نقط) وشمعون ، ولو موسى (بدون نقط) وما ثلل • وهذا خطأ ، اذ جاء فى أعمال الرسل الاصحاح الثالث عشر : « وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون « برنابا » ، « وسمعان » الذى يدعى « نيجر » ، « ولوكيوس » القـيروانى « ومناين » الـذى تربى مع « هيرودوس » رئيس الربع ، وشارل » • (أعمال الرسل ١٣ : ١)

(٥) فى ج : « فتنبأ وقال : انه يكون فى بلاد مجاعة ، وقحط شديد » •

« وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم ، وما اشتملت عليه من الزلل، والأباطيل .

ومن طالع كتبكم ، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أيدى سبأ ، وأنكم لا تلزمون مذهبا [وليس هذا بغريب] فأناجيلكم [ما هى الا] حكايات ، وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم . حتى أنى أحلف بالذى لا اله الا هو أن تاريخ الطبرى عندناأصح نقلا من الانجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبنى عليه شىء من أمر الدين ، وانما هو فكاهات فى المجالس .

وتقولون مع ذلك : ان الانجيل كتاب الله ، أنزله الينا ، وأمر المسيح باتباعه .

فليت شعرى ! أين هذا الانجيل المنزل من عند الله ! وأين كلماته من بين هذه الكلمات ! .

[ان] الذى تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظا — وهو قليل — لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله ، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك . فهذا كله ليس من عند الله ، فنحن لا نقول : ان كل ما تكلم به محمد صلى الله عليه وسلم قرآن . وقد نقل عنه القرآن — الموحى به من ربه لفظا — نقلا متواترا ، يقطع بصحته الخلف والسلف . أما أنتم فلا يتعين لكم شىء مما أنزل الله أبدا ، فضلا عن نقله بعد تعيينه .

* * *

[ابطال دعوى صلب المسيح من الانجيل]

ثم قلت : انه لا ينكر صلبه [أى عيسى] الا كافر ، وما ذلك الا ضلالات ابتدعتموها ، ومحالات على رعاع الأعاجم أجزتموها ، وأيم الله! انكم لفى شك منه ، مالكم به من علم الا اتباع الظن [1] .

والا فأخبرنى أيها المغرور ! ما معنى قول « يهوذا الأسخريوطى » [2] [وهو من الحواريين ، تلاميذ المسيح ، ارتد عنكم بزعمكم] ودل عليه بظنكم — حين خرج مع اليهود الى طلبه ، قال لهم : انى لأستحى منه [ولذا فسوف] أجعل الأمارة عليه — حيث أنكم لا تعرفونه بعينه — أن أقبله . فاذا فعلت فأنتم وذاك [3] .

فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه ، وهذا منصوص فى انجيلكم [4] ومن نصوصكم أيضا أنهم حين أحاطوا بعيسى ومن معه ، خرج بنفسه اليهم وقال : من تطلبون ؟

قالوا : يسوع الناصرى [5] .

قال: أنا هو .

---

(١) « .. **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا** » (النساء : ١٥٧)

(٢) فى ج . ت : « اليهود الاشكوريوت » .

(٣) نص الانجيل : « **والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى اقبله هو هو . أمسكوه** » (متى ٢٦ : ٤٨)

(٤) فى ج : « وهذا فى انجيلكم أيضا » ، وفى ت : « وهذا فى اناجيلكم وفى نصوصكم أيضا » .

(٥) فى ج : « باشر القازرى » .

فنظروا الى يهوذا [نظرة تساؤل عن الاشارة التى اتفقوا معه عليها ، ففعلها] [1] فقبضوا [2] عليه بظنكم [3] .

أخبرنى ! .

كيف أمنتم [والحال كما رويتم] أن يكون قد عمدت الى سواه ـــ [حيث] كانت لا تعرفه ـــ ورفعه الله ، كما رفع أخنوخ النبى [4] .

---

(١) فى ج : « فنظروا الى أن أظهر يهود الأمارة » .

(٢) فى ج : « فتقبضوا » .

(٣) اتفقت الأناجيل الثلاثة ـــ « متى » ، « ومرقس » ، « ولوقا » ـــ فى رواية القبض على عيسى عليه السلام ـــ كما يزعمون ـــ ، اذ نصت على أن « يهوذا الأسخريوطى » قبل عيسى ، فعرفه الجند ، فقبضوا عليه ، وخالفهم فى ذلك « يوحنا » فقد جاء فى انجيله :

« فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم . فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض . فسألهم أيضا : من تطلبون . فقالوا : يسوع الناصرى . أجاب يسوع : قد قلت لكم انى أنا هو . فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون . ليتم القول الذى قاله ان الذى أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا ... ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه . ومضوا به » « يوحنا ١٨ : ٣ ـــ ١٢)

(٤) فى ج : « حنوح » ، فاسمه فى التوراة العبرية : « خنوخ » وفى الترجمة العربية « أخنوخ » .

من هو « أخنوخ » هذا ؟

جاء ذكره فى الكتاب المقدس خمس مرات :

(ا) أخنوخ بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم عليه السلام (التكوين ٥ : ١ ـــ ٢٠) ، ثم أخبر أن الله أخذه :

=

. . . .

« وسار « أخنوخ » مع الله ، ولم يوجد ، لأن الله أخذه » (التكوين ٥ : ٢٤) .

(ب) ذكر كاتب « أخبار الأيام الأول » نسبه ، وهو مطابق لما ورد فى سفر التكوين . (١ — ١)

(جـ) كذلك أورده « لوقا » فى أنجيله ، عندما تحدث عن نسب المسيح ، فاتفق مع سابقه فى سلسلة نسبة — أى أخنوخ — (حتى آدم عليه السلام). (لوقا ٣ : ٣٧) .

(د) جاء فى الرسالة الى العبرانيين : « بالايمان نقل « أخنوخ » لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله » . (١١ — ٥) .

« اتفق هذا النص مع نص سفر التكوين ، وان اختلفت الألفاظ ، ففى سفر التكوين « .. أخذه .. » وهنا « ... الله نقله » ، فاليهود والمسيحيون يفسرون كلا التعبيرين بأن الله رفعه الى السماء .

(هـ) أما ما حكى فى « رسالة يهوذا » فلم يخرج عن كونه اخبارا بأن : « أخنوخ » هو النبى السابع بعد آدم ، بلغ رسالة ربه الى الناس مبينا لهم انه سوف يعاقب الفجار على ما اقترفت أيديهم ..... الخ » .
(قارن « رسالة يهوذا » ١٤ — ١٦)

يتضح من هذه النصوص اتفاق الكتاب المقدس بقسميه : العهد القديم ، والعهد الجديد — على :

— سلسلة نسب « أخنوخ » .

— وأن الله رفعه حيا .

ماذا تقول المصادر الاسلامية عنه ؟

لم يذكر القرآن الكريم هذا الاسم اطلاقا ، الا أن المؤرخين عندما تحدثوا عن ادريس عليه السلام ، قالوا انه ابن يارد بن مهلئيل ابن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم عليه السلام ، واسمه فى التوراة « أخنوخ » .

ثم رووا قصة عن كعب ، تفيد أن الله رفعه الى السماء ، ردا على سؤال لابن عباس عن تفسير قوله تعالى : **« ورفعناه مكانا عليا »** .

ولعلكم صدقتم [يهوذا] الاسخريوطى[1] فى دلالته عليه ، [و] فى نص انجيلكم ، أنه مرتد ، كافر ، ملعون • فشهادته اذن غير جائزة ، أو لعله عندما عاينه ، وأدركته الندامة ، جعل الامارة على غيره من التلاميذ ، وسارع التلميذ الى وقايته بنفسه •

والدليل على قيام هذا الاحتمال أنه فى نص الانجيل الذى بأيديكم أن « يهوذا الاسخريوطى » أدركته الندامة حينئذ ، و [أعاد] [2] لهم الثلاثين • درهما التى كان باعه بها ، اذ أعلمهم أنه ليس [هو] ذلك [المقبوض عليه]•

فقالت له اليهود : وما علينا[3] ! •

=

(انظر : ابن كثير : قصص الأنبياء جـ ١ ص ٧١ — ٧٥ ، والثعالبى ص ٤٢ — ٤٣ ، والطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن : جـ ١٦ ص ٧٢) •

ولا يخفى أن هذا كله اسرائيليات ، اذ تدل الآية القرآنية على أن الله رفع قدره ، لا على أنه رفعه الى السماء ، فتوجيهها الى المعنى الذى روى عن كعب متأثر بتيار انتشار الاسرائيليات فى المجتمع الاسلامى •

كذلك اعتمد المؤرخون فى نسب « ادريس » عليه السلام على ما جاء فى الكتاب المقدس بشأن « أخنوخ » ، ويبدو لى أن ولوعهم بذكر نسب كل نبى ورد اسمه فى القرآن ، دفعهم الى القول بأن « ادريس » هو « أخنوخ » ، اذ عندما تصدوا لكتابة قصص الأنبياء ، وجدوا أن القرآن الكريم أشار الى بعضهم اشارات عابرة — لأنه ليس كتاب قصص فى المقام الأول بل هو تشريع — لذا بحثوا عما سكت عنه فى الكتاب المقدس ، فكان عملهم هذا غير علمى — فى محيط المجتمع الاسلامى — اذ المصدر الذى يعتمد عليه فى البحث العلمى ، يشترط فيه ان يكون صحيحا ، وخاصة ما يتعلق بشرح ما جاء فى القرآن الكريم ، وعليه فقول المؤرخين المسلمين ان « ادريس » هو «أخنوخ» يفتقر الى دليل صحيح من مصادر التشريع الاسلامى •

(١) فى ج ، ت : « الاشكريوط » •

(٢) فى ج : « وحرف » •

(٣) قارن متى ٢٧ : ٣ — ٤ •

فأنت ترى هذه الندامة ، وهذا القول لليهـود [وتقـرأها فى] أناجيلكم[1] وقلتم :

---

(١) تتلخص ملاحظات أبى عبيدة التى استنتجها من الانجيل للتدليل على أن الشخص الذى صلبته اليهود لم يكن عيسى فيما يلى :

(ا) لم يكن عيسى بشخصه معروفا لدى رجال الشرطة ، التى أمـرت بالقبض عليه ، ولذا أخذوا معهم « يهوذا الاسخريوطى » ليعينه لهم .

(ب) ثبت أى يهوذا ندم على استعداده لمعاونة الشرطة ، فى تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ ، ورد لهم المبلغ الذى أخذه منهم .

(ج) يحتمل بناء على هاتين الملاحظتين ـــ وهما مذكورتان فى الانجيل نصا ـ أن يهوذا أدركته الندامة قبل وصوله مع رجال الشرطة ! الى المكان الذى فيه عيسى مع تلاميذه ، فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ، ولم ينكر التلميذ رغبة فى انقاذ معلمه فأخذ ، وصلب .

ولا يرفع هذا الاحتمال ذهاب مريم المجدلية الى القبر ، واخبارها بقيـام عيسى عليه السلام ، لأنها لم تكن مع التلاميذ ، حين ذهبت الشرطة للقبض عليه ، ولم يخبروها بأن المقبوض عليه ليس عيسى ، حتى لا ينتشر الخبر ، فتعاود السلطات البحث عن عيسى . كذلك لم يكذبوها حين روت أنه قـام من قبره ، لأن فى ذلك رفعا لشأنه . وعاملا قويا لحمل الناس نفسيا على الايمان بالمسيحية .

اعتقدت مريم بأن المصلوب هو عيسى ، فصدمت نفسيا ، ولم تصدق الواقع ، فآمنت ـــ تحت تأثير الصدمة ـــ بامكان رجعته بعد موته ، وتلـك ظاهرة معروفة فى كل الجماعات الدينية ، فاننا « اذا تتبعنا تطـور الجماعات الدينية فى معتقداتها وجدنا أن عقيدة الرجعة لانسان معين تنم عن تقدير المعتقد لهذا الانسان المعين ، وعن حبه له ، بل عن شدة الوله به ، وعن هذا الحب الشديد ، والرغبة المتزايدة فى الحرص على بقائه ، ولقائه ، ومحادثته ، ينشـأ شك المحب فى قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بانه قتل ، أو مات . فاذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهى أنه لم يعد يراه يقظة ، ولم يعد يتحدث اليه مشافهـة بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بموته أو قتله مع ذلك ، ويؤمن بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوما ما . طالت فترة الغيبـة أم قصرت . لأن الحب القوى يخلق أملا قويا قد يتعارض مع واقـع الأمـر .

=

انه خنق[1] نفسه[2] • وتأويل المفسرين منكم فى خنق نفسه : أنه[3] أراد الاسراع عاجلا الى جهنم ، قبل نزول عيسى اليها ، ليخرج[4] من فيها حين فداهم بدمه من عذابها • فأراد يهوذا أن يكون من جملـة المخرجين •

وقلتم : ان عيسى أبى الا أن يكون [أى يهوذا] فيها من المخلدين[5] •

فأما[6] اليهود فانها قتلت رجلا لم تعينه ــ باقرار كتـابكم ــ ولم[7] تعرفه الا بشهادة يهوذا الأسخريوطى ، أنه ذلك المطلوب وأمـا

=

والنفس موزعة بين الأمل القوى ، والواقع الذى لامراء فيه ، لا تركن الى طرف منهما . وهذه حال الشك .

ولكن عيشـة النفس فى الأمل أهدأ وارغد ، لأن متعتها فيه أطول ، ولأنـه ملجؤها عند فرارها من الواقع . ولهذا ترجح البقاء فيه عن النزول الى عالم الحقيقة ، وهذا هو حال ترجيح أحد طرفى الشك . وهو هنا ترجيح غيبـة المحبوب ، دون الاعتقاد بقتله ، أو موته الذى تمثل الواقع ، ثم يصبح هـذا الترجيح عقيدة بالغيبة .

فاذا اطمأنت النفس عندئذ الى غيبة المحبوب تحول هذا الاطمئنان الى أمل قوى فى عودته ، لأنها شديدة الحرص من قبل على رؤيته يقظة ، ومشافهته فى الحديث . ثم يتحول هذا الأمل بعد مرور فترة أو فترات عليه الى عقيـدة برجعته » . (البهى : الجانب الالهى ج ١ ص ٩٢ ــ ٩٣)

اشتد هذا الأمل عند مريم ، فتخيلته واقعا ، فأخبرت بأنها رأت عيسى عليه السلام ، وكلمها ، ولم يكن ذلك سوى هواجس النفس ، التى لا تذعن للواقع من شدة ما ألم بها من الحزن .

(١) فى ج : « خلق » . (٢) متى ٢٧ : ٥ .

(٣) فى ج : « اذا » . (٤) فى ج : « فيخرج » .

(٥) يشير بذلك الى ما ورد فى الانجيل على لسان عيسى عليه السلام : « .... **ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولـد** » (مرقس ١٤ : ٢١)

(٦) فى ج : « وأما » . (٧) فى ج : « لا تعينه ...... ولا » .

أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك ، ولا خبر قاطع للحجة •

كيف لا ، ونصوص الانجيل ، والكتب النصرانية ، متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام ووقوع الشبه على غيره ، وذلك من وجهين :

أحدهما : جاء فى الانجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود ، فأعطوه خلا ممزوجا بمرارة ، فذاقه ولم يشربه ، فنادى : الهى!الهى!لم خذلتنى ؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوما وليلة ، ويقول للتلاميذ : ان لى طعاما لستم تعرفونه • ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوما وأربعين ليلة ، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس ، فكيف بخواص الأنبياء ؟ أو كيف بالرب تعالى ، على ما تدعونه ؟ فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره ، وهو الذى شبه لكم •

ثانيهما : الهى ! الهى ! لم خذلتنى ؟ هو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى • وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك • فيكون المصلوب غيره ، لا سيما وأنتم تقولون ان المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه • فكيف تروون عنه ما يؤدى الى خلاف ذلك ؟ مع روايتكم فى توراتكم أن ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت ، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم ، فلم يجزعوا من الموت ، ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه ، مع أنهم عبيد الله ، والمسيح ـــ بزعمكم ـــ ولد ، ورب ، فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره •

ولعلك تقول : ان القول بالقاء الشبه على عيسى عليه السلام يفضى الى السفسطة والشك فى الحقائق ، والدخول حينئذ فى الجهالات ، وما لا يليق بالعقلاء ، لأننا اذا جوزنا القاء شبه الانسان على غيره ، فاذا

رأى الانسان ولده لم يثق بأنه ولده ، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده ، وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه • لا يثق الانسان بأحد منهم ولا يسكن اليه •

ونحن نعلم بالضرورة أن الانسان يقطع بأن ابنه هو ابنه ، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة ، بل القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الانسان ووطنه اذا دخله ، ولعله مكان آخر ، ألقى عليه الشبه ، فلا وثوق بوطنه ، ولا بسكنه ، ولا بالفه ، ولا بشىء مما يعرفه •

بل اذا غمض الانسان عينه عن صديقه بين يديه ، ثم فتحها فى الحال، ينبغى له أن لا يقطع أنه صديقه ، لجواز أن يلقى شبهه على غيره•

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة ، فيكون القول بالشبه محال ، كالقول ان الواحد نصف العشرة ، والمثلث هو عين المربع •

ويكون قصدك من ذلك كله أن يكون المصلوب هو عين عيسى عليه السلام • فان قلت ذلك ، أجيبك بما يلى :

ان قولك هذا تهويل ليس عليه تعويل ، لأن البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله خلق الانسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشىء حكم مثله، فما من شىء خلقه الله تعالى فى العالم الا وهو قادر على خلق مثله ، اذ لو تعذر خلق مثله ، لتعذر خلقه فى نفسه ، فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلا ، بل جملة العالم ، وهو محال بالضرورة •

واذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شىء فى العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال فى حيز الامكان فى العدم، يمكن خلقها فى محل آخر ، غير جسد عيسى عليه السلام فيحصل الشبه قطعا •

والقول بالشبه قول بأمر ممكن ، لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤيد

ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية فى عصاة موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فان جعل حيوان يشبه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا ، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لابراهيم عليه السلام بردا وسلاما ، وعلى قلب الماء خمرا ، فاذا جوزتم مثل هذا ، جوزتم أيضا القاء الشبه من غير استحالة[1] .

ثم ان الانجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم ، يعظهم ويعلمهم ، ويناظرهم ، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟

واذا كان كذلك فى غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الانجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه ، حتى دفعوا لأحد تلاميذه ــ وهو يهوذا ــ ثلاثين درهما ليدلهم عليه . فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ، ومعه جماعة من اليهود ، ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ، وقال لهم التلميذ المذكور : الذى أقبله هو مطلوبكم فامسكوه .

فلما جاء قال : السلام عليك ، ثم قبله ، فقال له يسوع : لماذا جئت ياصاحب ؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه . وتركه التلاميذ كلهم وهربوا ، وتبعه « بطرس » من بعيد . فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك ، وانى أقول لكم : انكم من الآن لا ترون ابن الانسان حتى تروه جالسا عن يمين القوة آتيا فى سحاب السماء[2] .

---

(١) راجع تفسير آخر لكيفية القاء الشبه فى ص ١٦٢ .. مهموشة رقم ١ .
(٢) قارن : متى ٢٦ : ٦٣ ــ ٦٤ ..

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين فى المحاورات العظيمة ، والمجادلات البليغة ، كلها تدل على وقوع الشبه قطعا ، خصوصا أن فى الانجيل ، أنه أخذ فى حندس من ليل مظلم من بستان فشوهت صورته ، وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال • ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشىء وخلافه ، فكيف بين الشىء وشبهه ، فمن أين لكم ، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما حصل الظن والتخمين ، كما قال الله تعالى :

« وما قتلوه يقينا • بل رفعه الله اليه » (1) •

ثم فى الانجيل أيضا : أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود فى طلبه ، فخرج اليهم عليه السلام ، وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع • وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين [يوحنا ١٨ : ٤ — ٨] وهم ينكرون صورته ، وما ذلك الا دليل الشبه ، ورفع عيسى عليه السلام • لا سيما وقد حكى بعض منكم أن المسيح أعطى قوة التحول من صورة الى صورة •

قال متى فى انجيله [متى ٢٦ : ٣١ — ٣٤] : بينما التلاميذ يأكلون طعاما مع يسوع عليه السلام قال : كلكم تشكون فى فى هذه الليلة ، فانه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم •

فقال « بطرس » : فلو شك جميعهم ما أشك أنا •

فقال يسوع : الحق أقول لك : انك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك •

فقد شهد عليهم بالشك ، بل على خيارهم ، « بطرس » ، فانه خليفته

---

(1) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ •

عليهم ، فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم ، وجزم بالقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام •

وصح قوله تعالى . « **وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن** »[1] •

ومثل هذا كثير •

ومن هنا نعلم أن هذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها اختلافات وشكوك كثيرة ، كما قدمت لك • وان أردت أن أزيدك توضيحا، تذكر ما فعله « يهوذا » ، ويحتمل أن يكون قد كذب فى قوله لليهود ؛ ويدل على وقوع ذلك منه ، ظهور الندم منه بعد ذلك •

وقول المسيح عليه السلام : يا صديق وياصاحب ! لم أقبلت ؟ ولو كان مصرا على الفساد ما سماه صديقا •

ثم لا تنسى أن الانجيل شهد أن المسيح عليه السلام ، شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة [متى ١٩ : ٢٨] ، وشهادته حق • ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم ، اذا شرع فيه ، ويهوذا أحد الاثنى عشر فيلزم :

اما أن يكون يهوذا لم يدل عليه •

أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق •

أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل •

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث •

ثم لنا قول آخر هو : يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان ، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام •

---

(١) النساء : ١٥٧ •

وهكذا ليس ببعيد فى أتباع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف أتباع الاله على زعمكم ؟

ويمكن أن الأعوان قد اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه ، كما أخذوا رداء الشاب الذى كان يجرى وراءه عند القبض وأطلقوه أيضا .

ثم اذا نقلتم أن يهوذا الحوارى مع جلالته قبل الرشوة ، على أن يعين على أخذه ، فقبول الأعوان الرشوة لاطلاقه أقرب .

ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صور لهم شيطانا أو غيره بصورته فصلبوه ، ورفع المسيح عليه السلام ؟ يدل على ذلك أنهم سألوه ، فسكت .

وفى تلك السكتة تتعين النكتة . وهذا ممكن والله تعالى على كل شىء قدير .

واذا كان ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه ، كما بينا لكم وجوه احتمالات مانقلتموه ، واليهود ليسوا قاطعين بذلك ، لأنهم اعتمدوا على قول « يهوذا » ، فأى ضرورة تدعوكم الى اثبات أنواع الاهانة والعذاب فى حق رب الأرباب على زعمكم ؟ ان هذا لمن عجب العجاب ! [1] .

* * *

[ابطال دعوى الصلب بدليل تاريخى]

وانما قيل لكم بعد نحو [2] مائتين وثلاثين من السنين :

أنه قد كان فى سالف الدهر رجل من أمره كذا — وبأضغاث أحلام من امرأة اسمها [مريم المجدلية] [3] ، ادعت أنها رأت فى منامها هذيانات،

---

(١) زيد فى ع من : « كيف لا ونصوص الانجيل ..... (الى) عجب العجاب » .

(٢) فى ج ، ت : « زمان » .

(٣) فى ج ، ت : « اسمها الا أنه . . . . . » .

فقبلتم بأقوالها ، وشرعتم بها من غير يقين [1] ، ولا تواتر متصل — وسمع ذلك القيصر ابن « هيلانة » [2] حين كثر عدوه وكاد ملكه يذهب، لاختلاف [3] رعاياه ، وأنصاره من الروم عليه ، فأراد أن يحملهم على شريعـــة ، ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم ، فاستشار من لديه ، من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى ، لارتباطهـــم معه ، وآكد بجدهم فى نصرته . فوجد اليهود يزعمون أن فى بعض تواريخهم خبرا عن رجل ، كان منهم ، هم بنسخ حكم التوراة والانفراد [4] بالتأويل فيها ، فطلبوه [5] وهو فى نفر [يسير] [6] وظفروا بواحد اعتقدوا أنـــه المطلوب [7] فصلبوه ، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه ، الا فقدهم اياه من حينئذ [8] ، فعمد « قسطنطين » الى من وجد من أمة عيسى [فوجدهم] قد اختلفت آراؤهم [9] بعد المسيح بأربعين سنة ، والتفت اليهم غير محسوسين فى الأرض . لا يظفر بواحد منهم الا قتـــل ، ومثل به ، فاستخرج « قسطنطين » ما بقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقا لاختياره .

كالقول بالصلوبية ، ليتعبد قومه بطلب دم .

والقول بترك الختان لأنه شأن قومه .

ثم [أكد ذلك بـــ] خلق منامه ، وذلك أول شىء أظهره من هـــذا

---

(١) فى ج : « من غير نفس » .

(٢) فى ج ، ت : « غير أن « قسطنطين » قيصر الملك بن هلانى » .

(٣) فى ج : « باختلال » . (٤) فى ج ، ت : « وينفرد » .

(٥) فى ج : « تعهدوا » : وفى ت : « فعمدوا اليه » .

(٦) من ع .

(٧) فى ج ، ت « أنه ذلك المطلوب » .

(٨) فى ع : « ولم يحققوا أنه هو الا بكونه لم يوجد بعد ذلك » .

(٩) فى ج ، ت . « دعاويها » .

الأمر • فجمع أنصاره ورعاياه من الروم وذلك على رأس سبع سنين من ملكه[1] •

فلما اجتمع اليه أنصاره ورعاياه ذكر لهم أنه كان يرى فى منامه آتيا أتاه ، فيقول له : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليه هيئة الصليب • فأعظمت ذلك العامة ثم بعث الى [امرأة كانت] كاهنة فى ذلك الزمان ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، فقوى تصديق العامة لذلك •

وفى هذا كله لا يعلمون لذلك الرسم تأويلا ، و [لم يكن] «قسطنطين» [قد] كشف لهم شيئا من أمره • وخرج بهم الى عدوه ، ووعظهم ، وهول عليهم أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراد من جد القوم ، واجتهادهم معه •

فلما عادوا الى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، وألحوا عليه فيه • فقال :

« أوحى الى فى نومى أنه كان الله تعالى هبط من السماء الى الأرض فصلبته اليهود » •

فهالهم ذلك كثيرا مع ما [تقدم] عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، فانقادوا الى « قسطنطين » انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع [التى بأيديهم الى اليوم **أو أكثرها**] [2] •

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم غير أولى الشرائع فى ذلك الزمان أن هذا الشخص الذى تعظمه النصارى ، وتصفه بالألوهية ، لم يكن ،

---

(1) قسطنطين (٢٧٤ — ٣٢٧ م) امبراطور رومانى تولى الحكم فى عام ٣٠٦ ، ولم يعمد الا على سرير الموت •

(2) فى ج ، ت : « على بعض ما هى عليه » •

و [لا وجد] (١) فى العالم ، ولكن « قسطنطين » ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفرمنأحبار اليهود ، وعلمائها على [أن يعطى لهم ما يطلبونه](٢) من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته • وأن تضع الأحبار ذلك مسطورا عند اليهود ، ففعلت وألقت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول ، جمع بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، والأحداث فى شريعتهم مع افتراءات بمنامات تدعيها النساء ، ومن لا يوثق به(٣) فيدون ذلك ويتشرع به زائدا على(٤) ما كان بأيديهم •

فلما(٥) بعث الله رسولا كريما ، وأنزل عليه كتابا حكيما ، وأيده بالآيات ، وأنجده بالمعجزات ، فصدع بالحق المبين ، وقطع الشك باليقين ، نكصتم على أعقابكم ، ومن نكص على عقبيه فلن يضر الله شيئا •

وأما قولك :

« فأخذوه ، وصلبوه ، وغار دمه فى اصبعه ، لأنه لو وقع منه شىء فى الأرض ، لييبست ، الا شىء وقع فيها ، فنبت فى موضعه النوار » •

فهذا من أعجب ما قيل ، ولا احتياج الى مجاوبتك ، ولعمرى لو أن شيطانا يتقول على لسانك ، وهو يريد الاضحاك بك ، ما بلغ منك ما بلغت من نفسك بهذا القول •

* * *

---

(١) فى ج ، ت : « لم يكن وجوده فى العالم » •

(٢) فى ج ، ت : « على أن يبذل لهم ما شاءوا » •

(٣) فى ج : « ومن لا يؤثر » •

(٤) فى ج ، ت : « الى » •

(٥) فى ج : « فلما أن » •

[ابطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية]

ثم قلت : « انه لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصى آدم الذى كلمه ، واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد : وسقوط منزلة العبد ، أراد أن ينتصف من الانسان الذى هو اله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح [عليـــه السلام] » .

أخبرنى أيها المخدوع أولا عن هذه المماثلة ! كيف وجبت لعيسى بالله تعالى ؟ [ثم] اذا كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد ، وسقوط منزلة العبد ، فالأولى أن يعفو عن الذنب ويتوب على المذنب .

وان الأبعد عنه عز وجل أن يعاقب أحدا بذنب غيره ، [ان هـــذا] لغاية الظلم [ونهاية الجور] .

أبيت التوبة[1] احتيالا للصلوبية واثباتها ، ونسبت الى الله [تعالى] ما ينسب الى شرار الآدميين من الحقد ، والغائلة ، ونفيت عنه ما يليــق به عز وجل من العفو والصفح ، وقلت : انه انتصف من الانسان الذى هو اله مثله .

وفى [اعتقادكم وفى] الانجيل الذين بأيديكم أن الصلب لحق جســـم عيسى المتخذ من آدم ، وأن النصف اللاهوتى لم يلحقه الصلب ومخالفـــة ذلك عندكم كفر .

فاذا كان هذا ، فالى الآن لم ينتقم الله ، ولا انتصف من اله مثله كما قلت ، انما انتصف ، وانتقم من انسان من نسل آدم . فكيف ينبغى لله أن يظلم انسانا فيعاقبه بذنب جده ؟ وكيف أجزت[2] [لنفسك] أن تقول : انتصف من اله مثله ؟

---

(١) فى ج : « فأتيت من الظلم الثواب » بدون نقط على الكلمة الأخيرة .

(٢) فى ج ، ت : « استجزت » .

ما أبين خلل هذه المقالات ، و [أوضح][1] ضلالها !

أخبرنى أيها المغرور عن رجل أخطأ عبده [فى حقه][2] ، فبقى بعده مدة غاضبا عليه ، [ساكتا] على معاقبته ، حتى ولد لنفسه ولدا ، فعمد الى قتله [3] بذنب العبد الذى كان أذنب له !

ألست ترى ذلك من قتله ولده [أنه أراد أن] يشفى نفسه على ذلك العبد ، [فأصبح][4] ذلك زائدا فى كربه ، وداعيا الى دوام حزنه ؟

وهل يحدث هذا على نفسه ....[5] عاقل أو من لا عقل له ؟

ان الذى دعاكم الى القول بصلب عيسى ، ما أقررتم به من الفداء حين قلتم :

ان آدم وجميع ولده الى زمان عيسى كانوا كلهم ثاوين فى الجحيم بخطيئة أبيهم آدم ، حتى فداهم عيسى باهراق دمه عنهم فى خشبة الصليب ، ثم نزل [فى ذلك الوقت] [6] الى الجحيم ، وأخرج منها جميعهم الا « يهوذا الأسخريوطى » .

أخبرنى أيها المغرور عن موسى بن عمران ! كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلده فيها [7] بعد أن كلمه ، واصطفاه وفضله ، وبعثه الى عباده نبيا ، وهاديا ، ولم يكفر بعد [ذلك] ؟

وكذلك ابراهيم الذى كان قد اتخذه خليلا واصطفاه ، وفضله بهدايته ونبوته وأظهر على يديه توحيده ؟

---

(١) فى ج ، ت : « أبدى » .   (٢) فى ج ، ت : « عليه » .

(٣) فى ج : « فقتله » .   (٤) فى ج ، ت : « فيكون »

(٥) فى ج زيادة هى : « بعد على ذلك العبد أن يكون زايدا فى كربه بكرب » بدون نقط على الكلمة الأخيرة ..   (٦) فى ج ، ت : « لحينه » .

(٧) فى ج ، ت : « كيف استحار الله أن يخلده فى الجحيم بعد أن كلمه » .

ولا جرم أنه لو كان ذنب آدم بقى فى أعناق أولاده ، حتى أنقذوا منـه بدم الله لنطقت به التوراة ، ولصرحت به الأنبياء ! لأنه أمر شنيع ، ومصاب للعالم بشيع ! ففى أى موضع من التوراة ذكر ؟ أو فى أى صحيفة من صحف الأنبياء سطر ؟

أما أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة ، وكتب الأنبياء [فـ] تأويلكم فيها لا يخفى على العواجز[1] ضعفه ، ولا يستر على [عقول] صغار الولدان سخفه[2] .

فمن أوضح دليل [لكم] على ذلك ، قوله فى التوراة عن يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ، أن ابنه يوسف جاء [ه] بابنيه « منسى » و « أفرايم » ، ليبارك له عليهما فجعل يوسف ابنه «منسى» ــ وهو الكبير من ولديه ــ عن يساره ، كى يكون عن يمين يعقوب ، اذا وقف به أمامه ، وجعل « أفرايم » عن يمينه ، كى يكون عن يسار يعقوب ثم قربهما اليه ، فخالف يعقوب بذراعيه ، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكبر ، ثم بارك على يوسف ، وعلى ولديه . فشق ذلك على يوسف فأخذ بيد أبيه ، ورام رفعها عن رأس الصغير الى رأس الكبير ، وقال : لا يحسن هـذا يا أبتاه لأن هـذا أكبر ولدى ، فاجعل يمينك على رأسه ، فكره ذلك الشيخ ، وقال : قد علمت ذلك يابنى ، وستكثر ذرية هـذا ، ولكن أخوه الأصغر يكون أكثر ذرية ونسلا[3] .

فتأولتم ذلك [بأن] مخالفته بيديه اعلام بالصلب !

[فما أغرب هذا الأمر ، وكيف رضيتم بتأويل ذلك بهذا الهذيان][4] .

---

(١) فى ج ، ت : « العجايز » .

(٢) فى ج ، ت : « الولدان نوله وسخفه » .

(٣) قارن سفر التكوين ٤٨ : ١٣ ــ ٢٠ .

(٤) من ع ، أما فى ج ، ت « وما يحتاج الى تأويل ذلك بهذا الهذيان » .

وفى نص التوراة سبب مخالفته بيديه من فضل « أفرايم » على « منسى » . فان كان لا بد من تأويل مستدرك[1] على نص التوراة ، فهلم الى تأويل أحسن موقعا فى النفوس من تأويلك !

وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة اعلام [بـــ] أن الله سيخالف بهذه البركة عن ولد اسحاق ، اذا أسخطوه بالعصيان ، ويصيرها فى ولد اسماعيل ، وذلك ما فعل الله بولد اسماعيل عليهم السلام ، اذ بعث منهم سيد النبيين والمرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم .

وكذلك تأولتم فى قول داود : أعطونى فى مطعمى المرار[2] ، وسقونى الخل[3] ، ان الله تكلم بذلك على لسانه مخبرا عن الصلب . وقلتم : ان الله تبارك وتعالى حين ربط على الخشبة استسقى ماء من[4] اليهود فسقوه خلا . تأولتم فى كلام داود ما لم يرد ، لتثبتوا من صلب المسيح ما لم يكن .

وتأويل كلام داود معلوم ، ومن كثير مما يجرى بين الناس مفهوم . [فاذا] أسخطك المسخط بفعله ، تقول [له] أطعمتنى المر ، أو جرعتنى[5] السم والحنظل ، وما أشبه ذلك على طريق المثل . و [قد] قال داود ذلك حين أسخطته [اليهود] بعصيان الله ، والحيد عن الهدى[6] ، وخالفته فيما أمر به من المعروف ، ونهى عن المنكر .

---

(١) فى ج « مشترك » .

(٢) فى ج : « أطعمونى فى مطعم المران » .

(٣) أصل النص : **«ويجعلون فى طعامى علقما، وفى عطشى يسقوننى خلا»**. (مزامير ٦٩ : ٢١)

(٤) فى ج : « استسقى ما عند » .

(٥) فى ج : « أجرعتنى » . وفى ت : « سقيتنى » .

(٦) فى ج : « الهوى » .

أخبرني أيها المغرور !

من كان الممسك للسموات والأرض ، اذ كان الله [كما تزعمون] مربوطا فى خشبة الصليب ؟

هل بقيا [ساكنتين] ؟ أم كان استخلف عليهما غيره ، وهبط هو لربط نفسه فى خشبة الصليب ؟ .. وليوجب اللعنة على نفسه ، بما قال فى التوراة : ملعون ملعون من تعلق بالصليب ! ! [1] .

عجبا له !! انه المنتقم والمنتقم منه ، والحقود والمحقود عليه ، وانه الظالم ، يأخذ نفسا بذنب غيرها ، وهو المظلوم ، لأنه صلب بذنب غيره .

وعجبا لتفاوت غائلته ، وحقده !! كيف يمتنع عن المعايب[2] — وليس هو عندكم غير [من اتصف بهذه المعايب] — ، حتى سمرت يداه ، ورجـــلاه ؟ .

ولا قنع من آدم صاحب الذنب [بالتوبة] حتى غرست الخشبة فى ظهره [تكفيرا] لمـا [ارتكبه آدم] فى الجنة[3] .

أخبر نى ! .

ما الذى أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفا لديكم بهـذه الشتائم ، وهو أبو البشر ، والله قد تاب عليه واجتباه ؟

أستغفر الله من شر ما جئتم به ، وهو الغفور الرحيم .

ثم وصفتم فيما جئتم به من كذب [حادثة] الصلب ، وأحاديثها

---

(١) أصل النص فى التوراة : « **واذا كان على انسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله** » . (تثنية ٢١ : ٢٢ — ٢٣) .

(٢) فى ج : « كيف لم يقنع من المعايب » ، وفى ت : « حيث لم يقنع من المعايب » .

(٣) فى ج : « لما كان قد سلخ فى الجنة » ، وفى ت : « لما كان قدسلم فى الجنـــة » .

الفاسدة[1] اذ قلتم : قام بعد ثلاثة أيام من القبر .

وتحدثتم عن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب أنهما اشتريتا حنوطا وأقبلتا الى القبر ، وقالتا : من ينزع لنـا الصخرة من على فم القبر . فزالت الصـخرة من ذاتها ، فنظرتا الى فتى قاعد فى الجانب الأيمن [من القبر] مغطى بثوب ، وذلك فى يوم الأحد قبل طلوع الشمس[2] .

ـ عجبا لتوقحكم على الله ، وتحديدكم الجانب الأيمن من القبر ، وقبل طلوع الشمس من اليوم ، لتحققوا كذبكم على رعاع الأعاجم ، فقال لهما ذلك المغطى بالثوب : [ولم يكن غير تراب][3] المصلوب قام ، ومضى الى الجليل ، قولا لتلاميذه ينهضون اليه [وهكذا جملة من الهذيانات قصصتم عليها فى ذلك][4] .

* * *

[ابطال دعوى ألوهية عيسى بدليل عقلى]

ثم كتبتم فى الانجيل الذى بأيديكم : أن الرب صعد ، فصار على يمين الرب فى أثر الصلب[5] .

أخبرنى أيها [المخدوع][6] عن هذين الربين :

من خلق منهما صاحبه ؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز ، ليس باله ، واذا أراد أمرا ، لمن الحكم منهما ؟ فان كان أحدهما مضطرا الى مشاورة

---

(1) فى ج ، ت : « الفاجرة » .

(2) انظر مرقس ١٦ : ١ ـ ٨ .

(3) فى ج : « المغطى بالثواب ترابا المصلوب .... » :

(4) من ع ، وفى ج : « ثم ان نحنا سمع صوتا من السماء هذا ما يقـول الأول والآخر الاله الذى كان ميتا فحيىمع جملة من الهذيان ركضتم فى ذلك » ، وفى ت : « باشر القازورى » .

(5) انظر مرقس ١٦ : ١٩ .

(6) من ع ، وفى ج ، ت : « المغرور » .

الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزا مقهورا ، ولم يكن الها قادرا ، وان كان قادرا على مخالفته ، ومدافعته ، فهو اذن اله مداهن ، ويكون الآخر ضعيفا ، عاجزا مقدورا عليه .

أما [تعلم] أيها المغرور أنه **« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »**(*) .

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »[1] .

ومن عجيب تناقضكم اتفاقكم[2] على أن التثليث آب ، وابن وروح قدس ، وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يبصر ، ولا يلحقه ما يلحق الخليقة[3] وأن عيسى كان يبصر ، ويجوع ، ويشبع ، ويأكل ، وغير ذلك من صفات الخليقة[4] ثم جعلتموه الابن من تلك الثلاثة ، ويلحقه ما ليس يلحقها !

فان قلتم : ان نصفه هو اله تام ، والنصف الآخر ليس باله ، فيلزمكم ــ اذا دعوتموه ــ [أن تقولوا] : يا نصف المسيح ارحمنا !

واذا قيل لكم : من الهكم ؟ فقولوا : هو نصف المسيح !

وكيف يكون نصفه خالقا ، ونصفه معبودا لنصفه ، وليس باله تام ؟

على أنكم لم تفعلوا شيئا من ذلك ! وكفى دليلا على ذلك قولك في رسالتك :

« لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده آدم لسقوط منزلة العبد ،

(*) الأنبياء : ٢٢ . (١) المؤمنون : ٩١ .
(٢) في ج ، ت : « واتفاقكم » .
(٣) في ج : «وان كان واحد من هذه الثلاثة لنصر ، ولا يلحق الخليقة»
(٤) في ج : « ويتجوز غير ذلك من .... » .

انتصف من الانسان الذى هو اله مثله ، وأن الانتصاف انما كان من الجسم ، فهو المماثل » •

فاذا جعلتموه كله [الها] فأنتم تعبدون غير الله ، [ولا فرق عندكم بين الله وبين] مخلوقاته •

وقلتم :

« ان الابن اله تام ، وأن الآب يستحق من الألوهية والقدم ، ما لا يستحقه الابن » •

فاذا كان ذلك ، فالابن اذن اله غير تام [حيث][1] لا يستحق من الألوهية مثل ما يستحقه الأب • وهذا من مكابرتكم العقول •

وقالت اليعقوبية[2] — [وهى] من فرق ملتكم — : ان الله نزل فدخل فى بطن مريم ، واتخذ من لحمها جسدا فصار الله مع الجسد نفسا واحدة •

وقالت النسطورية[3] : ليست النفس هى الله ، وانما هى بعضه •

---

(١) فى ج : « حين لا يستحق » .

(٢) هم اتباع يعقوب البراذعى ، توفى عام ٥٧٨ م •

(٣) أتباع نسطور الحكيم المتوفى عام ٤٥١ م •

وقد أخطأ الشهرستانى فى تحديد زمن حياة نسطور (جـ ١ ص ٢٢٤) حيث قال : النسطورية : أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون .

« قالوا : ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهــذه الأقانيم ليست زائدة ولا هى هو » . فتأثرهم بالفلسفة الاغريقية فى شرحهم النصوص الدينية دفعهم الى أن يؤولوا التثليث تأويلا عقليا ، فرأوا أن التصديق بالثلاث عبارات ليس قولا بالتثليث فى الواقع ونفس الأمر ؛ لأن مدلولاتها ترجع فى الحقيقة الى شىء واحد . هو « الوجود » . فالوجود هو الجوهر ، وهو الذات الواحدة فى الواقع و « العلم » ، و « الحياة » صفتان ، أو اعتباران له ، وبهذا لا يوجد كثرة حقيقية فيه . وعلى هذا : فالله وكلمة الله ، والروح القدس ، تلك العبارات التى التى وردت فى النص

=

ومن كلام اليعقوبية : أن الله أخذ ذلك اللحم ، والدم فوردهما فى نفسه فصار ذلك اللحم الله .

[ثم] اتفقتم أن أقانيم الآب ، والابن ، والروح القدس غير مختلفة، بل هى [أقنوم] واحد .

فاذا كان هذا ، الأب هو الابن ، وهما روح القدس ، الكل شيء واحد، وهذا توحيد . فلم خصصتم المسيح بالابن ، ولم تقولوا انه الأب . وقد قلتم : ان الأب ، والابن والروح القدس شيء واحد ؟

ثم جعلتم جوهر البدن شيئا معبودا وليس من الثلاثة ، فهؤلاء اذن أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار[1] تربيعا . فان أبيتم الا ثلاثا فقد جعلتم نفى العبد واثباته سواء ، وكابرتم العقول .

* * *

[الرد على الشبهة الأولى]

وأما قولك ، انك ترى الأحـكام الشرعية حكمين : حكما توراويا [وهو] من لطمك فالطمه .

=

المسيحى لا تدل على ذوات ثلاث فى واقع الأمر ، بل الله هو الذات الواحدة ؛ وهو وحده أصل العالم ، وكلمته على معنى علمه والروح القدس على معنى القوة المدبرة ، حالان أو اعتباران لذاته .

« والنساطرة بهذا التأويل عدوا من أصحاب مذهب « الوحدة » أو يمكن أن يعدوا من أصحابها . ولذلك اعتبرتهم الكنيسة البيزنطية وهى كنيسة الشرق الأدنى خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ، كما اعتبرتهم زنادقة هذه الجماعة ، وهم من اجل ذلك يستحقون فى نظرها لعنة الرب والمسيح » . (البهى : الجانب الالهى ج ١ ص ١٢٠ ــ ١٢١) وذلك فى مؤتمر خلقيدون الذى انعقد فى عام ٤٥٠ م .

(١) فى ج : « وجاز » .

وآخر انجيليا وهو :

من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[1] .

ولا ثالث لهما !

فأخبرني أولا عن تفضيلك الحكم الانجيلى على الحكم التوراوى فى قولك لى : أنت ترى فضل هذا على الآخر !!

كيف [أجزت][2] ذلك ، وأنت قد نسبت الى الله عز وجل أنه أبىَ أن يغفر ذنب آدم حين عصاه [بالأكل][3] من الشجرة التى نهاه عنها ؟

وقلت : ان الله لم يزل غاضبا عليه زمانا حتى انتصف منه بصلب المسيح ! فلو كان العفو بحكم شريعتك أفضل ، ما سبق الخالق اليه .

فلتعلم ما جئت به من التناقض فى تفضيلك حكما نسبت ضده الى الخالق سبحانه [وتعالى] .

ولا جرم ! أن العفو أفضل ، انما جادلتك بتناقض عقيدتك .

ثم أقول :

ان ذينك الحكمين اللذين أعدمت ثالثهما ناقصان . لم يتم فيهما رحمة الله على عباده ، ليكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الاسماعيلية المعظمة كما شهدت لها العجوز القبطية .

وبيان نقص ذينك الحكمين ، أن الناس قد ينزل بهم الخطب الذى لا يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فان يكن الداعى لهم [ومرشدهم][4] حينئذ يأخذهم بحكم التوراة لم يكن ذلك صالحا .

---

(1) فى ج ، ت : « من ... اليمنى ..... اليسرى » .
(2) فى ج ، ت : « استجزت » .
(3) فى ج ، ت : « بأكل » . (4) من ع .

وربما نزل بهم الخطب الذى يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فان يكن — [قائدهم][1] حينئذ يأخذهم بالحكم الانجيلى جرأهم ذلك على اقتراف[2] ذنب آخر ، وهذا كله واضح .

فان يكن الراعى مع أحد الخطبين يأخذ بما يخالفه التماسا للتدين ، فقد أفسد نظام السياسة ، وما فضل شريعة لا تصلح نظام أهلها ؟

وان هو أخذ بما يوافق السياسة ، وخالف الشريعة ، كان فى ذلك ما لا يخفى وما فائدة شريعة لا يستطاع امتثالها ؟

فهذان حكمان ناقصان عما فيه صلاح العالم ، الى أن جاءت الآية الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين : الأولى والأخرى [وهى] القرآن [الكريم] الذى تكلمت على الناس فيه النعمة ، وتمت لهم بأحكامه الرحمة ، فنطق وهو أصدق القائلين ، وحكم وهو أعدل الحاكمين فقال :

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله »[3] .

« وأن تعفوا أقرب للتقوى »[4] .

فكل حكم أخذ به الراعى مما يراه صالحا لمقامه ، كان فيه موافقا للشريعة .

* * *

[الرد على مطاعن الأساقفة]

ثم قلت :

« وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتبا فى الطعن عليه ،

---

(١) من ع .

(٢) فى ج ، ت : « اجترام » .

(٣) النحل : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤) البقرة : ٢٣٧ .

وذكروا صاحب شريعتكم ، ووصفوا أشياء : فرأينا أنكم لستم على الحق وانما الحق معنا » .

فاحتججت فى تعييبك دينى بما اقترفه أساقفتكم وقلت « وصفوا أشياء » ، ولم تذكر شيئا من تلك الأشياء ، فأنا سأذكرها ان شاء الله ، وأقيم البرهان على كذب أساقفتكم الطاعنين المفترين .

فأما قولك :

« فرأينا أنكم لستم على الحق ، وانما الحق معنا » فلا أحتاج الى مجاوبتك على هذا الكلام ، وحسبى ما فيه من الرعونة والسخافة .

وأما طعنكم فى ملة الاسلام ، وتجرؤكم الى خلق الأكاذيب [عليها] ، والنيل منها فغير بعيد على من كانت عقيدته وديانته ما تقدم من [اذلال الخالق][1] والتحقير لعظمته ؛ ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنى .

وخليق بمن دان بمثل هذا كله ، أن يجرى على سنن مثله من الطعن أيضا فى دين الله ، وكتابه الحكيم ، ورسوله الكريم .

ومع هذا فان من الأسباب الذى دعتكم الى ذلك ، أن الله تبارك وتعالى لما بعث سيد النبيين والمرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم ، رحمة للعالمين ، [ومنقذا][2] مما كانوا فيه من الضلال المبين . كانوا ما بين عابد وثن ، [وضال][3] مثلكم ، وقد [غفل][4] لما سبق فى الحكمة الأزلية أن يكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الاسماعيلية المعظمة ، كما شهدت لها العجوز القبطية .

---

(١) فى ج : « أذامه الحق » .

(٢) فى ج ، ت : « ومستنفرا » .

(٣) فى ج ، ت : « وغاو » .

(٤) فى ج : « نبى » بدون نقط ، وفى ت : « فتن » .

قال الله تعالى فى المصحف الأول[1] لهاجر أم اسماعيل عليه السلام : نى أجعله فى أمة عظيمة .

ولابراهيم حين دعا فيه : سمعت فى اسماعيل ها أنا[2] قد باركته ؛ وكثرته جدا جدا[3] .

والمراد بهذا كله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كنى عنه بجده اسماعيل [عليه السلام] .

ومما يبين هذا قوله أيضا فى اسماعيل : ويقابل جميع الناس ؛ ويقابلونه ، ويضع فسطاطه فى بلاد اخوته[4] .

ولا محالة أن هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا صفة جده اسماعيل . ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد فى الكتب كثيرة ، من ذلك فى الزبور الذى بأيديكم قوله :

سبحوا للرب تسبيحا جديدا ، سبحوا الذى يسبحه[5] الصالحون ليفرح اسرائيل بخالقه[6] .

---

(١) لعله يقصد الصحف التى نزلت على ابراهيم عليه السلام .

(٢) فى ج ، ت : « هذا وذا » .

(٣) ونص ما جاء فى التوارة : **« واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها انا اباركه واثمره واكثره جدا اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة »** . (تكوين ١٧ : ٢٠)

(٤) نص ما جاء فى التوراة — وهو جزء من الحوار الذى دار بين هاجر وبين « ملاك الرب » حين ظهر لها على العين التى فى طريق شور — : **« ها انت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه . وأمام جميع اخوته يسكن »** . (تكوين ١٦ : ١١ — ١٢)

(٥) فى ج ، ت : « هيكله » .

(٦) نص ما جاء فى الزبور : **« هللويا . غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته فى جماعة الأتقياء . ليفرح اسرائيل بخالقه »** . (مزامير ١٤٩ : ١ — ٢)

وكيف يفرح اسرائيل وكان قبل الزبور بزهاء خمس مائة سنة ؟

وانما أراد ليفرح بنو اسرائيل .

ومثل هذه الكناية قوله :

أقسم الله بفخر[1] يعقوب أن لانضع عنهم أعمالهم الى الانقراض[2].

وانما أراد بفخر بنى يعقوب .

ولما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة خلقه شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صدع[3] بما جاء به من عند الله ، ودعا العالم الى الله وحده ، ولم يشرك بعبادته أحدا . وهداهم [الى الديانة] الحنفية[4] دين ابراهيم ، التى هى دين الله ، ودين أوليائه . وبين لهم ما اختلفوا فيه بما أوحى الله اليه من كتابه المبين ، الذى هو الآية الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين الأولى ، والأخرى .

وكملت بنبوته على جميع المخلوقات الرحمة ، واتسعت عليهم برسالته ، وظهور دينه النعمة ، وأنجز لهم به ما قد وعد به على ألسنة أنبيائه ورسله الأكرمين .

وكان من اتقى الله من زعماء أهل الكتابين ، لما سمعوا بأمره ، ساروا اليه باحثين عليه وعلى دينه ، فظهر عليهم بساطع برهانه ، وأذهب كفرهم بايمانه ، فلم يلبثوا حين عرفوا الحق من ربهم ، أن آمنوا به ، واتبعوه على دينه .

---

(١) فى ج ، ت : « لسفاهه » .

(٢) لعله يشير بذلك الى ما جاء فى العهد القديم : « **قد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم** » . (عاموس ٨ : ٧)

(٣) فى ج ، ت « فصدع » . (٤) فى ج : « وهداهم الحنيفية » .

وفيهم أنزل الله من القرآن :

« ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا • ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا • ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »[1] •

ولا محالة أن البكاء دال على صحة العقيدة ، وثبات اليقين واخلاص النية • ومعرفة الحق •

وقوله تعالى :

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون »[2] •

وقوله تعالى :

« قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب »[3] •

وقوله تعالى :

« ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون • واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »[4] •

وكثير مثل هذا •

فعند ذلك تزلزلت النصرانية ، وسقط ما بأيديهم من المحالات ، وانتقضت عرى ديانتها ، وهدت قواعدها ، ودخلوا فى دين الله أفواجا •

[وقد أثار هذا][5] حسد نفر من مضلى زعمائهم ، وأهل الذكر فيهم ،

---

(١) الاسراء : ١٠٧ — ١١٠ (٢) القصص : ٥٢

(٣) الرعد : ٤٣ (٤) المائدة : ٨٢ ، ٨٣

(٥) فى ج : « لرست حسد » بدون نقط ، وفى ع : « فرتب حينئذ » ، وفى ت : « فوثب حينئذ نفر ... » .

فلفقوا[1] ما بأيديهم وقفوه بأشـــياء كثيرة استدركوها على استدراك « قسطنطين » •

ثم لم تزل لهم محافل يستدركون فيهـــا على ما قدموا ، وينشئون الكتب ، ويصنفون الدواوين فى خلق الأكاذيب على سيد النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وشتم عرضه على نحو ما فعلوا بالخالق سبحانه وتعالى عن قولهم علوا كبيرا •

فمن تلك الأكاذيب قولهم :

ان محمدا كان يقول لقومه ، لست أموت ، ولكن أرفع الى السماء ، فلما مات تركوه يومين حتى نتن ، ثم دفنوه •

وكنفيهم معجزاته ، ولم يذكروا منها[2] شيئا الا خبر أم معبد[3] وخبر الذئب[4] •

---

(١) فى ج ، ت : « ولفقوا » .   (٢) فى ج : « مثلها » .

(٣) ورد عليها رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم — وهو فى طريق الهجرة من مكة الى المدينة — ومعه أبو بكر ، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد اللهبن أريقط الديلى فسألوها : هل عندها لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى . وكانوا ممحلين . فنظروا الى شاة فى كسر خيمتها فقال : ما هـــذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد . فقال : اتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : ان كان بها حلب فاحلبها . فدعا بالشاة ، فمسحها ، وذكر اسم الله فذكر الحديث فى حلبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها اناءها ملأى ، وكان يروى الرهط .
(ابن كثير : شمائل الرسول ص ٤٥)

(٤) حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحمدانى ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعى ، فانتزعها منه . فأقعى الذئب على ذنبه فقال : الا تتقى الله ؟ . . تنزع منى رزقا ساقه الله الى ؟ فقال : ياعجبى .. ذئب يقعى على ذنبه يكلمنى كلام الانس ! فقال الذئب : الا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد صلى الله عليـــه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ...

(ابن كثير : شمائل الرسول ص ٢٧٣)

وقولهم : اننا رأينا لمسليمة صاحب اليمامة كتابا تحدى به ، لو رأته العرب ، وسائر المسلمين لارتدوا عن الاسلام اعجابا بنظمه .

وكدفعهم فى حسن نظم القرآن ، واعجازه الذى لا يشك فيه انسان .

وكجحدهم ما فيه من الاخبار عن المعجزات . وعن الغيوب وكجحدهم بشارة[1] الكتب والأنبياء من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الى غير ذلك من الأكاذيب التى لم يخلوا[2] منها توقحا منهم على الله تبارك وتعالى ، وجرأة عليه ، كما وصفهم « عوبديا »[3] الذى تنبأ فيكم عنـد بنى اسرائيل ، فذكر وقاحة قلوبكم وتمادى على وصف طلب طباعكم[4] .

وأنا أذكر لك الآن ما يوضح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين ، وأكتفى بذكر القليل عن التطويل .

وانما أريد أن تتحقق [ويبدو أمامك] خلاف ما قالوه ، ويتبين كذبهم عليه توقحا منهم :

قالوا عنه ، انه قال : لا أموت .

وفى القرآن مكتوب :

« انك ميت وانهم ميتون »[5] .

وفيه أيضا :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شــيئا »[6] .

---

(١) فى ج : « ببشارة » . (٢) فى ج ، ت : « يستحيوا » .
(٣) فى ج : « عفويدنا » بنقط النون فقط ، وفى ت : « عوزرياء » .
(٤) اقرأ رؤيا عوبديا فى العهد القديم .
(٥) الزمر : ٣٠ . (٦) آل عمران : ١٤٤ .

وفيــــه :

« **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفئن مت فهم الخالدون** »(*) .

وقال : « بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة »(١) .

وقال : «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢) .

ينهى بذلك قومه أن يتخذوا قبره مسجدا حتى لا يؤدى(٣) بهم ذلك الى الفتنة به فيعبد من دون الله ، كما فعلت النصارى فى عبادة عيسى ابن مريم .

وكان عليه السلام يستعيذ بالله من عذاب القبر(٤) .

وباجماع من أمته أنه فاح لهم منه رائحة المسك حين مات ، وكان علــى بن أبى طالب ، وأبــو بكر الصــديق رضى الله عنهمــا يقولان : « بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا »(٥) .

فهذا بعض ما هو منصوص فى الكتب ، ونقلته عنه ثقات أمته الذين عنوا بأخباره ، وتقلدوها دينا . ورأوا ، وعاينوا اعلانا وسرا ، وكثير مثل هذا يستغنى عن ذكره .

فمن نقل اليكم — معشر الغاوين — أنه قال :

لا يموت ويرفع ؟

(*) الأنبياء : ٣٤ .

(١) البخارى جـ ٣ ص ٢٩ .

(٢) قارن البخارى جـ ٦ ص ١٣ .

(٣) فى ج : « حتى يحرق بهم .. » باهمال الياء ، وفى ت : « خشية أن يخرق بهم بذلك الى الفتنة » .

(٤) قارن البخارى جـ ٢ ص ٢٣ .

(٥) ابن كثير : السيرة جـ ٤ ص ٥١٨ .

وان كان الذى رفع من الأنبياء الى السماء أفضل من الذى فى الأرض ، فلم تفضلون موسى بن عمران على ادريس ، وأحدهما مرفوع [كما جاء فى توراتهم][1] والأفضل مقبور ؟

وأما قولكم ، انكم رأيتم لمسيلمة صاحب اليمامة كتابا تحدى به ، لو رأته العرب لارتدت عن دينها اعجابا بنظمه ، فهذه مجاهرة عظيمة بالباطل ، واسراف بالتوقح على الله [تعالى] .

أخبرنى :

كيف عرفتم أحوال مسيلمة ، وجهلها العرب ؟

وكيف قرأتم كتابه على بعدكم[2] وعميت عنه العرب ؟

وانا لنراكم جاهلين بأحوال المسيح وأمه ، الذين ادعيتم الانفراد بولائهما .

[لقد][3] ذهبتم فى ذلك الى التمويه على أعدائكم بحسب ما جرت به عوائدكم ! .

وان كان اتصل بكم شىء من كلام مسيلمة [فليس الا] من أيدى المسلمين ومما كتبوه فى تواريخهم[4] اذ لم يغادروا من حوادثهم صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها لعلو هممهم ، وشرف نفوسهم .

فليت شعرى !

ما الذى استحسنتم من كلام مسيلمة المتقول على الله عز وجل ؟

---

(١) كما بينا ذلك سابقا فى ص ١٥٩ — ١٦١ .

(٢) فى ج : « بغادكم » .

(٣) فى ج : « أما أنكم » ، وفى ت : « الا أنكم ذهبتم » .

(٤) فى ج « كتبوا يميته » .

أقوله : « ياضفدع نقى ما تنقين ، أعلاك فى السماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين[1] ، ولا الماء تكدرين »[2] .

أم قوله : « والمبذرات زرعا . والحاصدات حصدا . والذاريات قمحا . والطاحنات طحنا . والخابزات خبزا . فالثاردات ثردا . فاللاقمات لقما وسمنا . لقد فضلتم على أهل الوبر . وما سبقكم أهل المدر . رفيقكم فأمتعوه[3] . والمعتر فآووه . والباغى فناوئوه »[4] .

أم قوله : « تفكروا فى نعمة الله عليكم ، اذ جعل لكم الشمس سراجا . وجعل لكم فى الأرض أنهارا ودجاجا ، وكباشا ، ونعاجا ، وفضة ، وزجاجا ، وذهبا ، وديباجا ، وأخرج لكم من الأرض رمانا ، وعنبا ، ورطبا ، وتمرا ، وأبا » .

أم قوله : « لقد من الله على الحبلى ، اذ أخرج منها نسمة تسعى . ما بين فرث وحشا[5] . فمنهم من يموت ويدس فى الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى الى أصل ومنتهى . والله يعلم السر وأخفى . ولا تخفى عليه الآخرة والأولى » ؟ .

أم قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوئها ومتجلاها . والليل اذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . فأطفأ نورها ومحاها » ؟ .

---

(١) فى ج : « المتعين » .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) من ع ، وفى ج : « زيفكم فامنعوه » . وفى الطبرى : تاريخ : ريفكم فامنعوه .

(٤) من الطبرى : تاريخ .... وفى ج : « فباوه » وفى ع : « فاووه » انظر الطبرى تاريخ جـ ٣ ص ٢٨٤ ، وابن كثير : **السيرة النبوية** جـ ٤ ص ٩٩ .

(٥) قارن ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٥٦ ـــ ١٠٠ ، ابن هشام جـ ٢ ص ٥٧٧ .

فهذه [نبذ] من كلام مسيلمة كذاب اليمامة ، وأجدر بكم — معشر النصارى — أن لا يقع استحسانكم الا على مثل هذا الكلام !

فمن كان قد ارتضى الهه صليبا ، [فهو خليق] بأن يرضى بمسيلمة رسولا ، وبكلامه هذا فرقانا ؟

* * *

[الكلام على اعجاز القرآن الكريم]

ومن أعجب الأشياء دفع مضليكم فصاحة القرآن الذى هو حاضر الى الآن ، يظهر فيه كذبهم ، ويوجب عند كل متكلم خزيهم . وقد كان فصحاء العرب ، وشعراؤها ، وأئمة البيان فيها ، ورؤوسها تمشى الى استماعه سرا وجهرا ، ولا تدفع فيه ، وهم أعداؤه يومئذ ، وخصماؤه ، والمستهلكون أنفسهم فى رده . وهو ومن اتبعه مستضعفون فى الأرض يومئذ ، مبالغ فى أذاهم . وكان يقرأ عليهم :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(*) .

ثم قال : **« قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات »**(1) .

ثم رجع الى سورة واحدة فقال : **« قل فأتوا بسورة مثله »**(2) .

ثم قال : **« ولن تفعلوا »**(3) .

فما أجابوه بحرف اذعانا الى اعجازه ، والقاء بأيديهم لديه ، والا فما منعهم حين سمعوه قد قرأ عليهم ذلك [أن يعارضوه بـ] أن يقولوا :

(*) الاسراء : ٨٨ .

(1) هود : ١٣ .

(2) يونس : ٣٨ . وفى البقرة : ٢٣ : **« فأتوا بسورة من مثله »** .

(3) البقرة : ٢٤ .

هذا رجل قد تخطى رقابنا ــ معشر العرب ــ على ما فينا من خطيب بليغ، وشاعر هميم ، وذوى عقل ، وحكم ، وعلم ، وتجربة ، ونظر في العواقب ؟

وقالوا :

انكم متى عارضتموه بسورة واحدة مثل كتابه فهو كاذب ؟

كيف يجوز هذا على مثلنا ، وهو وحده ، ونحن كثير ، والكلام كلامنا؟

وقد علمت جميع الأمم أنه فاض بياننا ، وجاشت بالبلاغة صدورنا ، فهلموا الى شيء يغنينا عن استهلاك أنفسنا فى محاربة هذا الرجل ، ومكابدته الى ما هو أيسر علينا ، وذلك أن نؤلف كلاما فى سورة واحدة مثل كتابه فيكون كاذبا ، كما حكم على نفسه اذا فعلتم ؟

اعتبر أيها المغرور فى نفارهم[1] عن ذلك ، ولم يفعلوا شيئا منه ، وفى قوله لهم : « **ولن تفعلوا** » فيحتمل هذا وجهين لا محيص عنهما :

اما أن يكون القوم قد ميزوا عجزهم فستروا أنفسهم عن معارضته .

واما أن يكونوا قدروا على ذلك فمنعهم الله كما لو قال لهم :

ان أحدكم لا يقدر أن ينطق باسم أبيه فيعترى ألسنتهم ما يمنعهم عن ذلك . وهذا لا يقدر عليه الا الخالق سبحانه وتعالى .

وقد كانت العرب بالغت فى ايذائه بأقوالها ، وأفعالها ، فما دفع أحدهم قط فى اعجاز كتابه ، بل كان منهم من نسبه الى السحر ، وأين السحر من القرآن ؟ وانما السحر بخيالات . وحيل ، ثم يضمحل ويزول باطله ، والقرآن هو اليوم كما كان يومئذ .

وقد كتبت أمته جميع ما أوذى [به] من سب ، وهجر ، ونفى ، وضرب ، وجرح ، وحصر فى الشعاب وغير ذلك من أنواع الايذاء ، فما

(١) احدى مصادر الفعل الثلاثى : نفر ، وله مصدران آخران : نفورا ، ونفيرا ، ومعنى الفعل فى هــذا المقام : تباعد .

روى أن أحدهم عارضه بسورة قط ، ولا يجوز أن يكون ذلك فيخفى ، لا فى سجية الخلق من اللهج بنقل الأخبار [1] .

وان كان عليهم فيه شىء .

وأيضا فقد كتبوا هجوه ، ورددوه ، وهو أبلغ فى الاثم .

وأيضا قد قرأ عليهم فى ذلك : « **ولن تفعلوا** » .

فلو فعلوا لكان سببا فى تفوق قومه وتكذيبه حيث قال : « **ولن تفعلوا** » ففعلوا !

وقد كانوا قالوا للوليد بن المغيرة المخزومى : اختر لنا ما نقول لجماعة العرب اذا قدموا الكعبة [فى] الموسم !

ففكر وقال : ماذا تقولون أنتم ؟

قالوا : نقول : هو شاعر .

قال : اذن يكذبوكم ، لقد رأينا الشعر كله ، هزجه ، ورجزه ، وقريضه ، ومبسوطه ، فما قوله بالشعر .

قالوا : هو ساحر .

قال : اذن يكذبوكم ، لقد رأينا السحرة ، وسحرهم ، فما هو بعقد السحر ، ولا نفثه .

قالوا : فهو مجنون .

قال : اذن يكذبوكم ؟ لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا بخالجه ، ولا وسوسته .

---

(1) فى ج : « من اللهوج مثل الأخبار » وفى ت : « من اللهوج بنقل ... » .

قالوا : فما تقول أنت ؟

فأطال فكرته ، ثم دخل منزله ، وأغلق [الباب] دونهم ، فصاحوا به ، وهموا برجمه ، فتطلع عليهم فقال بعد فكرة طويلة :

هو ساحر ، جاء بسحر[1] يلقى اليه من نحو بابل ، يفرق بين المرء وقلبه ، وما أنتم بعالمين من هذا شيئا الا علم أنه باطل[2] .

وفى الوليد يقول الله عز وجل :

« أنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال ان هذا الا سحر يؤثر »[3] .

وكفى بحالهم [هذا] شهيدا على عجزهم !

كانوا اذا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة ، قالوا : هذا سحر ، ونحن لا نعلم السحر ، فلما جاءهم بالقرآن قيل لهم :

كيف عجزكم بهذا ؟ لعلكم تقولون : انا لا نعلم البلاغة ، والخطابة ، ولا يمكنكم التوقح بذلك[4] فأراد الله خزيهم كيفما انقلبوا .

وقد كانوا يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يتعلم قط الا ما تعلموا ولا صاحب الا من صحبوا ، ولا فارقهم بمكة قط الا بسفرة واحدة الى الشام مشى معهم قدما بقدم ، ولم يقم فيها الا ما يقيم البائع لبضاعته ، مثل ما يفعل المسافرون بالتجارة من بلد الى بلد .

---

(1) فى ج : « بسحره » .

(2) راجع الطبرى . جامع البيان جـ ٢٩ ص ٩٩ ط بولاق (١٣٢٩ هـ) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٩٩ — ٥٠٥ .

(3) المدثر : ١٨ — ٢٤ .

(4) فى ج : « ولا يمكنهم التوسخ بذلك » .

فقد استبان أن العرب لم تدفع قط فى اعجاز كتابه ، فكيف[1] يلتفت الى مقال العجم الجهلاء[2] الجاعلين مع الله الها آخر ؟

ومن أعجب توقح أساقفتكم على الله نفيهم معجزات رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يثبتوا شيئا منها الا خبر أم معبد ، وخبر الذئب[3] .

ثم قالوا :
لو نقل قومه غير هاتين لنقلناه أيضا .

وهذا نوع من الوقاحة ، وباب [من] السفسطة كمثل ما روى عن [رجل من] المشعوذين [أنه] نام ليلة فى نور القمر[4] فتصدع رأسه ، فقام ورفع عينيه نحو القمر ، وقال له :

يا مصــدع الرؤوس ، ويا مكرب النفوس ، ويا مقرب الآجال . ويا قاطع الآمال ، أية منفعة فيك ؟ أو لأى شىء تصلح ؟ تالله لا تصلح الا لاصلاح القثا [ء] واليقطين ، فلا كان القثا [ء] ولا اليقطين[5] .

فأراد هذا المشعوذ ــ حين أوجع رأسه القمر ــ [أن] يجحد منافعه المعلومة فى هــذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ، ليوهم الجاهل أنه لو علم له فضيلة سوى ذلك لذكرها .

والى هــذا النوع من التوقح والشعوذة ذهب مضلوكم ، حين أوجع محمد صلى الله عليه وسلم رؤوسهم بمقامع الحق ، وقد علموا أنه[6] لم يعط الله نبيا آية الا أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم أعجب منها أو مثلها .

---

(١) ج : « وكيف » . (٢) فى ج : « مثال العجم الدعى » .
(٣) فى ج ، ت « ولم يثبتوا شيئا منها وثم أثبتوا خبر أم معبد » .
(٤) فى ج : « قام ليلة الضوء القمر » ، وفى ت : « ليلة لنور القمر » .
(٥) القثاء ، الواحدة قثاءة : نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار . اليقطين الواحدة يقطينة : ما لا ساق له من النبات كالقثاء ، وغلب على القرع المســتدير . (٦) فى ج : « وقد سلموا أنهم » .

ولا محالة ، ان آية واحدة خارقة للعادة تدل على صدق نبوة من جاءت على يديه ، اذا دعا الى الله [تعالى] ، اذ وقع الاتفاق على أن انه لا يريد بها كاذبا عليه .

ثم استرسل مضلوكم فى التوقح بأن قالوا : لم تذكر فى القرآن آية له ولا أخبار عن الغيب .

***

[بعض ما فى القرآن من المعجزات]

وأنا أذكر لك الآن بعض ما نص فيه ليتحقق كذبهم ، وتوقحهم على الله تعالى ، ولو لم أذكر من ذلك غير واحـــدة لكانت [مؤيدة][1] لـــكذبهم .

فمن ذلك [ما تناقله][2] جميع أسلافنا [الذين عاصروا][3] محمدا صلى الله عليــه وسلم ، وقد سألته قريش آية ، فشق لهم القمر على نصفين[4] ، حتى كان جبل أبى قبيس بين فلقتيه ، وقرأ عليهم [فى ذلك] قرآنا باقيا الى [الأبد [5]] قوله :

« اقتربت الســاعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وكل أمر مستقر »[6] .

فوصف [الله] تعالى انشقاق القمر و [أثبت] [7] عليهم رؤيتهم ذلك بقوله : **« وان يروا آية »** .

---

(١) فى ج ، ت : « مودنه » .
(٢) فى ج : « ما تنافلوا » باهمال التاء والنون .
(٣) فى ج ، ت : « أنهم عاصنوا » .
(٤) راجع ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ — ١٤٤ .
(٥) فى ج : « التقدم » . (٦) القمر : ١ — ٣ .
(٧) فى ج ، ت : « ادعى » .

ووصف ، كيف نسبوا ذلك الى [السحر][1] ، ووصف تكذيبهم اياه ، واتباعهم أهواءهم ، ثم قال : « **فتول عنهم** »[2] .

وانشقاق القمر [3] أعجب من انشقاق البحر ، وقد تعلم أن انشقاق البحر لموسى لم يكن شـقا يقطع فى معظم البحر من احـدى ضفتيه المحيطتين به الى الأخرى ، وانما كان قطع طريق من بحر القلزم الى مفاز شور .

***

[بعض ما ورد من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم]

وكذلك سقى محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه فى غزوة تبوك ، وهم عشرة آلاف من الرجال[4] ومن معهم من غيرهم من قدح صغير ، قدر ما يشرب انســان ، فوضع يده عليه ونبغ المــاء من أصابعه كالعيون حتى شربوا [5] ، وفعل بهم مثل ذلك فى غزوة الحديبية وهم ألف وستمائة

---

(1) فى ج : « الحضر » . (2) القمر : ٦ .

(3) انظر ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(4) اختلف الرواة فى تحديد عدد من اشترك فى غزوة تبوك ، ويبدو أن نوعية الأحداث التى لابستها (الاستنفار فى الحر ، نشاط المنافقين فى تعويق الخروج ، تخلف عبد الله بن أبى سلول فيمن تخلف من المنافقين ، وأهل الريب ، سلوك المسلمين مع الثلاثة الذين خلفوا ... الخ) شدت اهتمام المؤرخين ، مما جعل التنصيص على العدد أمرا ثانويا ، بل لم تذكره بعض كتب الســيرة المعتمدة — من أمثال الطبرى — الا أن ابن كثير روى أن العدد كان أكثر من ثلاثين ألفا (انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١١ ، الطبرى : التاريخ ... ج ٣ ص ١٠٠ — ١١١) .

(5) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه الى تبوك بالحجر ، فمنع المسلمين من الشرب ، أو الوضوء من ماء بئرها ، فلما أصبــح الناس — ولا ماء معهم — شكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعــا الله ، فأرســل الله سبحانــه فأمطرت حتى ارتوى النــــاس ، =

رجـل [1] .

وانفجار المـاء من اللحم أعجب من انفجاره من الحجر ، وأيضا موسى حين فجر من الحجر قالت بنو اسرائيل :

لم تخص ذلك الحجر بعينه ؟ وانما نريد أن يكون هـذا الآخر ،

=

واحتملوا حاجاتهم من المـاء . وليس فى ذلك ما يدل على نبع المـاء من أصابعه صلى الله عليه وسلم .

غير أن الطبرى يروى عن يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بتبوك بضع ليلة ، ولم يجاوزها ، ثم انصرف الى المدينة ، فكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشتق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا الى ذلك المـاء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه . قال فسبقه اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئا ، فقال : من سبقنا الى هذا المـاء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ، فقال أو لم ننههم أن يستقوا منه شيئا حتى نأتيه ! ثم لعنهم رسول الله ، ودعا عليهم .

ثم نزل صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده تحت الوشل (الوشل : حجر أو جبل يقطر منه المـاء قليلا قليلا) فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو فانخرق من المـاء ، كما يقول من سمعه : أن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه ... فلم ينبع المـاء من أصابعه بالصورة التى يرويها أبو عبيدة فى النص فى هـذه الحادثة (الطبرى تاريخ ..١٠٠ — ١١١ ، ابن هشـام ، القسـم الثانى ص ٥٢٢ ، ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٦) .

(١) لم تذكر كتب السيرة أن عدد الرجال فى غزوة الحديبية ألفا وستمائة ، بل تراوحت رواياتهم بين سبعمائة رجل وخمس عشرة مائة (قارن : ابن هشام ، القسم الثانى ص ٣٠٨ — ٣٠٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ، الطبرى : تاريخ .. جـ ٢ ص ٦٢١) .

فأبى عليهم ذلك (*) .

ولم يخصص محمد صلى الله عليه وسلم قدحا بعينه ، وانما قال لهم : « ائتونى بقدح » ، فانطلقوا حتى وجدوا قدحا جاءوه به ، فوضع يده عليه وانفجر المـاء منه .

ولسنا ننكر اعجاز ما جاء به موسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء ، بل نحن أولى بهم منكم ، وانما أقول : ان من نسب شيئا من آياتهم الى السحر لزمته الحجة ، [وهى][1] أن اقتصار موسي على حجر بعينه أقرب الى التهمة من استدعاء محمد قدحا من الأقداح غير مخصوص .

وأيضا فان فى التـوراة أن السـحرة فعلوا كل ما فعله[2] موسى بمصر[3] الا البعوض فانهم لم يقدروا عليها[4] .

واسترجع محمد صلى الله عليـه وسلم [الشمس] ليدرك على ابن أبى طالب [الصلاة] فرجعت بمحضر أصحابه[5] ، «ويشوع بن نون»

(*) روى فى التوراة أن بنى اسرائيل — حين أصـابهم العطش ولم يجدوا ماء — تذمروا على موسى وقالوا له : « **لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش** » . (خروج ١٧ : ٣)

فأمره الله أن يضرب صخرة فى حوريب بالعصا التى ضرب بها البحر ، فانفجر منها المـاء : « **وعصاك التى ضربت بها النهر خذها فى يدك واذهب . ها أنا أقف أمامك هنـاك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب** » . (خروج ١٧ : ٥ — ٦)

ولم يذكر ما يشير الى اعتراض بنى اسرائيل عليه فى اختيار حجر معين كما ذهب الى ذلك أبو عبيدة .

(١) فى ج ، ت : « على أن . . » .
(٢) فى ج : « كما » ، فى ت : « كما فعل » .
(٣) راجع خروج : الاصحاح السابع والثامن .
(٤) خروج ٨ : ١٨ .
(٥) ذكر ابن كثير حديث رد الشمس ، ثم عقب على ذلك بقوله : وقد =

انما استوقفها فوقفت وفى بعض كتبكم أن ، « يشوع » انما استوقف ضياءها بعد ما غابت[1] .

وقبض محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر على تراب ورمى به وجوه الكفار من قريش [2] وقال : « شاهت الوجوه »[3] .

فما منهم الا من أصاب عينيه منه شىء ، فانهزموا وقرأ عليهم بذلك قرآنا باقيا : **« وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »** [4] .

ثم ما عاينه جميع من حضر بدرا ، مؤمنهم وكافرهم من قتال الملائكة معه حتى أن أبا داود المـــازنى رضى الله عنه قال : « اتبعت مشركا يوم بدر لأقتله، فسقط رأسه بين يدى قبل أن أضربه، فعلمت أن غيرى قتله » .

[ومن ذلك آية المطر والنعاس][5] يقول الله تبارك وتعالى :

=

رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات من طريق أبى عبد الله بن منده ، .. ومن طريق أبى جعفر العقيلى . حدثنا أحمد بن داود ، حدثنـــا عمار بن مطر ، حدثنا فضيل بن مرزوق فذكره ..

ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ..... وهذا تخليط فى الرواية .

قال : وأحمد بن داود ليس بشىء ، قال الدارقطنى : متروك كذاب .. (ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٤٥)

(١) انظر : يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .

(٢) فى ج : « ورمى به أوجه قريش » وفى ت : « جيوش الكفار » .

(٣) الطبرى : تاريخ ... جـ ٢ ص ٤٤٩ .

(٤) الأنفال : ١٧ .

(٥) فى ج ، ت : « وأمطرهم فيه مطرا ابدلهم الكثيب لأنهم كانوا معه اليـــوم ثلاثمائة رجل أكثرهم على أقدامهم ، وكان لاعدام ذلك المطر ما لم يستطيعوا بسببه أن يحصروا الى العدوة القصوى واجازه النبى واصحابه ، ثم نزل عليهم النعاس فى ذلك فأزال عنهم الجزع لكثرة عدوهم حتى لقد وقع السيف من يد أحدهم من كثرة ما غشيهم النعاس .. والنعاس فى مثل هـــذا اليوم آية لأنه يوم يزول عن من كان به ، وفيما فعل من المعجزات يوم بدر من قتال الملائكة معه والمطر والنعاس » .

« اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم بـه ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام · اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سـألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان · ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشـاقق الله ورسـوله فـان الله شديد العقاب » [١] ·

وقوله تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون · اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين · بلى ، ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »[٢] ·

ومن ذلك ما حدث فى السنة التى بعثه الله [فيها] من رمى السـماء بالشهب ، بما فيه عبرة[٣] لمن عقل وقرأ عليهم قرآنا باقيا ، قوله تعالى : **« وأنا لمسـنا السـماء فوجدناها ملئت حرسـا شـديدا وشـهبا »** ···· الى آخر قوله تعالى : **« أم أراد بهم ربهم رشدا »**[٤] ·

وقد كان بعض العرب قصدوه يوما ليؤذوه ، وهو يصلى الى جانب الحرم ، وكانوا يسمعون قراءته ، ولا يرون شخصه[٥] ، وقرأ بذلك قرآنا

---

(١) الانفال : ١١ ـــ ١٣ · (٢) آل عمران ١٢٣ ـــ ١٢٥ ·

(٣) فى ج : « غيره » · (٤) الجن : ٨ ـــ ١٠ ·

(٥) لم تكن هذه الحادثة من أسباب نزول الآية . بل ذكر العلماء أن المعنى لقـوله تعـالى : **« وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا »** أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولا يتنبهون حقا ، وروى عن مجاهد فى قوله : **« من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا »** قال : عن الحق فهم يترددون . وقال ابن زيد : جعل الله سدا بينهم وبين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون اليه (الطبرى : جامع البيان ج ٢٢ ص ٩٩) .

باقيا ، قوله تعالى : « **وجعلنا من بين أيديهم سـدا ومن خلفهم سـدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** »[1] .

ومن ذلك ما فعل بأبى جهل بن هشـام [حين جلس][2] بحجر ما يطيق حمله [يريد أن يهشم][3] به رأسه ، اذا صلى والناس ينظرون اليه ، فلما سـجد النبى صلى الله عليـه وسلم ، وهم بالقاء الحجر عليـه ، رجع منهزما ، ويداه يابستان على حجره ، لا يقدر على القائه عنهما حتى أنقذته قريش من يده ، وسألوه عن خبره فقال :

« قمت لأفعل ما قلت لكم ، فلما قربت منه عرض لى دونه فحل من الابل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قفزته ، ولا أنيابه بفحل قط ، فهم أن يأكلنى » . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ذلك جبريل لو دنا منه لأخذه »[4] وقرأ بذلك قرآنا باقيا قوله تعالى :

« **أرأيت الذى ينهى . عبدا اذا صلى . أرايت ان كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت ان كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى** »[5] .

وكلمته عليه السلام ذراع مسمومة [6] .

ولـما [هاجر لشدة قومه] [7] دخل الغار مع صاحبه فنسجت على

---

(١) يس : ٩ .

(٢) فى ج : « ليجلس » ، وفى ت : « ليجيئن بحجر ما يطيقون حمله ليفضخ به رأسه اذا صلى » .

(٣) فى ج : « نصح به » . بدون نقط .

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٦٥ .

(٥) العلق : ٩ — ١٤ .

(٦) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٩٥ — ٢٠١ .

(٧) فى ج : « ولما فر من قومه من شدتهم عليه » وفى ت : « خرج من قومه » .

بابه العنكبوت ، وفرخت القطاة[1] ، [وأتى][2] قومه ، وهموا [بدخول] الغار ، فقال أحدهم : « لو دخله لخرق هذا النسيج ، ونفرت هـذه القطاة » .

وقال له صاحبه : « لو أن أحدهم ينظر ما تحت قدميه لأبصرنا » .

قال له : « يا أبا بكر .. ما ظنك باثنين الله ثالثهما » [3] .

وأصاب أصحابه جوع فى غزوهم فسأل أبا هريرة ، فذكر تمرات فى مزوده ثم استخرجها احدى وعشرين تمرة ، فصفها صلى الله عليـه وسلم فى ردائه يقول فى كل واحدة منها[4] « بسم الله وبركته » ثم دعا فى العسكر الى الغداء ، وهم زهاء ثلاثة آلاف ، فأكلوا حتى شبعوا ، ورفع الرداء والتمر يتساقط منه ، وقال لأبى هريرة : «أعده الى مزودك» .

يقول أبو هريرة : « فوالذى نفسى بيده ! لقد جهزت منه ستين وسقا فى سبيل الله وأصبحت باقية حتى يوم الحرة »[5] .

وأطعم أيضا يوم الخندق [جنده] — وهم ثلاثة آلاف — من تمرات ما ملأت كفه ، جاءت بها أم عمرو بنت رواحة ، فدعا بها وصفها فى ردائه ، فأكل الناس ، وضم رداءه على أكثر مما أخذ منها[6] .

وأطعم أيضا يوم الخندق [جمعا كبيرا] فى بيت جابر بن عبد الله

---

(١) القطاة تجمع على : قطا وقطوات ، طائر فى حجم الحمام ضرب بها المثل فى الاهتداء فيقال « أهدى من القطا » .

(٢) فى ج ، ت : « ولحق قومه ، وتهموا الغار » .

(٣) راجع ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٤) فى ج ، ت : « فى كل واحد منهن » .

(٥) ابن كثير : شمائل الرسول ٢٢١ — ٢٢٣ .

(٦) راجع ابن هشام جـ ٢ ص ١٥٨ .

من قصعة فيها ثريد شعير وعنز حتى شبعوا ، ثم بقى لجابر بن عبد الله ما كفى أهله [1] .

ورد عين قتادة بن النعمان الأنصارى يوم أحد بعد ما فقئت ، فكانت أحسن عينيه ، وكانت الأخرى تمرض ، ولا تمرض هى ، فلقب قتادة العينى [2] .

[ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فشكى اليه][3] فأخذ سهما من كنانته ، وأعطاه البراء بن عازب ، وأمره بالهبوط فيها وأن يغرز السهم فى ثغرها ، [فثار ماؤها] حتى لم يدركوا لها قعرا[4] .

الى غير ذلك من المعجزات التى لا تحصى كانطاق العجماء[5] وما سبح فى كفه من الحصباء [6] ، وامطاره الماء من السماء [7] ، والريح المرسلة الى أعدائه ليلا بالخندق ، وقرأ بذلك قرآنا باقيا ، قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها »** الآية[8] .

وكثير من معجزاته المنقولات على لسان صلحاء أمته على قرب العهد وكثرة الناقلين ، ولو أنى قصدت أن أسمى آياته كلها ، لضخم [هذا الكتاب

---

(1) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥٨ .

(2) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٦٦ ، البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٩١ .

(3) فى ج : « وهو من دواء البحر وشكى اليه فى غزوة الحديبية بعد رمانه هاو .. » ، فى ت : « وشكى اليه فى غزوة الحديبية غور ماء بها » .

(4) انظر ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ١٤ ــ ١٥ ، الطبرى : تاريخ .. جـ ٢ ص ٦٢٤ .

(5) راجع ابن كثير . شمائل الرسول ص ٢٨٢ وما بعدها .

(6) المصدر السابق : ص ٢٥٢ ــ ٢٥٨ .

(7) حدث بعد صلاة الاستسقاء .

(8) الأحزاب : ٩ .

وطال عليك قراءة هـذا الباب][1] وانما [ذكرت][2] بعضها لتقف على كذب أساقفتكم وتوقحهم[3] على الله تعالى فيما هو للعيون أوضـح من الشمس .

* * *

[بعض ما فى القرآن من الاخبار بالغيب]

وأما ما فى القرآن من اخباره عما يكون ، فقوله تعالى :

« الم . غلبت الروم . فى أدنـى الأرض وهم من بعـد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفـرح المؤمنون . بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم . وعد الله ، لا يخلف الله وعده »[4] .

فهلا علم الله تعالى أنه ان أنجز له هـذا الوعد يكون سببا لاتباع الناس له !

واذ سمعه يتقول عليه مثل هـذا ـ كما تزعم ـ [ألا] يكبه فى اخلاف وعـده .

فما كانت أيها المغرور الا بضع سنين ، وغلبت الروم ملك الفرس بالبحرين وتملكوا أكثرهم[5] . والبضع من العدد ما دون العشرة .

وقوله تعالى :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسـجد الحرام ان شـاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين .. » الآية الى قوله :

---

(١) فى ج : « يضخم ديوان ذلك » ،وفى ت : « لعظم ديوان ذلك » .
(٢) فى ج ، ت « اذكر » .   (٣) فى ج ، ت : « وتوقحكم » .
(٤) الروم : ١ ـ ٦ .
(٥) ويلز : موجز تاريخ العـالم ص ١٩٥ ، الطبرى : جامع البيان جـ ٢١ ص ١٢ .

« **فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** »[1] وقوله : « **ومغانم كثيرة يأخذونها** »[2] .

[فصدق وعده ، فدخلوا] مكة والبيت .

كما وعده الصالحات والفتح القريب [وهو] دخول خيبر قبل ذلك بقليل فى قوله تعالى :

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** »[3] .

وقوله تعالى : «**واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم**»[4] الآية

ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لقوم : وعدتكم بذا وهو لم يعد .

وقوله تعالى : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** »[5] .

فقوله : « **فى الآفاق** » يعنى [فتح] الأمصار .

وفى أنفسهم : فتح مكة .

وقوله تعالى : « **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** »[6] .

وقوله تعالى : « **وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها** »[7] .

يعنى ما يستقبلون من فتح الأمصار .

وقوله تعالى : « **وأرضا لم تطأوها** »[8] يعنى أرض الفرس .

---

(1) الفتح : ٢٧ .
(2) الفتح : ١٩ .
(3) النور : ٥٥ .
(4) الأنفال : ٧ .
(5) فصلت : ٥٣ .
(6) التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .
(7) الفتح : ٢١ .
(8) الأحزاب : ٢٧ .

وقوله تعالى عن اليهود : **« لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون »**[1] •

[فلما قاتلوه حقيقة ولوا الأدبار][2] •

وقوله تعالى : **« والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة »**[3] •

فلما هاجروا أنزلهم المدينة ، وفتح عليهم ما لا يخفى •

وقوله تعالى : **« فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون »**[4] •

وقوله تعالى : **« قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ، وبئس المهاد »**[5] •

وقوله تعالى : **« سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا »**[6] •

وقوله تعالى : **« سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم »**[7] •

وقوله تعالى : **« سيهزم الجمع ويولون الدبر »**[8] •

وقوله تعالى : **« اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون ••• »**[9] [الى آخر] السورة •

وقوله تعالى فى القرآن مثل هذا كثير • وفيما نقله السلف الصالح

---

(1) آل عمران : ١١١ •
(2) من ع •
(3) النحل : ٤١ •
(4) الأنفال : ٣٦ •
(5) آل عمران : ١٢ •
(6) الفتح : ١١ •
(7) الفتح : ١٥ •
(8) القمر : ٤٥ •
(9) النصر : ١ — ٣ •

من أهل ملتنا فى كتبهم ما لا يحصى ، ولا يدفعه[1] الا مجادل أو كافر ولو [لا] أنى [أخشى أن] أخرج عن غرض هـــذه الرسالة لتماديت على ذكر ذلك ، وليس فى ذكر ما قدمت من المعجزات والمغيبات خروج عن الغرض لأنه يبين خلاف ما ذهب اليه مضلوكم ، وما افتروه[2] على الله وعلى رسوله •

واذ قد بينت [3] ذلك فلتعلم أن من الأنبياء الذين أنتم بهم مؤمنون [من لم تكن له] آية كداود [عليه السلام] ، [اذ] لم يذكر له فى الزبور آية وكحزقيال [الذى] نص عندكم [عنـــه] أنه اجتمع [اليـــه نفر] يسألونه معجزة فقال :

« ان الرب يقول : أقسم قسما باسمى أنى أنا الحى • وأنى لا أجد جوابا عما تريدون »[4] •

وكذلك اجتمعت قريش الى محمد صلى الله عليـــه وسلم وسألوه انشقاق القمر[5] فكان ذلك ، فلما عاينوه تولوا عنه وعتوا [عليه] •

---

(١) فى ج : «ولا يدفع » ، وفى ت : « ولا يدفع فيه » •

(٢) فى ج : « نظركم الذين أنتم به مؤمنون وما اقترفتموه » •

(٣) فى ج : « يثبت » •

(٤) ذكر حزقيال : « **أن أناسا من شـــيوخ اسرائيل جاءوا ليسألوا الرب فجلســـوا أمامى • فكان الى كلام الرب قائلا يا ابن آدم كلم شـــيوخ اسرائيل وقل لهم : هكذا قال الســـيد الرب هل أنتم آتون لتسألونى • حى أنا لا أسأل منكم يقول السيد الرب • هل تدين يا ابن آدم • عرفهم رجاسات آبائهم وقل لهم ...** » • (حزقيال ٢ : ١ — ٥ ؛

(٥) أجمعت كتب التراث الاسلامى على أن آية انشقاق القمر وقعت فعلا تصديقا لمحمد صلى الله عليه وسلم (راجع أخبارها عند ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ — ١٤٤ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١١٨ — ١٢٢ ؛ =

. . . .

وغيرهما من كتب التفسير ، والحديث والسيرة النبوية) غير أن بعض المفكرين المحدثين يشكون فى هذا وهم فريقان : أحدهما يتخذ هذا الشك طريقا للطعن فى القرآن الكريم وهم المستشرقون .

أما الآخر فيرى أن انشقاق القمر سيأتى فى آخر الزمان ، والتعبير عنه بالماضى لبيان تأكيد وقوعه ، كما فى قوله تعالى : ((**أتى أمر الله**)) فان المراد : يأتى أمر الله .

وتؤيد نتائج أبحاث علم الفلك هذا الراى ؛ فلقد توصل العلماء ، خلال أبحاثهم ، الى أنه لابد فى المستقبل القريب — وطبقا لقانون دوران الأجرام السماوية — أن يقترب القمر من الأرض ، حتى ينشق من شدة الجاذبية وتتناثر اجزاؤه فى الفضاء « Man does not Stand Alone P. 24 » .

وسوف نحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذى يحكم المد والجزر فى البحار ، فالقمر هو اقرب جيراننا فى الفضاء ، ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠٠٠٠ ميلا ، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يوميا ، حيث ترتفع فيها أحيانا أمواج يبلغ طولها ستين مترا ، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات !!

ان المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر مناسبة تماما لصالح أهل الأرض . ولو نقص هذا الفاصل الى خمسين الفا من الأميال — على سبيل المثال — فسوف يحدث طوفان شديد فى البحار ، وسوف تغطى أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة ، وسوف يغرق كل شىء ، حتى لتتحطم الجبال من شدة تموج البحار وسوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية !!

ويرى علماء الفلك أيضا أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين ، حتى وصلت الى بعدها الحالى من القمر ، بناء على قانون الفلك ، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتى بالقمر قريبا من الأرض مرة أخرى . . . . . . ويرون أن من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة (هذا مجرد تعبير عن الامكان العلمى ، وحدوده الزمنية . وليس ببعيد أن تقع هذه الظاهرة فى وقت أقل مما حدده الفلكيون وكلامهم لا ينفى هذا) وعندئذ سوف ينشق القمر ، وسوف يتناثر حول فضاء الأرض فى صورة حلقة .

أليست هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة فى القرآن الكريم حول انشقاق القمر ، حين تقترب القيامة ؟ (خان ص ١٤٦ — ١٤٧) .

ثم اجتمعوا اليه بعد مدة ، فسألوه أن يأتى اليهم بالله والملائكة قبيلا[1] . وسألوه أن يرد لهم أجدادهم الماضين[2] ، ويكون فيهم قصى بن كلاب ليسألوه أحق [ما] أتى به أم لا ؟

وطلبوا منه أن يزحزح عنهم جبال مكة ، ويفجر لهم فى بطائحها أنهارا ، وسألوه أن يسقط عليهم من السماء كسفا . وأن يكون له بيت من زخرف . ويرقى فى السماء ، ويأتيهم بكتاب مع ملائكة يشهدون ، وهذا كله منصوص فى السورة السابعة عشر من القرآن ، فقال تعالى :

« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا »[3] .

وقال تعالى : **« وما منعنا أن نرسل بالآيات »**[4] يعنى هذه الآيات التى طلبو [ها] منه ، ثم قال **« الا أن كذب بها الأولون »**[4] يشير الى تكذيبهم بانشقاق القمر قبل ذلك ، وتكذيب الأنبياء من قبله .

ثم ذكر ناقة صالح وقال فى آخر الآية :

« وما نرسل بالآيات الا تخويفا »[4] .

[فجعل ارسال الآية تخويفا][5] ثم قال فى آخر الآية [التالية] :

« ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا »[6] .

فقال : **« ونخوفهم »** [أن] نرسل اليهم بالآيات فيكفرون .

وقال تعالى :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون »[7] .

---

(1) ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٨٠ .
(2) المصدر السابق ص ٤٨٠ .
(3) الاسراء : ٩٣ .
(4) الاسراء : ٥٩ .
(5) من ع .
(6) الاسراء : ٦٠ .
(7) الأنعام : ١٠٩ ، ١١٠ .

فأخبر تعالى أنه لو أرسل هذه الآية التى طلبوها لعتوا وتمادوا على كفرهم [كما فعلوا][1] فى انشقاق القمر وغيره .

وفى الانجيل الذى بأيديكم عن المسيح أن اليهود أتوه[يسألونه معجـزة] فقد فهم وقال : ان القبيـلة الخبيثة القاصرة تطلب آيـة ولا تعطى ذلك[2] .

وفيه أيضا : أنه مر بسمعان الصياد ، وأخيه وهما يصيدان السمك فقال : « اتبعانى أجعلكما تصيدان الناس » فتبعاه بلا آية[3] .

ومن أعجب الأشياء أنكم تؤمنون بنبوة مريم وحنة[4] وهما امرأتان بلا كتاب ولا معجزة ، ولا ذكر [تا] فى صحف الأنبياء ، وتكفرون بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وله كتاب يعجز الانس والجن ، ومعجزات ليست لنبى قبله ، وبشارات[5] فى كتب الأنبياء عليهم السلام .

***

---

(1) من ع .

(2) قارن : متى ١٣ : ٣٨ — ٣٩ ، لوقا ١١ : ٢٩ .

(3) انظر : متى ٤ : ١٨ — ٢٠ .

(4) قرر مجمع أفسوس (٤٣١) أن مريم أم للاله ، ولذا فهى بريئة من الخطيئة الموروثة ، وكذا من كل الخطايا الشخصية ، رفعها الله — بالجسد — الى السـماء وأعطاها حق الشـفاعة ، وفضلها على جميـع أوليائه وأصفيائه .

ويرى علماء الكنيسة البروتستانتية أن أدلة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك ليست الا أساطير ، ولذا فهم ينظرون اليها نظرة اجلال واحترام فقط على اعتبار أنهـا أم عيسى عليـه السلام ولدته ولادة خارقة للعـادة . (انظر: « Nölle, Artkel Maia »)

أما حنة فقد وصفها الانجيل بأنها نبية . (قارن لوقا ٢ : ٣٦ — ٣٨) .

(5) فى ج : « وذكر بشارات » .

[بعض ما ورد فى التوراة والانجيل من التبشير به]
[صلى الله عليه وسلم]

فأما انكار مضلوكم ذكره فى الكتب قبله ، وبشارات الأنبياء به ، فجريا بذلك على سبيلهم فى الغواية والتوقح على الله تعالى •

وأنا أذكر لك ما يبين كذبهم مما هو بين أيديكم فى الانجيل والتوراة والزبور ، والنبوات ، وأورد ذلك على نحو ما قصدت اليه من الايجاز ، والاكتفاء بالقليل ، اذ به يستبين كذب أساقفة التضليل ، والحمد لله على ما منحنا من هدايته •

فمن ذلك فى المصحف الخامس من التوراة الذى بأيديكم الى اليوم قال الله لموسى بن عمران :

« انى أقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامى على فيه ، فمن عصاه انتقمت منه »[1] •

فان قلت : ان ذلك هو يشوع بن نون • [فماذا تقول فيما ذكر] بعد [فى التوراة] ؟ قال الله فى آخر التوراة ، أنه لا يخلف من بنى اسرائيل نبيا مثل موسى[2] •

فلا محالة أن الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى اسرائيل ، لكن من اخوة بنى اسرائيل ، ولا محالة أنهم العرب والروم ، فأما الروم

---

(١) والنص فى التوراة هو : **« أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به • ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه »** • (تثنية ١٨ : ١٨ — ١٩)

(٢) قارن التثنية ٣٤ : ١٠ •

فلم يكن منهم نبى سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان[1] ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة ، فلم يبق الا العرب ، فهو اذن محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الله فى التوراة ، حين ذكر اسماعيل جد العرب ، أنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد اخوته[2] . فكنى عن بنى اسرائيل باخوة اسماعيل ، كما كنى عن العرب باخوة بنى اسرائيل فى قوله :

« سأقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم مثلك » .

وقد ناظرنى يوما أحد رهبان اليهود ، وأهل الذكاء منهم فى هذا فقال :

« هذا كله صحيح لا أجد اعتراضا عليه ، غير أنه قال : سأقيم لبنى اسرائيل ، ولم يكن محمد [رسولا] الا الى العرب » .

فقلت له :

ما على الأرض أحد يجهل[3] أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) لم يكن أيوب من الروم ، وانما كان عربيا ، ظهر قبل موسى . وكان يسكن أرض (عوص) فى شرقى فلسطين أو حوران .

وهو عند مؤرخى العرب من بنى ابراهيم الخليل ، بينهما خمسة آباء .

وهو بعض شراح التوراة قبل ابراهيم وترجح دائرة معارف البستانى الرأى القائل بأنه قبل ابراهيم بأكثر من مائة سنة .

غير أن الطبرى ذكر فى رواية عن وهب بن منبه أنه كان من الروم وذكر نسبه على أنه من ولد ابراهيم وهـذا تضارب فابراهيم لم يكن من الروم .

(٢) نص ما جاء فى التوراة الموجودة بين أيدينا : **« وأمام جميع اخوته يسكن »** . (تكوين ١٦ : ١٢)

(٣) فى ج : « يجهل هذا أن محمدا ... » وفى ت : « ما على الأرض من يجهل ... » .

« بعثت الى الأبيض والأسود ، والعبد والحر ، والذكر والأنثى »[1] .

وهذا كتابه ينطق [بالحق] أنه مبعوث الى الخلق كافة ، فلو أمكنك أن تقول :

« [انه] ادعى أنه مبعوث الى العرب خاصة ، لكانت لك حجة » فقال :

« لا يمكنني — ولا غيري — دفع ذلك ، وبذلك أخبرنا أسلافنا من اليهود عنه أنه قال : « بعثت الى الخلق كافة »[2] .

الا فرقة من فرق اليهود يقال [لها] العيسوية[3] تقول بنبوته ومعجزاته ، وتنكر أنه بعث الى غير العرب ، ولسنا على شيء مما عم عليه . ثم عطف على يهودى [كان][4] بجنبه وقال له :

نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية ، وبالله ما أدى ! كيف نتخلص من هـذا العربى ؟ [وغاية ما أقول] ان أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا [هو] النهى عن ذكره بسوء .

وفى التوراة :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهـم من سـعير ، وتلألأ من

---

(1) نص الحديث : « أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى ، كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود ... » (الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص ٢٥٨ — ٢٥٩) ، ولم أعثر فى كتب الحديث على ما ورد فى النص : « والعبد والحر ، والذكر والأنثى » .

(2) لم ترد كلمة « الخلق » فى الحديث ، بل « الناس » : بعثت الى الناس كافة . (ابن حجر : فتح البارى ج ٢ ص ٧٩)

(3) انظر الشهرستانى ج ١ ص ٢١٥ — ٢١٦ .

(4) فى ج ، ت : « يهودى الى جانبه » .

جبل[1] فاران ومعه جماعة من الصالحين »[2] .

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة ، وكلم عليه موسى .

واشراقه من جبال سعير ، [أن دين عيسى بن مريم انما أشرق من جبال سعير][3] وهى جبال الروم من أدوم[4] .

واستعلاؤه من جبال فاران ، أن الله بعث محمداً منها ، وأوحى اليه فيها ، ولا اختلاف أن فاران هى مكة[5] .

وقال فى التوراة : « ان الله أسكن هاجر وابنها اسماعيل فاران »[6] .

وفى التوراة التى بأيديكم أن الله قال لابراهيم حين دعاه فى ابنه اســماعيل :

قد أجبتك فى اسماعيل ، وباركت عليه وكثرته ، وعظمته جدا جدا[7] . وقال : « أجعله أمة عظيمة »[8] يريد أمة محمد صــلى الله عليه وسلم .

وقال فى التوراة أيضا لهاجر أم اسماعيل حين دعته : « قد سمعت خشوعك فى اسماعيل ، وستكون يديه فوق يد الجميع ، ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع »[9] .

---

(1) فى ج ، ت : « واستعلى من جبال » .

(2) قارن : تثنية ٣٣ : ٢ .   (3) من ع .

(٤) ادوم : لفظة عبرانية : معناها أحمر ، وهى اسم لعيسو الابن البكر لاسحاق . دعيت البلاد التى أعطاها الله له بأرض أدوم نسبة اليه ، وكانت تسمى قبلا بجبل سعير ، وذلك نسبة الى سعير جد الحوريين .

(٥) فاران : كلمة عبرانية معربة ، وهى من أسماء مكة ، وقيل : هو اسم لجبال مكة .

(٦) تكوين ٢١ : ٢١ .   (٧) قارن تكوين ١٧ : ٢٠ .

(٨) قال الله لابراهيم : « **واجعله أمة كبيرة** » (تكوين ١٧ : ٢٠) ولهاجر : « ..... **لأنى سأجعله أمة عظيمة** » . (تكوين ٢١ : ١٨) .

(٩) قارن تكوين ١٦ : ١٢ .

ولا محالة أن اسماعيل وولده لم تكن أيديهم الا تحت يد اسحاق ، لأن النبوة كانت فى ولد اسحاق ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، جعل يد بنى اسماعيل فوق يد الجميع ، ورد النبوة فيهم ، وأنماهم ، وعظمهم ، وبارك عليهم جدا جدا كما قال فى التوراة •

وقال أيضا فيها :

أقبل السيد من سيناء ، وترا [ءى] لنا ، وأقبل من جبال فاران ، ومعه آلاف من الصالحين ، ومعه كتاب نارى ، وهو ختم الأجناس ، وهو [و] جميع الصالحين فى قبضته ومن تدانى من قدميه ، يصيب من علمه [1] •

فاعتبر قوله ، واطرح الهوى ، تصب ان شاء الله •

وفى الزبور الذى بأيديكم :

« سبحوا الرب تسبيحا حديثا • سبحوا الذى هيكله الصالحون ، ليفرح اسرائيل بخالقه • وبنات صهيون من أجل أن [الله] اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر [وأيد] الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم الله [بهم] من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرافهم [بالأغلال] [2] •

أخبرنى !

من [هذه] الأمة التى سيوفها ذوات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ؟

ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء ؟

ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى الآذان ؟

---

(١) قارن تثنية ٣٣ : ٢ — ٣ .   (٢) قارن مزمور ١٤٩ •

وفى الزبور الذى بأيديكم أيضا فى صفه محمد صلى الله عليه وسلم :

« ويجوز من البحر الى البحر ، ومن منقطع الأنهار الى منقطع الأنهار ، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويجلس أعداؤه بالتراب ، ويأتيه ملوك بالقرابين ، وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، لأنه يخلص [المظلوم من الظالم] وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، ويدوم أمره الى آخر الزمان » [1] .

وفى الزبور : « أن الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا » [2] .

فالاكليل : ضرب مثل للرياسة . ومحمود : هو محمد عليه السلام .

وفى الزبور : « تقلد أيها الجبار السيف ، فان ناموسك ، وشرائعك مقرونة بيمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك » [3] .

وفى الزبور : « يقول الله تعالى لداود عليه السلام : سيولد لك ولدا أدعى له أبا ، ويدعى لى ابنا ، فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كى يعلم [الناس] أنه بشر » [4] .

اعتبر قول داود ، حين أفزعه ذلك وراعه ، [فـ] دعا الى الله أن يبعث جاعل السنة ، كى يعلم الناس أن ذلك الولد انما هو بشر !

كذلك لما ضللتم فى عيسى بن مريم [عليه السلام]فدعوتم الله

---

(١) قارن مزمور ٧٢ : ٨ — ١٥ .

(٢) قارن : المزمور ١٣٢ : ١٨ ، والمزمور ١٣٣ : ١ — ٣ .

(٣) قارن مزمور ٤٥ : ٣ — ٥ .

(٤) لم يرد هذا النص فى الزبور ، ولكنى عثرت على نص فى المزمور ٨٩ يقول : ان الله سيعين داود ويقويه بسحق أعدائه وضرب مبغضيه ، وأن داود يدعوه أبا : « **هو** [أى داود]**يدعونى أبى انت الهى وصخرة خلاصى** » ، (٢٧) وهو مخالف لمفهوم النص الذى استشهد به أبو عبيدة .

أبا له ، ودعوتموه ابنا لله ، بعث الله جاعل السنة ، وكاشف الغمة ، الذى أعلم الناس أنه بشر ، ليس باله .

وكذلك قال المسيح فى الانجيل الذى بأيديكم :

« اللهم ابعث الفارقليط ليعلم الناس أن [ابن] الانسان بشر »[1]

وقال أيضا فى الانجيل الذى بأيديكم عن يوحنا :

« الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ، فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه شــيئا ، ولكنه مما يسمع يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب » .. الى أن قال عنه : « وسيعظنى »[2] .

وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا ، وتمادى على وصفه بكلام [جيد] وقال :

« هو يشهد لى كما شهدت له ، وأنا أجيئكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل » .

وفى الانجيل الذى بأيديكم أيضا عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين :

« الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا ، لو لم أكن قد علمت بينهم أعمالا لم يعملها غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أناوأبى، لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلا سبب . »

« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء »[3] .

---

(١) قارن يوحنا ١٥ : ٢٦ — ٢٧ (٢) قارن يوحنا ١٦ : ٧ — ١٥

(٣) قارن يوحنا ١٥ : ٢٣ — ٢٧ .

فقال المنخما بلسان السريانية ، وتفسيره بالرومية : الفارقليط ، وهو بالعربية محمد صلى الله عليه وسلم [1] .

وفى الانجيل الذى بأيديكم أنه قال لليهود :

« وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات . أولاد الأفاعى . كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم ، وتطردون من مدينة الى مدينة ، لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا ابن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، الحق أقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا الجيل » .

« ياأورشليم ياأورشليم .. ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها

---

(١) ذكر رحمة الله الهندى أنه وقعت فى يده رسالة باللغة الأوردية طبعت فى كلكتة فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة ، وكانت فى تحقيق لفظ فارقليط ، ادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ فارقليط وكان ملخص كلامه أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليونانى ، فان قلنا ان هذا اللفظ اليونانى الأصل : « باركلى طوس » فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل ، وان قلنا ان اللفظ الأصلى « بيركلوطوس » ، يكون قريبا من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء الاسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصلى بيركلوطوس ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد ، فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد وأحمد لكن الصحيح أنه « باركلى طوس ») انتهى ملخصا من كلامه .

فأقول — أى رحمة الله — ان التفاوت بين اللفظين يسير جدا وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبدل « بيركلوطوس » « بباركلى طوس » فى بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على الأخرى . (رحمة الله : اظهار الحق جـ ٢ ص ٢٧٩ — ٢٨٠)

ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ، لأنى أقول لكم انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب »[1] .

فاعتبر قوله هذا ، وبشارته بمحمد صلى الله عليه وسلم المنتقم بعده لدماء المسلمين . وقوله « أرسل اليكم نبيا » . وهذا تحريف منكم [لأنه] قال « سيبعث الله أنبياء » ، وقد قدمنا أنه لم ينزل نفسه إلا بمنزله بشر ، لا اله .

ويقولون : « انه لا نبى بعد يحيى » [بينما] فى الانجيل الذى بأيديكم :

« انما النبوة والكتاب الى يحيى ، ومن بعده ، يبشر بملك الله[2] ويؤخذ عنوة ، فذهاب السماء والأرض أهون من اسقاط حرف من الكتاب »[3] .

فانظر قوله : « ومن بعده يبشر بملك الله ، ويؤخذ عنوة » ، فهو افصاح عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وملك الله : هو ملك رسوله محمد [4] صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، [فهو] الذى قهر الأجناس بالسيف ، وقتل من قتل من اليهود وسائر الكفار انتقاما ، [أرسل اليهم] من الله ، [حيث اشتكتهم] دماء جميع أولئك المؤمنين .

وفى الانجيل الذى بأيديكم عن متى :

« لما سمع [يوحنا] فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ... وقال [المسيح] الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان .... لأن جميع الأنبياء والناموس

---

(١) متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٩ (٢) قارن متى ٣ : ٢

(٣) قارن متى ٥ : ١٨ ، ٢١ : ٣٣ — ٤٦ .

(٤) فى ج : « هو ملك رسوله محمد رسوله صلى الله عليه وسلم » .

الى يوحنا تنبأوا • وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى • من له أذنان للسمع فليسمع » (١) •

فاعتبر هذه البشارة ! فان زعمت [أن المراد « بايليا » هو] الياس النبى ، فهذا من توقحكم على الله ، ومكابرتكم المعقول ، لأن الياس [كان سابقا فى الزمان على عيسى] (٢) ، أرسله الله الى قومه ، وكان من أمره ما كان ، وصار الى الله تعالى •

وانما قال المسيح : ان ايليا مزمع أن يأتى ، [لأن] « ايليا » هو الله تعالى [مجازا] ، فمجىء الله هو مجىء رســوله بكتابه ، وأمره كما قال فى التوراة :

« جاء الله من سيناء » •

وكما قال : « وأقبل من فاران » وما أشبه ذلك • [فـ] هو [تعبير مجازى ، أى جاء رسول] من الله ، و [معه] كتابه •

وكذلك زعم عالمكم يرويم أن موسى بن عمران ، واليسع ، والياس سيأتون • وحكى ــ زيادة ــ « أرميا » فى الآيتين ، واحتج على ذلك بما نص فى كتاب الله عن الله تعالى أنه قال :

« قبلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك • جعلتك نبيا للشعوب » (٣) •

فقال يرويم :

[أوحى الى] أرميا أنه يأتى آخر الزمان ، ليكون نبيا للأجناس كلها ، كما قيل له ، لأنه لم يكن الأنبياء [مرسلين الا] لنبى اسرائيل خاصة •

---

(١) متى ١١ : ٢ ــ ١٥ •
(٢) فى ج : « قد كان فى الدنيا وقد..... » •
(٣) أرميا ١ : ٥

فهذا قول « برويم » • وما من نبى الا قال : انه الى بنى اسرائيل بعث ولم يبعث الى غيرهم ••• الى أن بعث الله سيدهم محمدا صلى الله عليه وسلم وقال له : « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** »[1] •

وقال عليه الصلاة والسلام : « بعثت الى الأبيض والأحمر » [2] •

وقد تيقنت نبوته ، وصح فضله على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فذلك القول [3] الذى قيل « لأرميا » فيما أوحى الله اليه ، انما هو قول لما بعده [وأن] المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم •

وقول « برويم » : ان فلانا وفلانا — لمن سماهم من الأنبياء — سيأتون [4] فى آخر الزمان ، [فليس الا] هتف [5] ، وجرأة[6] على الله ، وافتراء عليه ، ولن يأتى منهم — ممن قد مات [7] — أحد الى يوم الميقات المعلوم •

وفى الانجيل الذى بأيديكم عن المسيح :

أنه ضرب مثلا للدنيا ، [فهى] كمثل رجل غرس [8] كرما ، وأحاطه بسياج[9] وحفر[10] فيه معصرة ، وبنى برجا [11] وسلمه الى كرامين ، وسافر[12] ولما قرب وقت الاثمار أرسل عبيده الى الكرامين[13] •

---

(1) الأعراف : ١٥٨ (2) انظر ص ٢١٦
(3) فى ج : « بذلك الذى قال الأرميا » •
(4) فى ج : « يتسالون » •
(5) فى ج ، ت « انما هو هتف » •
(6) فى ج : « وجزاوة » • (7) فى ج : « مما قد مات » •
(8) فى ج ، ت : « أغترس »
(9) فى ج ، ت « ومسيح حوله » •
(10) فى ج ، ت : « وجعل » •
(11) فى ج ، ت : « وشيد فيه قصرا » •
(12) فى ج ، ت : « ووكل أعوانا وتغرب » •
(13) فى ج ، ت : « فلما دنى أوان قطافه بعث عبيده الى أعوانه المكلفين » رجعنا فى تصحيح أخطاء هذا النص الى الانجيل (انظر متى ٢١ : ٣٣ — ٣٤)

[ثم] ضرب المسيح مثلا للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ، ثم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله الموكل آخرا بأمر الكرم[1] ، وأفصح عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال : انه سيزاح عنكم ملك الله ، ويعطى الأمة المطيعة العاملة .

ثم ضرب مثلا [بـــ] صخرة ، وقال : من سقط على هذه الصخرة سينكسر ، ومن سقطت عليه يتهشم[2] . يريد بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن ناوأه وحاربه أظهره الله عليه .

وفى صحف أشعياء التى بأيديكم قال :

ستمتلىء البادية والمدائن من قصور آل قيدار يسبحون الله ، ومن رؤوس الجبال ينادون ، هم الذين يجعلون لله الكرامة ويبثون تسبيحة الله فى البر والبحر [3] .

وفى صـــحف حزقيال النبى يقول عن الله « انى مـــؤيد قيـــدار بالملائكة » [4] .

وقيدار ولد اسماعيل ، فأى بادية هذه البادية التى امتلأت من قصور آل قيدار ؟ [أليس هم] الذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج الى بيت الله !

وقال أشعياء النبى عن الله : « عبدى الذى سرت [به] نفسى أنزل عليه وحيى ، فيظهر فى الأمم عدلى . ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحدا غيره ، أحمد يحمد الله حمدا حديثا ، يأتى من أقصى الأرض ، تفرح البرية وســكانها ،

---

(١) فى ج « أمرا بالكرم » ، وفى ت : « آخرا بالكرم » .
(٢) قارن متى ٢١ : ٤٤ . (٣) قارن أشعياء ٤٢ : ١١ — ١٣
(٤) لم أعثر على هذا النص فى الكتاب المقدس .

يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل الى الهوى ، ولايسمع فى الأسواق صوته • ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة(*) الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين • وهو نور الله الذى لا يطفأ ، ولا يخضع حتى نثبت فى الأرض حجتى ، وينقطع به العذر ، [و] الى توراته ينقاد الخلق »[1] •

اعتبر هذا التصريح لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وصفاته [ففيه الكفاية فكم وكم من وجوه يمتنع عليكم أن تدعوا فيها][2] لغير محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك أنه [قال] : يوصى الأمم •

وقد كتب فى انجيلكم الذى بين أيديكم أن المسيح قال :

« انى لم أبعث الى الأجناس ، وانما بعثت الى الغنم الرابضة من نسل اسرائيل »[3] • فلا يجوز أن يكون الى الأمم جميعا غير محمد صلى الله عليه وسلم •

وفى الانجيل الذى بأيديكم أن المسيح قال للحواريين : « لا تسلكوا الى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا الى الغنم الرابضة من نسل اسرائيل »[4] •

وقال أشعياء فى كلامه المتقدم آنفا : « لا يضعف ولا يغلب » •

وأنت تقول : « ان المسيح غلب على نفسه ، وحمل خشبته ، وسمرت يداه فيها ، وقتل عليها » •

فهل فى الضعف أكثر من هذا ؟

(*) العصفة : ما كان على ساق الزرع من الورق •

(1) قارن أشعياء ٤٢ : ١ — ٧ •

(2) من ع ، وفى ج ، وت : « ومن كل وجه يمتنع عليكم أن يدعو فى هذا الكلام كله » •

(3) قارن متى : ١٥ : ٢١ — ٢٦ •

(4) قارن متى : ١٠ : ٥ — ٦ •

ولا جرم أن الله تعالى فتح لمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا مبينا ، ونصره نصرا عزيزا ، وأظهره على كل عدو ، ومعاند لله تعالى ، حتى أعلى دينه وأفشى توحيده .

وفى صحف حبقوق النبى التى بأيديكم : « جاء الله من [تيمان][1] وتقدس من جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميده وتقديسه ، وملك الأرض بهيبته »[2] .

وقال أيضا : « **عريت قوسك تعرية . سباعيات سهام كلمتك** »[3] .

اعتبر ! [فكل ذلك] افصاح لحبقوق باسم محمد وصفته .

وفى صحف أشعياء النبى يقول : « قيل لى : قم ناظرا فانظر ! فما ترى ؟ قلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل ، وأصنامها النخرة »[4] .

فصاحب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وصاحب الحمار — باتفاق منا ومنكم — هو عيسى بن مريم عليه السلام .

أو ليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار ؟ ، وانما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله ، وهدمت أوثانها بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، لا بعيسى ، ولا بغيره ، فما زالت

---

(1) فى ج : « النبيين » . (2) قارن : حبقوق ٣ : ٣ — ٤ .

(3) فى ج ، ت : « وقالوا أيضا : تضىء لنوره الأرض ، ويستنزع فى قسيك أعرافا ، وترتوى السهام بأمرك يامحمد ارتواء . » فانظر حبقوق ٣ : ٩

(4) وأصل هذا النص فى سفر أشعياء :

« لأنه هكذا قال لى السيد : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى . فرأى ركابا أزواج فرسان . ركاب حمير . ركاب جمال ... وقال سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها الى الأرض » . (أشعياء ٢١ : ٦ — ٩)

ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن ابراهيم عليـــه السلام الى زمان محمد وأمته •

وفى صحف أشعياء أيضا : « لتفرح أرض البادية العطشى ، ولتبتهج البرارى والفلوات »[1] • لأنهـا ستعطى بأحمد محاسن البســتان ، [وستكون مثل الرياض حسنا وبهاء][2] •

اعتبر ! هذا الافصاح باسمه وصفة بلده بما لا ينكره الا وقاح مكابر بالباطــل •

وفى صحف حزقيال النبى التى بأيديكم أيضا يقول عن الله عز وجل بعــد ما ذكر معاصى بنى اسرائيل ، وشبههم بكرمة غرسها[3] وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء ، وقال : لم تنبت تلك الكرمة ، [فاقتلعت وطرحت][4] على الأرض ، وأحرقت الســماء ثمارها ، فعند ذلك غرست فى البدو ، وفى الأرض المهملة العطشى[5] ، وخرجت من أغصانها الفاصلة نارا أكلت تلك ، حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب »[6] •

---

(١) وهو فى سفر أشعياء : « **تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس** » • (أشعياء ٣٥ : ١) •

(٢) من ع ، وفى ج ، ت « وكمثل حسن الدساكر والرياض » •

(٣) فى ج ، ت : « غذاها » •

(٤) فى ج ، ت : « أن قلت بالسحطة ورما بها » •

(٥) فى ج : « العظمى » وساقطة من ت •

(٦) أصل النص كما جاء فى سفر حزقيال : « **أمك ككرمة مثلك غرست على المياه • كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه • وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء وظهرت فى ارتفاعها بكثرة زراجينها • لكنها اقتلعت بغيظ وطرحت على الأرض وقد يبست ريح شرقية ثمرها • قصفت ويبست فروعها القوية • أكلتها النار • والآن غرست فى القفر فى أرض يابسة عطشانة • وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها ، وليس لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط** » • (حزقيال ١٩ : ١٠ — ١٤) •

اعتبر ! هذا التصريح به ، وبصفة بلده كلها ، فى قوله : الأرض المهملة البدو ، والعطشى ، وتلك صفات مكة ، لأنها صحراء ، لأنها كانت مهملة من النبوة من اسماعيل ، وهى [مركز] البدو •

وفى صحف « دانيال » النبى : وقـد نعت الكذابين [بقوله] : « ولا تمتد دعوتهم ، ولا يتم فرقانهم • وأقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل ، ولا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة »[1] •

اعتبر هذا الفضل الذى تنكرون ، [فـ] هــذه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة منذ [ستمائة] من السنين ، وباقية الى يوم القيامة ، فحسبك بهذا دليلا على الباطل وأهله •

وقال « دانيال » النبى وقد سأله الملك [بختنصر] عن رؤية رآها ، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها فقال :

« أيها الملك ! رأيت صنما بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضه ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر اليه ، وقد أعجبك ، اذ دقه الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم فطحنه حتى اختلط ذهبه ، وفضته ونحاسه ، وحديده ، وفخاره • ثم ان الحجر فار وعظم حتى ملأ الأرض كلها •

قال له « بختنصر » : صدقت ، فأخبرنى بتأويلها !

قال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره • فالرأس [التى] من الذهب : [هى] أنت أيها الملك • والفضة : ابنك من بعدك • والنحاس : الروم • والحديد : الفرس • والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام • والحجر : هو دين نبى

---

(1) لم أعثر على هذا النص فى صحف دانيال ، بل ورد ما يفيد معناه فى المزمور ١٠٩ فارجع اليه •

وملك أبدى ، يكون فى آخر الزمان يغلب الأمم كلها [ثم يعظم حتى يملأ الأرض كلها] كما ملأها ذلك الحجر »[1] .

فأخبرنى !

هل كان نبى غير محمد صلى الله عليه وسلم جمع الأجناس والأمم كلها على اختلافها ، واختلاف لغاتها ، ودياناتها ، وممالكها وبلادها ؟

فجعلها جنسا واحدا ، ولغة واحدة ، ومملكة واحدة ، ودينا واحدا .

ولا محالة أن العرب والفرس ، والنبط والقبط ، والأكراد والترك ، والديلم والحبش والبربر[2] ، ومن أسلم من [أهل] الهند والسودان والروم ، وغيرهم على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرأون القــرآن .

وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، فصحت نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميــع النبيين .

وقد تبين كذب أساقفتكم المضللين .

* * *

[صفات محمد صلى الله عليه وسلم]

فهذه جملة من [آيات] سيد المرسلين والنبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزاته ، ومن بشارات الأنبياء به الى ما جبله الله عليــه من الخلق العظيم ، والزهد فى الدنيا ، والعلم ، والحكمة ، والبيان ، والصفح ، والوقار ، ولين الخلق ، والرأفة ، والرحمة ، والتواضع لله ، والصبر ، والجود .

---

(١) قارن دانيال ٢ : ٣٧ — ٤٥ .
(٢) فى ج : « والحمل والتبريز » باهمال الكلمة الأولى .

وملك الحجاز ، واليمن كلها ، واليمامة كلها ، وأقصى نجد الى العراق • ومات ودرعه مرهونة عند يهودى فيما أكل أهله[1] •

وكان بعد ما ملكه الله رقاب عباده ، وأوطأ له فى الأرض من فى الأرض ، وأخضع له الملوك ، يؤاكل العبد واليتيم ، ويحملهما كالأب الرحيم •

ويركب الحمار ، ويمشى فى الأسواق راكبا وراجلا ، ويجلس على الأرض ، ويأكل عليها ، ويلبس العبا [ء] ة ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ولم يشيد قصرا ، ولا غرس نخلا •

وكان يجوع حتى يجعل الحجر على بطنه[2] ، ويصلى الليل بطوله[3] حتى تورمت قدماه واذا قام الليل فى الصلاة يسمع لصوته أزيزكأزيز

---

(١) ابن حجر : فتح البارى ج ٦ ص ٧٠ ، مسلم ج ١ ص ٢٧٠ — ٢٧١ •

(٢) عن جابر رضى الله عنه قال : انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : أنا نازل • ثم قام وبطنه معصوب بحجر ... الخ •

زاد يونس « من الجوع » ، وفى رواية أحمد . أصابهم جهد شديد حتى ربط النبى صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع •

وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك ، فاذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر . وقال الكرمانى : لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر ، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شىء مما فى البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل .

هل يسكن الحجر حرارة الجوع ؟ وهل يمسك بربط ما فى الأمعاء فيمنعها عن التحلل ؟ ذلك أمر يحتاج الى دراسة من المتخصصين فى هذا الجانب من حياة الانسان • أما اللغوى فينظر الى هذه الكلمة : « حجر » من ناحية أخرى اذ أنه عندما يرى أن القاموس ذكر : « حجزة الازار » يتساءل الا يحتمل أن يكون المراد : الحجز ، وليس الحجر ؟

(٣) فى ج : « وطوله » .

المرجل من البكاء ، وكان أشد حياء من البكر ، ولم يغضب قط ، ولا أكل وحده ، ولا ضرب عبيده ، ولا منع سائله رفده ، وكشف بشرته ليقتص منه عكاشة بن محصن — رجل من المسلمين — من شيء لم يتعمده ، فلما وصل اليه تبرك[1] خديه فى بطنه ، ويبكى صلى الله عليه وسلم ، [وهو] اذ ذاك تهابه الملوك وتردع منه الجبابرة ، ولو كان سبق فى حكم الله تعالى أن يكون انسان تام الها تاما كما تزعمون ، لم يكن غير محمد صلى الله عليه وسلم لكماله وجلاله وبيان فضله على جميع أولاد آدم ، فتلك صفاته وآياته التى علمها جميع العالم[2] .

***

[أخبار اليهود عن عيسى بن مريم عليه السلام]

فأخبرنى أنت أيها المغرور اذا كفرت بكتابه ! من أين تحققت [عندك] لعيسى بن مريم فضيلة أو معجزة ؟

ومن نقل اليكم آية أو معجزة ؟

هل جئتم [بما جئتم به] الا بعده [بما] ينيف على مائتين وكسور من السنين ؟

أخبرتم عن منامة رئيت [ف] أسرعتم الى تصديقها و [أنتم] لا تدرون أكان[3] موجودا فى العالم أو لم يكن — لا بتواتر ولا بغيره — الا [بمقتضى] السبب الذى قدمت ذكره !!

أما [كان] الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى فى العالم ، وان ظهر له صواب القول بوجوده !

---

(١) فى ج ، ت « ترابا » . (٢) فى ج ، ت « العوالم » .

(٣) فى ج ، ت : « هل كان » .

[أيكفر][1] بالقرآن [ويقبل][2] قول اليهود به ، لزعمكم أنهم كانوا رهطه ، ولكونه منهم وفيهم ، واليهود فيما بينهم متخالفون فى أمره ؟

ثم أنتم متخالفون مع اليهود فى أمره .

فقد زعمت اليهود أنهم حين أخذوه حبسوه فى السجن أربعين يوما ، وقالوا : ما كان لنا أن نحبسه أكثر من ثلاثة أيام ، الا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله بصناعة الطب .

« وفى الانجيل الذى بأيديكم ، أنه أخذ صباح الجمعة ، وصلب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه »[3] .

فأخبرنى ! متى تتوافقون مع اليهود فى خبره ؟

واليهود مجمعة [على] أنه لم يظهر لهم معجزة ، ولا بدت لهم منه آية ، غير أنه طار يوما — وقد هموا بأخذه — فطار على اثره آخر منهم ، فعلاه فى طيرانه ، وجدله فسقط الى الأرض بزعمهم .

وفى الانجيل الذى بأيديكم [فى أكثر من موضع][4] ما يشهد أن لا معجزة له ، ولا آية ، فمن ذلك [مما هو] فيه منصوص أن اليهود قالوا له يوما ماذا نفعل حتى ننتهى الى أمر الله ؟ .

فقال لهم : أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه .

فقالوا له : وما آيتك التى ترينا [حتى] نؤمن بك ، وأنت تعلم أن آباءنا أكلوا المن والسلوى بالمفاوز .

---

(١) فى ج ، ت : « وهو يكفر » .
(٢) فى ج ، ت : « فتقبل » .
(٣) انظر مرقس ١٥ : ٤٢ — ٤٤ ، ويوحنا ١٩ : ٣١ — ٣٣ .
(٤) فى ج ، ت : فى غيرما موضع [بدون نقط على الكلمة الأخيرة] وهذه الفقرة ساقطة من ع .

فقال : ان كان موسى أطعمكم خبزا بالمفاز ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا[1] • يريد نعيم الجنة •

فلو عرفوا له معجزة ، ما قالوا له ذلك ، ثم [هو] لم يجبهم على قولهم بمعجزة ولا آية •

وفى الانجيـــل الذى بأيديكم أن اليهـــود قالت له : ما آيتك التى نصدقك بها ؟

قال : اهدموا البيت ، وأنا أبنيه لكم فى ثلاثة أيام •

وقد قدمت ذكر هذا الخبر مستوفيا ، فلو كانت اليهود تعرف له آية ، لم تقل له هذا ! ولو كان [قد] أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ •

وعندكم فى الانجيل أيضا : أنهم جاءوا يسألونه آية ، وقد فهم [ما يريدون] ، فقال :

ان القبيلة الفاجرة الخبيثة ، تطلب آية ، ولا تعطى ذلك[2] •

وفيه أيضا : أنهم [أى اليهود] كانوا يقولون له وهو على الخشبة ــ

---

(١) نص ما جاء فى الانجيل : ((**فقالوا له ماذا نفعل • حتى نعمل أعمال الله • أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله • أن تؤمنوا بالذى هو أرسله • فقالوا له فأى آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل • آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب • أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا • فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء • بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم • فقالوا له : ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز • فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة ، من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا**)) • (يوحنا ٦ : ٢٨ ــ ٣٥) •

(٢) نص ما جاء فى الانجيل : ((**حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يامعلم نريد أن نرى منك آية • فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق ، يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبى**)) • (متى ١٢ : ٣٨ ــ ٣٩) •

بظنكم ــ : « ان كنت المسيح ، فأنزل نفسك ، فنؤمن بك »[1] .

يطلبون منه ذلك آية ، فلم يفعل .

فلتعلم ــ أيها المغرور ــ أنك ان كفرت بالقرآن ، لا تحقق لعيسى ابن مريم آية ، ولا فضيلة ، لأن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت اليها ، لما ذكرت من اختلاف بعضكم مع بعض ، وعدم يقينكم بجميع أموره .

وكذلك أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئا من الألوهية ، التى نسبتم اليه ادعاءها . ولا محالة أن مرادهم أن يدعى ذلك ، ليكون أبلغ فى التشنيع عليه ، [فقد] ذكروا السبب فى استفاضة[2] ذلك [أى التشنيع] عليه ، فقالوا : ان أحبارهم أثروا[3] ما مضى ، وبقى ذكره [ولذا] خافوا أن تصير عامتهم اليه ، اذ كان على سنن تقرب من سننتهم ، فشنعوا عليه أمورا كثيرة ، [منها] : نسبوا اليه دعوى الألوهية ، تزهيدا للناس فى أمره[4] .

ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف فى أمره ما يدل على عدم يقينهم بشىء من أخباره ، فمنهم من يقول : انه كان رجلا منهم ، ويعرفون أباه وأمه ، [ويتهمونها] بالزنا . وحاشا الله ، قاتلهم أنى يؤفكون . ويسمون أباه البندير الرومى ، وأمه مريم الماشطة[5] ويزعمون أن زوجها

---

(١) قارن متى ٢٨ : ٤٠ .

(٢) استفاض الخبر . انتشر . والمصدر : استفاضة .

(٣) اثر الحديث : نقله ، فالحديث مأثور ، أى منقول قرن عن قرن .

(٤) ليس بين قوله : « أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئا من الالوهية .... » وقوله : « ..... نسبوا اليه دعوى الأولوية ..... » تناقض ، لأنه يبدو أن المؤلف أراد بالفقرة الأولى الاخبار عن اليهود المعاصرين للمسيح ، وبالثانية ذريتهم الذين جاءوا بعد فترة من الزمن .

(٥) الماشطة : هى التى تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

يوسف بن يهوذا ، وجد البندير عندها على فراشها — أو شعر بذلك — فهجرها وأنكر ابنها .

ومن اليهود :

من تبرأ من هذا القول ، وقال : انما أبوه يوسف بن يهوذا ، الذى كان زوجا لمريم ، ويذكرون أن السبب فى استفاضة اسم الزنيم[1] عليه ، أنه كان مع معلمه « يوشع بن يوحنا » ، وسائر التلاميذ فى سفر ، فنزلوا موضعا ، وجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم ، فقال «يوشع» : « ما أحسن هذه المرأة » يريد أفعالها .

فقال عيسى — بزعمهم — : « لولا عمش فى عينيها » .

فصاح « يوشع » وقال له : « باممزا » وترجمته يازنيم « أتزنى بالنظر » ، وغضب عليــه غضبا شديدا وعاد الى بيت المقدس وصرح باسمه ، ولعنه فى أربعمائة قرن .

فحينئذ لحق عيسى — بزعمهم — ببعض قواد الروم ، وداخـله بصناعة الطب فقوى بذلك على اليهود — بزعمهم — وهم يومئذ فى ذمة « بيلاطس » عامل القيصر « تيادوس » على فلسطين ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ، ويعرض عن بعضها ، الى أن كان من أمره ما كان .

وطوائف من اليهود يتحدثون بغير هــذا ، فى السبب الذى من أجله لقب بتلك الشتيمة ، [اذ] يقولون :

انه كان يوما يلاعب الصبيان فى صغره بالكرة ، فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود ، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ، فقوى عيسى ، وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له :

---

(١) الزنيم : اللئيم أو الدعى .

« ما نظنك الا زنيما » فمضت عليه هذه الشتيمة .

ومن اختلاف اليهود فى أمره .

أنهم يسمون أباه — بزعمهم [وهو] الذى كان خطيب مريم — يوسف بن يهوذا النجار . وبعضهم : يوسف بن الحداد .

وأنتم تقولون :

انه يوسف بن يعقوب . وبعضكم يقول : يوسف بن هالى[1] وقد تقدم ذكر اختلافكم أيضا فى آبائه ، واختلافكم فى عددهم الى ابراهيم ، فمن مقلل ، ومن مكثر[2] .

فهذه أخبار اليهود عن عيسى بن مريم ، وهم مع كثرة تنازعهم فيه ، ليس منهم فرقة توافقكم فى شىء مما ذكرتم .

وأنتم أيضا — على كثرة تنازعكم فى خبره — لا توافقهم فرقة منكم فى شىء من ذكره ، وقد قدمت قولهم أنهم حين أخذوه — بزعمهم — سجنوه أربعين يوما ، وفى أناجيلكم أنه صلب فى اليوم الذى أخذ فيه .

فقد صح أنكم جميعا فى شك منه ، ما لكم به من علم الا اتباع الظن ، الى أن بعث الله سيد النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأوحى

---

(١) نسبت الأناجيل عيسى بن مريم عليه السلام الى يوسف الذى كان خطيب مريم — كما يزعمون — ثم أوردت سلسلة نسب يوسف فذكرت فيها يهوذا ، ويعقوب وهالى .

فهالى : والد يوسف . ويعقوب : جده الواحد والخمسون . ويهوذا جده الخامس عشر والثانى والثلاثون ، والخمسون (انظر لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨) فمن قال : يوسف بن هالى ، فقد نسبة الى أبيه .

ومن قال : يوسف بن يعقوب فقد نسبه الى جده الخمسين .

ومن قال : يوسف بن يهوذا ، فقد نسبه الى جده الخامس عشر ، والثانى والثلاثين ، أو الخمسين .

(٢) انظر : ص ١٤٧ .

اليه ما أبطل هذه الأقوال الوخيمة ، وشهد له بآيات ، وقال له بمعجزات ، وقوله الحق وشهادته الصدق .

وقد كان يجب على أساقفتكم الغاوين حين راموا الشتيمة فى سيد النبيين ، وخلق الأكاذيب عليه أن يتفكروا فى قول اليهود فى المسيح عيسى بن مريم فيعلمون أن الشتائم والأكاذيب لا يرضى بها أحد من الناس الا الأشرار ، وأنها ليست من شيم الصالحين والأخيار .

ونحن المسلمين ، فقد قارنا بين أقوال اليهود فى عيسى وأقوال أساقفتكم الغاوين فى سيد الأنبياء ، وأوجبنا بذلك كله على جميعكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

* * *

[تحريف التوراة وبعض ما فيها من المفتريات على الله تعالى وأنبيائه الكرام ، وهو الجزء الثانى من الرد على الشبهة السابعة]

ولذلك لا يجب علينا تصديقكم فى شىء مما تناقلتموه من التوراة ، والانجيل ، والزبور ، وأخبار الأنبياء ، اذ ظهر عتوكم جميعا على الله تعالى ، وكذبكم على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، واستبان لكل ذى بصيرة .

ولا يؤمن ادخالكم الخلل فى الكتب ، ولاسيما مع اقراركم أن التوراة انما كانت طول مدة ملك بنى اسرائيل عند الكاهن الأكبر الهارونى[١] وحده .

---

(١) هو هارون بن أشير ، يذكر الباحثون فى مخطوطات التوراة القديمة أنه أخفى نسخة مخطوطة فى معبد سفراديم فى حلب ، خوفا عليها من الضياع ، وأنها من المخطوطات الهامة التى اعتمدوا عليها فى تخريج العهد القديم الموجود بين أيدينا « Kunl’ S. 28 und stellen S. 11 »

ولا ينكر ذلك منكم — ولا من اليهود — الا وقح عظيم المجاهرة بالباطـــل •

واليهود تقر أن السبعين كاهنا[1] اجتمعوا على اتفاق من جميعهم فى تبديل ثلاثة عشرة حرفا من التوراة ، وذلك بعد المسيح فى زمن القياصرة ، ومن رضى تحريف موضع فى كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف الكثير •

وكذلك يقرون أن السامرية — وهى فرقة منهم — حرفت التوراة تحريفا بينا ، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف • ولعـــل الفريقين صادقان ، فأين حينئذ فى التوراة شىء يوثق به ، مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود فكفونا بأنفسهم من غيرهم •

وأنتم أيضا تدعون أنهم حرفوا فى التوراة التاريخ ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليـــه وسلم ألف سنة ، ونحو المائتين من السنين •

وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعدم تحريف التوراة الا معاند متعسف ، فان قلتم : كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها الى زمن المسيح عليـــه السلام والأنبياء معصومون عن الباطل • وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون [من دعوى التحريف ، ويحتم عليهم أن] يوافقونا على حكم النبيين بها ، لقول القرآن: « **يحكم بها النبيون** »[1] •

---

(٢) كاهن يجمع على كهنة ، وكهان ، وفعله : كهن كهانة ، وتكهن تكهنا وتكهينا كهن لفلان : قضى له بالغيب ، وحدثه .

وكهن : صار كاهنا أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة .

والكاهن : من يدعى معرفة الأسرار أو أحوال الغيب ويطلق عند اليهود وعباد الأوثان على من يقدم الذبائح والقرابين ، وعند المسيحيين على من ارتقى الى درجة الكهنوت .

(٢) المـــائدة : ٤٤

قلت : الجواب من وجهين :

أحدهما : لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى اليهم بالصحيح منها .

وثانيها : أن كل شيء حكموا به فهو صحيح .

ولكن لم قلتم : أنهم حكموا بجملتها ، مع أن الذى حكموا به غير معين ، فسقط الاستدلال بالجميع ، ولا يفيدكم حكمهم شيئا . ومع ذلك فالتغيير لم يتعين له زمن ، فلعله كله كان قد وقع بعد النبيين ، بعد المسيح عليه السلام .

وكذلك الانجيل الذى بأيديكم : انما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، وهم : «يوحنا بن زبدى» ، «ومتى العشار» ، «ومرقس» — وهو تلميذ « بولس » و «برنابا» — و «لوقا» .فأمكن فى كل ذلك التبديل.

وعلى ما فيها من اختلال وتحريف ، فقد استخرجنا ما فيها من البشارات بسيد النبيين ، مشرقة لعيون العالم ، لا يدفع فيها الا كل أعمى البصيرة أو مجاهر بالباطل .

[نعود فنقول] ثم فى التوراة من الأكاذيب ، والتحريف الشنيع ، والكفر البشيع ، والخرافات التى هى حديث العجائز ، كقوله عن لوط عليه السلام : أنه خرج من صوغر ، وسكن فى كهف الجبل ومعه ابنتاه . فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا ، فأرقدينا معه ، لنأخذ منه نسلا .

فرقدت معه الصغرى ، ثم الكبرى ، ثم فعلتا فى الليلة الثانية ، وحملتا منه بولدين [هما] موآب ، وعمون[1] .

---

(١) نص ما جاء فى التوراه : «**وصعد لوط من صوغر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن فى صوغر . فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمرا ، ونضطجع معه فنحيى من**
=

فهل يحسن أن يكون لوط نبيا من الأنبياء ، ورسولا من الله ، ويوقعه الله فى مثل هذه الفاحشة ؟

وفى التوراة أيضا :

ولما سكن يعقوب بذلك الموضع ، مشى ابنه رأوبين — وهو أكبر أولاده — فضاجع سرية أبيه يعقوب[1] .

هذا لفظ التوراة . ثم قال فيها :

ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه : رأوبين سلكت على وجهك كالماء . فلذلك لم أفضلك بالسهم الزائد حيث امتهنت فراشى[2] .

وتفسير هذا أن سنة الميراث كانت عندهم أن يرث الولد الأكبر سهمين ، وسائر الأولاد سهما واحدا ! فعاقب يعقوب ابنه رأوبين على فعله المذكور ، بأن لم يفضله فى الميراث .

= نسلا . فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة أنى قد اضطجعت البارحة مع أبى . نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيى من ابينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من ابيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين الى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى . وهو أبو بنى عمون الى اليوم » (تكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨) .

(١) نص التوراة : « .. وحدث اذكان اسرائيل ساكنا فى تلك الأرض ان رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع اسرائيل» (تكوين ٣٥ : ٢٢).

(٢) نص التوراة « ودعا يعقوب بنيه ، وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب . واصغوا الى اسرائيل أبيكم . رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى ، فضل الرفعة وفضل العز . فائرا كالماء لا تتفضل . لأنك صعدت على مضجع أبيك . حينئذ دنسته .... » (تكوين ٤٩ : ١ — ٤)

وفى التوراة أيضا :

أن يهوذا بن يعقوب زنى بكنته « ثامار » ، امرأة ولديه ، وقد هلكا عنها واحدا بعد واحد ، فردها يهوذا الى بيت أبيها • ووعدها بتزويجها للولد الثالث المسمى « شيلة » ، اذا كبر • [ولما ماتت امرأة يهوذا وانتهت أيام العزاء] تصدت [أى « ثامار »] ليهوذا فى طريقه الى غنمه ، وسترت وجهها ، فظنها بغيا ، فعدل اليها ، ودعاها الى نفسه ، فسألته أجرا فوعدها بجدى من غنمه • فطلبت منه رهنا ، فأعطاها خاتمه ، ومنديله ، وعصاه • وواقعها — بزعمهم — فحملت منه • ثم ان يهوذا أرسل [رسـولا] بالجدى ليطلب رهنه فلم يجد[1] المرأة ، فجاء بنفسه الى أهل القريه ، وقال لهم : أين قحابكم[2] المتطلبة على الطريق ؟

فقالوا : ما كان منا على الطريق قحباء •

ثم انه قيل له بعد حين : ان كنتك « ثامار » حبلى •

فقال : تحرق بالنار •

فأخرجت لتحرق ، فقالت : انما أنا حامل منه ، وهذا رهنه بيدى حين زنى بى ، ليفكها بجدى من غنمه •

فلما رأى يهوذا الرهن ، فكر ، ثم قال : هى أصدق منى •

هذا كله نص التوراة[3] التى بأيديكم اليوم ، فاعتبر ولوع اليهود بذكر الفواحش •

---

(١) فى ج ، ع ، ت : « فلم توجد » .

(٢) فى ج ، ع ، ت « فحباؤكم » • وهو خطأ ، لأن فعلاء جمع تكسير مقيس فى « فعيل » وصفا لمذكر عاقل ، وهذه الكلمة ليس مفردها فعيل ، بل فعله « قحبة » . كذلك ليست وصفا لمذكر ، بل لمؤنث ، وهى المرأة الفاجرة او البغى .

(٣) وردت هذه القصة فى التوراة كما يلى : « ••• **واخذ يهوذا زوجة** =

وبشرههم(١) الى التقول بهذا على صفوة الله من خلقه .

=
لعير بكره ، اسمها ثامار . وكان عير بكر يهوذا شريرا فى عينى الرب ، فأماته الرب . فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك ، وتزوج بها ، وأقم نسلا لأخيك . فعلم أونان أن النسل لا يكون له . فكان اذ دخل على امرأة أخيه انه أفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلا لأخيه . فقبح فى عينى الرب ما فعله فأماته أيضا . فقال يهوذا لثامار كنته اقعدى أرملة فى بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابنى . لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويه . فمضت ثامار وقعدت فى بيت أبيها . ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا . ثم تعزى يهوذا ، فصعد الى جزار غنمه الى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامى فأخبرت ثامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد الى تمنة ليجز غنمه . فخلعت عنها ثياب ترملها ، وتغطت ببرقع وتلففت ، وجلست فى مدخل عينايم ، التى على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية .. لأنها كانت قد غطت وجهها ، فمال اليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كنته . فقالت ماذا تعطينى لكى تدخل على ؟ فقال انى أرسل جدى معزى من الغنم . فقالت هل تعطينى رهنا حتى ترسله ؟ فقال ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت خاتمك وعصابتك ، وعصاك التى فى يدك ، فأعطاها ، ودخل عليها فحبلت منه . ثم قامت ومضت ، وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها . فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامى ، ليأخذ الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها . فسأل أهل مكانها قائلا أين الزانية التى كانت فى عينايم على الطريق . فقالوا لم تكن ههنا زانية فرجع الى يهوذا وقال لم أجدها وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية . فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا نصير اهانة . انى قد أرسلت هذا الجدى ، وأنت لم تجدها .

ولما كان نحو ثلاثة أشهر ، أخبر يهوذا ، وقيل له قد زنت ثامار كنتك . وها هى حبلى أيضا من الزنا . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق . أما هى ، فلما أخرجت أرسلت الى حميها قائلة من الرجل الذى هذه له أنا حبلى ، وقالت حقق لمن الخاتم ، والعصابة ، والعصا هذه ؟ فتحققها يهوذا وقال هى أبر منى ، لأنى لم أعطها لشيلة ابنى » (تكوين ٣٨ : ٦ — ٣٦) .

(١) شره على الطعام وغيره شرها ، من باب تعب : حرص عليه أشد الحرص ، فهو شره .

وفى التوراة أيضا عن « دينة » بنت يعقوب :

أنها خرجت لأمر موصوف فيها [أى فى التوراة] ، فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس ذلك الموضع ، فاغتصبها وأقبضها .

هذا لفظ التوراة(*) تخرصا ، وافتراء على الله تعالى [عما يقولون].

فما الفائدة فى نزول هذا الحديث البشع من السماء ، على موسى بطور سيناء ، بعد زهاء أربعمائة سنة يقرؤه [عليكم] الكهان فى المعابد ، على أنه كلام منزل على رســوله موسى ، فتستك به الآذان ، وتعمى به القلوب[1] .

وانا لنرى « دينة » ، واخوتها الأسباط ، وأباها يعقوب ، أكرم على الله من أن يجرى هذا عليهم ، وهم أهل البيت الذى نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم ، فقال سبحانه :

« ... رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد »[2]

وفى التوراة أيضا عن ابراهيم عليه السلام :

أنه كان يوما قاعدا عند باب فسطاط له ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ، فجرى اليهم ، وسجد ، وقال : ياساداتى ! ان كنت راضيا عنى ، فلا تخلف عبدك ، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم ،

(*) لفظ التوراة : **«وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب ، لتنظر بنات الأرض . فرآها شكيم ابن حمور الحوى رئيس الأرض ، وأخذها واضطجع معها وأذلها»** (التكوين ٣٤ : ١ — ٣) .

(١) فى ت : « فتصطك الآذان وتصغى اليه العقول » وليس هناك فرقا جوهريا بين استك واصطك ، فاستكن المسامع : صمت ، واصطك من صكه صكا : اذا ضرب قفاه ووجهه بيد مبسوطة ، وصك الباب : أطبقه .

(٢) هود : ٧٣ .

وتستريحون تحت هـــذه الشجرة ، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم ، وبعد ذلك تذهبون (*) .

أخبرنى ! .

كيف يستحسن ابراهيم أن يقول على الله : يغسل رجليه ويقوى قلبه بكسرة ؟ .

هذا هو دليلكم على التثليث لمخاطبة الثلاثة مخاطبة رجل واحد وقد أنبأنا الله تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم ، على لسان رسوله الكريم ، أن ضيف ابراهيم الذين أتوا اليه تحت العفصة[1] انما كانوا ملائكة .

وفى التوراة :

أن موسى تجلى الله له فى سيناء وقال له كلاما كثيرا ... الى قوله : قال الله لموسى : أنا هو الذى [لا اله الا] هو ، أدخل يدك فى جيبك وأخرجها مبروصة كالثلج[2] .

واذا أخرجها مبروصة ، فأى آية فيها ؟ اذ بياض البرص موجود فى الناس . والله أخبرنا فى محكم كتابه ، أنه قال له :

(*) والنص فى التوراة : ((**وظهر له الرب عند باوطات ممرا ، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار . فرفع عينيه ، ونظر ، واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض وقـــال ياسيد ان كنت وجدت نعمة فى عينيك ، فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل مـــاء وأغسلوا أرجلكم ، واتكئوا تحت الشجرة ، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ، ثم تجتازون**)) (تكوين ١٨ : ١ — ٥) .

(١) العفص ، جمع عفصة : شجر كثير الانتشار فى لبنان وسوريا والمناطق المجاورة ، وهو نوع من شجر البلوط .

(٢) نص ما ورد فى التوراة : ((**ثم قال له الرب أدخل يدك فى عبك ، فأدخل يده فى عبه ، ثم أخرجها ، واذا يده برصاء مثل الثلج ..**)) (خروج ٤ : ٦) .

« وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء »[1] .

وفى التوراة عن اللوحين :

أنهما منقوشان باصبع الله[2] تبارك وتعالى . والله أخبرنا عن ذلك فى محكم كتابه فقال :

« وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء »[3] .

وفى التوراة :

سخط الله على الأمة ، بسبب العجل الذى عمله لهم هارون ![4] .

---

(١) النمل : ١٢

(٢) ورد فى التوراة : **« واللوحان هماصنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين »** (خروج ٣٢ : ١٦) .

(٣) الأعراف : ١٤٥ .

(٤) نص التوراة : **« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها الى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال غدا عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب »** (خروج ٣٢ : ١ — ٦) .

ويفهم من هذا النص أن هارون صنع العجل بيده ، وبنى مذبحا أمامه ، وشرع عيدا له يحتفل فيه بتقديم القرابين لهذا العجل المصنوع من الذهب .

أما القرآن الكريم فيخبرنا أن الذى صنع العجل هو السامرى ، الذى أضل قوم موسى أثناء غيابه عنهم وأن هارون حذرهم من هذا العمل وبين لهم أنها فتنة فلم يسمعوا له يقول الله تعالى : **« وما أعجلك عن قومك ياموسى .**
=

فكيف ينبغي لهارون أن يكون الله قد بعثه ، وارتضاه نبيا معينـــا لأخيه موسى ، ويعمل لهم العجل بيده ! ! !

وفى التوراة :

أن اسحاق هو الذبيح[1] ، وانما الذبيح اسماعيل ، ودليل على ذلك أن النحر والذبح [كان] بمنى ، بموطن اسماعيل[2] . وأيضا فان قرون الكبش كانت معلقة فى الكعبة من عهد ابراهيم الى زمن دخول الحجـــاج ابن يوسف على عبد الله بن الزبير فأحرقت[3] .

= **قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى . قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى . فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم وآله موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى »** (طه : ٨٣ — ٩٠) .

(١) راجع الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين .

(٢) جاء فى التوراة : « ... **أن الله امتحن ابراهيم .. فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحاق »** (تكوين ٢٢ : ١ — ٢) .

ولم يكن وحيدا ، لأنه رزق باسماعيل قبل أن يولد اسحاق .. ألا يدل هذا على أن رواية التوراة غير دقيقة ؟ واذا كان الأمر كذلك فلا يعتمد عليها فى الاخبار بأن الذبيح كان اسحاق .

(٣) قال الامام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا منصور عن خاله نافع ، عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ، ولدت عامة أهـــل ديارنا قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة ... وقالت مرة انها سألت عثمان : لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قال لى رسول الله : انى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت ، =

وفى المصحف الأول من التوراة أيضا يقول :

ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين فى الأرض ، فندم على خلقهم وقال : سأذهب الآدمى الذى خلقت على الأرض ، والحشائش ، وطيور السماء . انى نادم على خلقها جدا جدا[1] .

وفى التوراة أن الحية أغوت حواء على الأكل من الشجرة[2] فقال الله : سأجعل العداوة [بينك وبين المرأة] وبين نسلك ونسلها فترصدين أنت أبدا عراقيبها ، ويرصد [أى نسل المرأة] أبدا رأسك ليسحقه . الى خبر كثير ، هو مثل الخرافة[3] .

والله يخبرنا [عن ذلك] فى محكم كتابه ويقول لنا :

« فوسوس لهما الشيطان »[4] .

=

فنسيت ان آمرك ان تخطرهما ؛ فخمرهما فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى .

(وهذا يفيد أنهما أزيلا قبل دخول الحجاج بن يوسف الكعبة ، الا ان كان المعنى فاسترهما) وفى رواية أخرى ، قال سفيان :

لم يزل قرنا الكبش معلقين فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا .

وكذلك روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة ، حتى يبس (ابن كثير : قصص الأنبياء ج ١ ص ٢١٣ — ٢١٤) .

(١) ولفظ التوراة : **« ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض . وتأسف فى قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته . الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأنى حزنت انى عملتهم »** . (تكوين ٦ : ٥ — ٧)

(٢) فى ج : « ان الحنش اغوى حوا فى اكل الشجرة » وفى ت : « ان الحنش أغوى حواء فى اكل الشجرة » وسقطت هذه الفقرة من ع .

(٣) اقرأ فى ذلك سفر التكوين الاصحاح الثالث .

(٤) الأعراف : ٢٠ .

وفى التوراة :

أن موسى أمرهم بأخذ أموال جيرانهم من أهــل مصر على طريق العارية . ثم قال لهم :

يقول الله لكم ! اهربوا بها لكم . ففعلوا ، وقالوا : « هى أجــرة سخرتنا » (*) .

وما لهم أجرة على الأرامل والمساكين من أهل مصر ؛ وانما أجرتهم على فرعون وأهل مملكته .

والله تعالى يأمر محمدا صلى الله عليه وسلم حين خرج بالمهاجرين هاربا من مكة ، أن تؤدى كل أمانة الى أهلها ، وأنزل عليــه فى كتابه العزيز : **« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها »**[1] .

وفى التوراة أيضا :

« لا ترب على أخيك ربا بفضة ، ولا ربا بطعام ، ولا ربا من جميع الأشياء كلها . ثم فيها بعد هذا :

على الأجنبى ارب وعلى أخيك فلا ترب ، لأجل أن يباركك الرب الهك »[2] .

(*) جاء فى التوراة : **« ثم قال الرب لموسى ... تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صــاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ... وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا . وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم . فسلبوا المصريين »** . (الخروج ١١ : ١ — ٢ ، ١٢ : ٣٥ — ٣٦)

« وقال الله ايضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل ... تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين » . (خروج ٣ : ١٥ ، ٢٢)

(١) النساء : ٥٨ .

(٢) نص التوراة : **« لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا**
=

وبهـذه الآية اسـتحلوا فى الأمم الربا ، والسرقة ، والكذب ، والفجور ، والفسق .

ثم تأكد رأيهم فى ذلك بما فى آخر السورة حيث يقولون :

« لا تسرقوا ، ولا تكذبوا ، ولا يفجر المرء بأخيه »[1] .

فتأولوا فى هذا الاخاء : أنه لليهود خاصة ، دون سائر الأمم من بنى آدم . ويبين قولهم هذا قول الله تعالى :

« ... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل »[2] .

وفى التوراة أيضا :

«أن الله عز وجل تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب الأرض»[3] تعالى الله عز وجل عن قولهم علوا كبيرا .

=

شىء ما مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يباركك الرب الهك فى كل ما تمتد اليـه يدك فى الأرض التى أنت داخل اليها لتمتلكها » . (تثنية ٢٣ : ١٩ — ٢٠)

(١) ليس فى آخر سفر التثنية ، بل فى الاصحاح الخامس منه حيث يقول :

« لا تقتل ، ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور » .
(تثنية ٥ : ١٧ — ٢٠ ، خروج ٢٠ : ١٤ — ١٦)

(٢) آل عمران : ٧٥ .

(٣) جاء فى التوراة : **« .. فبقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليـه ضرب حق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال : لا أطلقك ان لم تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال لا يدعى اسـمك فى ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باسمك .فقال : لماذا تسأل عن اسمى؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل . قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى » .** (تكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠)

وفى التوراة أيضا :

« أن بنى اسرائيل يسكنون تلك الأرض الى انقراض الدنيا »[1] .

ثم لم يلبثوا أن رأيناهم أخرجوا منها رأى العين[2] .

وفى التوراة أيضا :

أن الله قال لهم أن يضربوا القرن فى عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ يضربونه بأشد ما يقدرون ، ليسمعهم الله ، فيؤيدهم على عدوهم .

كأن الله سبحانه وتعالى لا يسمع الا الأصوات العالية ، وقد وصف تعالى نفسه فى كتابه على لسان رسوله ، فقال سبحانه وتعالى :

« وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى »[3] .

وفى التوراة أيضا[4] :

أن الله كالانسان ، شخص وجوارح ، وقد وصف الله نفسه فى كتابه العزيز ، فقال تعالى : **« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير »**[5].

---

(١) ورد فى التوراة : **« اذكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها الى الأبد »** . (خروج ٣٢ : ١٣)

ليس لليهود أن يستدلوا بهذا النص ــ على فرض صحته ــ على أحقيتهم ــ دون العرب ــ فى امتلاك أرض فلسطين ، لأن العرب أيضا من نسل ابراهيم عليه السلام .

(٢) فقد نفاهم الأشوريون الى بابل فى عام ٧٢٢ ق. م .

(٣) طه : ٧ .

(٤) سقطت هذه الفقرة من ج .

(٥) الشورى : ١١ .

وقد تممت النصارى هذا القول المكتوب فى التوراة ، وزادت فيه كفرا على اليهود حيث تقرأ فى انجيلهم[1] عن يوحنا الحوارى ، — وكلامه عندهم كلام الله تعالى — فيقول — بزعمهم — :

انه حين عرج به الى السماء ، رأى الله سبحانه وتعالى ، وهو شـيخ أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون[2] ، والأسواق بين يديـه قائمة ، والنداء على القمح ، والشعير ، والزيت ، والخبز ، كذا وكذا قفيزا بدينار ، كذا وكذا قسطا بدينار[3] .

وفى التوراة أيضا :

أن الله حين أمر بنى اسرائيل بالتوجه الى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا وكذا ، ينزل فيها فى سـيره معهم .

ثم ان موسى قال له : يارب ! ان هـذه الأمة القاسية رقابها ، لا تمضى لك الى الشام ، حتى تمضى معها كما وعدتها . فقال الله :

---

(١) فى ج : « فى صلواتها » ، فى ت : « صلاتها » .

(٢) كذا فى ج ، ت أما فى نص الانجيل : « ورجلاه شبه النحاس النقى » .

(٣) نص ما جاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى : **« فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى ، ولمـا التفت رأيت سبع منابر من ذهب . وفى وسط السبع المنابر شبه ابن انسان متسربلا بثوب الى الرجلين ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب وأما رأسه وشـعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار ورجلاه شـبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون . وصوته كصوت مياه كثيرة ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب . وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهى تضىء فى قوتها فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى على قائلا لى لا تخف أنا هو الأول والآخر والحى ... » « لأنك تقول انى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى الى شىء ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان . أشير عليك أن تشـترى منى ذهبا مصفى بالنار لكى تستغنى . وثيابا بيضا لكى تلبس ... »**
(١ : ١٢ — ١٨ ، ٣ : ١٧ — ١٨)

نعم ، اعملوا لى القبة ، فعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد •

ونزل الله عن عرشه ، وسار معهم داخل القبة ، ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم • هذانص التوراة[1] •

وعندهم أيضا من بقية هذا الخبر :

أنهم لما جمعوا المال لعمارة هذه القبة ، أجروا انفاقه على يد موسى عليه السلام ، فلما أكمل عملها ، ادعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألف رطل ، وسبعمائة رطل ، وخمسة وسبعون رطلا •

وقالوا لموسى اتهاما : أين نقص هذا المال ؟ وقد جرى الانفاق على يديك • فسمعوا صوتا من السماء يقول لهم :

ان هذا العدد دخل فى رؤوس الأعمدة وفى التغشية • فحينئذ كفوا عنه •

وفى التوراة أيضا عن نوح عليه السلام : « أنه رقد ، وأولاده أمامه ، فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه الآخر سام • وألقى قفاه الى جهة عورة أبيه ، يمشى الى ورائه ، حتى غطاه ، واستيقظ نوح ، ودعا على حام • وقال : سيسود لونك ، وتكون أولادك عبيدا لأولاد أخيك »[2] •

الى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان •

وفى التوراة أيضا عن موسى : « أنه قال لبنى اسرائيل فى الوصية التى وصاهم بها فقال [الله] فى آخرها :

ان كفرت بربك ، وحدت عن سبيله ، وعبدت الآلهة الأجنبية ،

---

(١) قارن : خروج ، اصحاح ٢٣ واصحاح ٤٠ •

(٢) راجع : تكوين ٩ : ٢١ — ٢٧ •

يبتليك الله بدواهي مصر ، ويضرب السل[1] جسدك الذى يصدر عنه الزبل بالجرب والحكاك الذى لا دواء له ، وتتزوج زوجا ويضاجعها غيرك[2] .

وهذه الكناية كلها تصريح بالفطم ، والقرن والزنم[1] .

فاما أن يكون هذا خللا فيها ، واما أن يكون القوم كلهم فطمة ، زنما ، قرانين .

فهل [يقوم][4] الله تعالى بترك أنواع ما خلقه من العذاب للانتقام من أعدائه ، ويهدد قوما على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بهذه الفواحش ؟

وان كان بنو اسرائيل يقولون :

انهم لم يعبدوا الآلهة الأجنبية فقد كابروا العيان[5] .

---

(١) فى ج : « الحرس » ، وفى ت : « الجـزم » ، وسقطت هـذه الفقرة من ع .

(٢) نص ما جاء فى التوراة : « **ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك ...... يضربك الرب بقرحة مصر ، وبالبواسير والجرب ، والحكة ، حتى لا تستطيع الشفاء .... تخطب امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها ...** » .
(اقرأ الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية)

(٣) الفطم : القطع ، فطم الحبل : فطمه : والقرن جمع قران : السيف والنبل . والزنيم ، والزنم : المستحق فى قوم ليس منهم ولا يحتاج اليه ، ومنه قول حسان :

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

يرى أبو عبيدة أن ما جاء فى التوراة ينذر اليهود — ان هم عبدوا آلهة أخرى غير الله — بغضب الله ، فيمنع عنهم رحمته ، ويصب عليهم العذاب متمثلا فى أمراض تنتشر بينهم ، وفى اشاعة الفاحشة بينهم ، فيخرج جيل دعى زنيم ينتسب لغير أبيه ، لأن أمه أتت به من رجل أجنبى عن فراش الزوجية .

(٤) فى ج ، ت : « يكون » .

(٥) زيد فى « ج » و « ت » :

« ولا تفعلوا (وصحتها وقد فعلوا) ذلك ، فانه نص فى كتبهم ما كان =

ثم انهم فى المصحف المسمى عندهم « سفر صموئيل الثانى »[1] :

« أن داود عليه السلام اطلع من قصره ، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل فى دارها فعشقها ، وبعث اليها ، وحبسها أياما عنده حتى حبلت منه — تعالى الله عن قولهم — ثم ردها • وكان زوجها [وهو] يسمى « أوريا » غائبا فى العسكر ، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت [بخبره] الى داود ، فبعث داود الى يوآب قائده على ذلك المعسكر ، يأمره بأن يبعث اليه « بأوريا » زوج المرأة • فجاءه فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر ، وأمره بالانصراف الى أهله ليواقعها ، فينسب الحمل اليه ففهم « أوريا » المقصد[2] وتخابث عليه ولم يمش الى أهله ، وقال : حاشا الله

=

من خبرهم مع البلستيم (لعلة يقصد الفلسطينيين) ، وفى أيام دانيال وغير ذلك مما لا خفاء به ، ولكن سيقولون ان ذلك انما كانت علة البواسير التى ابتلى الله بها البلستيم ، وهم من الزنج فى اليوم الذى أخذوا فيه تابوت العهد ، فهذا محال ، الأن داود عليه السلام لما عظمت عليه المعرة الأبدية ، والتى حلت ببنى اسرائيل ، فنسب الى الله بزعمهم الخروج عن الاعتدال حين قال عنه — تبارك وتعالى : انتبه الله كالنائم غير محصل لما ينتحله ، وكمثل من لا يستثبت فى أفعاله . واعتبر أيضا بشاعة هذا القول المنسوب الى داود وفى الله تعالى ، فلو كانت تلك الداهية ، انما حلت بالبلستيم ، غير لم يعظم ذلك على داود ، الأنه ليس من البلستيم ، وانما هو من بنى اسرائيل . وأيضا فان داود قد قدم أن الله تعالى ترك فسطاطه ، الذى كان ابدا يسكنه ، ولم يكن للبلستيم فسطاط الله ، وقد قدم داود أن كوهانهم استوصلوا جميعا ، ولم يكن قط فى البلستيم ، كوهان . وايضا فان البواسير داء كالجذام والبرص ، ولا محالة أن الجزء من الجسد الذى يصدر عنه الزبل انما هو الاست ، الأنه خاف أن يظن السامع انه العين أو الأذن ، أو غير ذلك من الجوارح ، فخصه بذلك ، ثم قال : الجرب والحكاك الذى لا دواء له فتزوج زوجا يضاجعها غيرك .. اعتبر هذا الافصاح ، وكذلك لا يصلح بمأبون قطيم أن يكون غير قرنان زنيم . وهذا كله لا يدفع فيه احد ، وانما ذكرته لنبين ما نسبوا الى الله من القبائح فى كتبهم » .

(١) فى ج ، ت : « سفر ملاحيم » ، فى ع : « سفر الملاك الثانى » .
(٢) من ت ، وفى ج ، ع : ففهم الأمر أوريا .

أن يكون الملك هنا ، وأمشى أنا الى أهلى . فلما يئس داود منه رده الى العسكر ، وكتب الى القائد أن يصدر به فى القتال مستقتلا له ، فقتل « أوريا » ، وقتل معه من المؤمنين [1] سبعة آلاف .

وفزع القائد من داود لقتل ذلك العدد العظيم من المؤمنين ، وقال للرسول :

اذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ، ورأيته قد غضب[2] فقل له مسرعا : « أوريا » قد قتل فيهم .

ففعل الرسول ، وسكن داود بعد الغضب ، وسر بموت « أوريا » ، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين[3] .

[فانظر وتأمل هذه الصفات الموصوف بها داود ! هل توصف الأشرار والشياطين بأشنع من هذا ؟ كلا ان هذا لهو الضلال المبين][4] . وكتبوا[5] فى هذا المصحف :

أن « أمنون » بن داود عشق أخته « ثامار » بنت داود ، وتمارض فعاده أبوه ، فتمنى عليه طعاما ، تطعمه اياه أخته « ثامار » ، فبعث بها داود اليه ، فلما قربت اليه الطعام ، وضع فيها يده وافتضها[6] ، فخرجت

---

(١) من ت ، وفى ج ، ع : « من المسلمين » .

(٢) من ت ، ع ، وفى ج : « ورأيته قد خرج » .

(٣) راجع صموئيل الثانى ١١ : ٢ — ٢٦ .

(٤) هذه الفقرة من ع ، أما فى ج ، ت : « فاعتبر هذه الصفات الموصوف بها داود ! هل يوصف فروج المجرمين ، وقلوب الشياطين بأشنع من هذا » .

(٥) فى ج : « وكثيرا » أما فى ع فقد سقطت هذه الفقرة .

(٦) هكذا فى ج ، ت أما النص فى الكتاب المقدس فيقول : « . بل تمكن منها ، وقهرها ، واضطجع معها » .

باكية فلقيها أخوها الآخر ، شقيقها « أبشالوم »[1] ، فأخبرته ، فهون عليها . ثم بعد أيام[2] وثب على « أمنون » ، فقتله من أجل ذلك »[3] .

وكتبوا فى هذا المصحف : « أن « أبشالوم » بن داود ثار[4] على أبيه ، وأخرجه من قصره ودخل الى نسائه ، فوطئهن كلهن على أعين بنى اسرائيل [مبالغة][5] فى الانتقام من أبيه »[6] .

وكتبوا فى هذه المصحف عن سليمان بن داود : « أنه ختم عمره ، بعبادة الأصنام ، والشجر ، وسبت نساؤه دينه»[7] .

ومن أعجب الأشياء أنكم تقولون بالتوراة التى بأيدى اليهود الى اليوم وتدعون الايمان بها ، وتعيبوننا على مخالفتها ، وقد رأيت فى كتابكم من مناقضتها ما ذكرت بعضه فيما مضى من هذه الرسالة ، وفيما يأتى — ان شاء الله — من [تحويل][8] حلالها حراما ، وسبتها أحدا وختانها تغطيسـا .

وان من أعجب الأشياء ، دعواكم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،

---

(١) أما أمنون فهو أخوها لأب .

(٢) فى الكتاب المقدس : « ثم بعد سنتين من الزمان » .

(٣) راجع هذه القصة فى صموئيل الثانى ، الاصحاح الثالث عشر !

(٤) من ج ، ت والفقرة ساقطة من ع .

(٥) فى ج ، ت : « استيلاءا فى الانتقام » .

(٦) اقرأ هـذه القصة فى صموئيل الثانى الاصحاح الخامس عشر ، والسادس عشر .

(٧) جاء فى سفر الملوك الأول أن سليمان احب نساء غريبة ، فأملن قلبه لأصنامهن اللاتى كن يعبدنها ، فبنى لها معبدا .

(راجع سفر الملوك الأول ١١ : ١ — ١٣)

(٨) فى ج ، ت : « صرف » وسقطت الفقرة من ع .

وهم موحدون ، وأنتم تشركون بالخالق انسانا ، وكانوا مختتنين وأنتم لا تختتنون ، وأنتم القائلون : ان الهكم المعبود عيسى كان مختونا ، وكذلك الحواريون الاثنا عشر — وهم « شمعون » ، « وأندراوس » ، « ويوحنا » ، « ويعقوب » ، « وفيلبس » ، « وبرثو لماوس » ، « وتوما » ، « ومتى » العشار « ويعقوب بن حلفى » ، « ولباوس » ، « وسمعان » القانونى ، « ويهوذا » الأسخريوطى[1] — ثم سائر التلاميذ الذين صحبوه .

فتركتم الاقتداء بهم وبمن تقدم ذكره من الأنبياء ، ثم الأولياء ، وركنتم الى ما افترته [غواتكم ، وغيرهم][2] وما اختلقه قسطنطين ، واختلق له بعد ذهاب المسيح بما يقرب من ثلاثمائة سنة ، من أن يحيى سن التغطيس ، وغطس المسيح . وكتب ذلك فى أناجيلكم ، [وزيد][3] عليه من التحايل ، وغث الأقاويل بما يطول وصفه .

فكيف يرغب يحيى والمسيح عن شريعة شرعها ابراهيم ، وسن سنتها فى نفسه ، وولده ، ثم أقرتها التوراة ، واقتفتها الأنبياء عليهم السلام .

وأعجب أيضا من ادعائكم الايمان بالتوراة التى بأيدى اليهود الى اليوم حرفا حرفا . ثم رأيت[4] فى كتاب أحد مطارنكم [اذ] ينتقص موسى باتخاذه المرأة السوداء[5] . [وعندما] يجىء الى ذكر التوراة ،

---

(١) فى ج ، ت : « شمعون وايزرياش ويوحنا ويعقوب ، وملبش ، وترتكماوس ، وطرياش ويعقوب العالى وطثا الكنعانى ولوقا ومتى » .
ويبدو أن فى بعضها تحريفا ، كما أضيف اليها اسم « لوقا » ، ولم يكن من تلاميذ المسيح الاثنى عشر . (راجع متى ١٠ : ٢ — ٤)

(٢) فى ج : « الانه » ، وفى ت : « ولانه » .

(٣) فى ج ، ت : « وجىء » والفقرة ساقطة من ع .

(٤) فى ج : « سم رأيته »

(٥) نص التوراة : « **وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها** » . (عدد ١٢ : ١)

قال عنها : العجوز القبطية ، المتمزقة الفرج ، القحباء التى أعارت فرجها لخلانها الفلسطينيين ، ذوى الفعلات الحمارية •

ثم لا يذكر التوراة فى سطر من كتابه الا أعاد عليها هذه النعوت القبيحة ، وذكر هذه المعاير التى قدمت آنفا ، حققها على اليهود(*) بأطول حديث مما ذكرته •

وأما الانجيل الذى بأيديكم ، فحسبى ما قدمت من ذكره فى هـذه الرسالة • فاذا كان هـذا حال توراتكم ، وأناجيلكم ، وسائر الصحف المنزلة عند اليهود أئمتكم وعمد ملتكم — ولا محالة أن هـذه الكتب قطب شرائعكم ، وأصل ديانتكم — فكيف حال سائر أحاديثكم مما تناقلتموه بينكم من الآثار ؟ ، ولولا الأدب والحياء لكنت أورد عليك بعضا من تلك القبائح ، والمستحيلات التى هى أشهر من أن تذكر ، ولكن فيما مر عليك الكفاية ، وأنت أعلم بباقى الخرافات ، والناس أجمعون —[1] •

***

[الرد على الشبهة الخامسة]

وكيف يلتفت الى قولكم عن مريم ، أم المسيح أنها بنت يعقيم ؟ تضاهون[2] بذلك قولكم فى ابنها ، حين اختلفتم فيه ، وفى خطيب أمه ، يوسف ، فبعضكم قال : يوسف بن هالى ، وبعضكم قال : يوسف بن يعقوب •

واليهود قالت : يوسف بن يهوذا[3] ، وبعضهم قال : يوسف النجار وبعضهم قال : يوسف الحداد •

(*) من ت ، وفى ج : « الحديث » •

(١) هذه الفقرة من ع • وسقطت من ج ، ت •

(٢) من ع ، ج • أما فى ت : « تظاهرون » وليس بسديد ، لأن معنى مضاهاة : مشابهة الشىء بالشىء • وهو أقرب الى النص •

(٣) هكذا فى ج ، ع ، أما فى ت : « ... يهوه » •

ومثل هذا علمكم بمريم وابنها .

أخبرني !

من أين حصل لكم العلم بالمسيح وأمه ؟

ان قسطنطين بن هلانة ، الذى تعبدكم(*) به ، وذكره لكم لم يكن يعلم : ما معنى مسيح ! ولا ما هو ! ولا من هو !

وانما حمله على ذلك نفر من أحبار اليهود ، لا خلاق لهم ، على [نحو] ما تقدم ذكره فى هذه الرسالة .

ثم من أين نسب الينا اعتقاد أم المسيح أختا لموسى وهارون ؟

وما عندنا ريب فى أن أم المسيح ، انما هى ابنة عمران بن متان بن أليود،بن أخيم بن صادوق،بن عازور،بن ألياقيم ، بن أبيهود،بن زربابل ابن شألتئيل ، بن يكنيا بن يوشيا ، بن آمون ، بن منسى ، بن حزقيا ، ابن أحاز ، .... ابن يهوذا ، بن يعقوب بن اسحاق ، بن ابراهيم عليهم السلام(1) .

وأما مريم الأخرى ، التى هى أخت موسى وهارون ، فهى ابنة عمران بن [يصهر بن] قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب بن اسحاق ، بن ابراهيم عليهم السلام .

(*) يقال تعبده : دعاه للطاعة ، أو اتخذه عبدا ، أو عامله كعبد له .

(1) فى ج ، ت تقديم وتأخير فى سلسلة النسب ، وكذلك تحريف فى بعض الأسماء ، وقد رجعنا فى تصحيحها الى انجيل متى فى الاصحاح الأول الذى يتحدث متى فى أوله عن شجرة نسب يوسف خطيب مريم ، اذ لم تذكر الأناجيل ولا غيرها من الكتب المسيحية نسب والد مريم ، غير أنه جاء فى أساطيرهم أنه يؤاخيم بن متان . فهل هو متان والد يعقوب ــ كما ذكر انجيل متى ــ وجد يوسف ، يحتمل ! وبناء عليه يكون يوسف النجار ابن عم مريم ، وقد ذكر المؤلف نسب يوسف من أول متان ــ على أنه نسب مريم .

وأم المسيح من سبط يهوذا • وهذه [أى مريم أخت موسى وهارون من سبط لاوى ، وأم المسيح دخلت بيت المقدس وهذه] لم تدخل قط بيت المقدس ، وانما خرجت مع أخيهـا موسى من مصر ، وماتت فى برية سـيناء •

وهى عند اليهود ، نبية بنص التوراة[*] وأم المسيح عندهم ملومة ، مقذوفة بالسوء •

وأما ما سمعته ، أو رأيته فى كتابنا من قول اليهود لأم المسيح :

« يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »[1] •

فان قولهم ، ذلك ، انما هو على وجه السب لها ، لأن هارون هـذا عنوا به رجلا عاهرا [كان عندهم] ، يستكثر من البغايا ، وعظيم الشهرة عندهم فى ذلك الزمان ، يسمى هارون[2] •

وأما أن يكون هارون فى هذه الآية كما زعمتم ، فهذا غاية الجهل ، لأن الذى بينهما من الزمان ألف وخمسمائة سنة[3] •

فكيف يجوز أن يتوهم أحد هذا[4] ؟

* * *

(*) خروج ١٥ : ٢٠ • (١) مريم : ٢٨ •

(٢) جاء فى هامش الصفحة فى ت : قوله « انما عنوا به السب الخ » أقول : ان الجلال المحلى فى تفسير سورة مريم قال : انما هو رجل صالح ، اشتهر بالعفة ، فيكون انما عنوا به المدح ، وأن ذلك الرجل الصالح كان فى ذلك الزمان يسمى هارون • وهذا هو المناسب واللائق رضا من كلماته بالأصل وقلت أيضا : أسلوب الخطاب يقتضى المدح ، وهو المتبادر للفهم •

(٣) فى ج ، ت : « لأن الذى بينهما الف سنة ، وستمائة سنة وزهاء اربعين سـنة » وفى ع « لأن الذى بينهما من الزمان الف وستمائة سـنة ، وأربعون سـنة وكسور • وكلا التعبيرين غير صحيح ، لأن موسى كان قبل الميلاد بحوالى ١٥٠٠ سـنة • (انظر Nölle S. 359) •

(٤) انظر المهموشة رقم ٤ فى ص ٨٧ •

[الرد على الشبهة الثانية]

وأما استدلالك على باطلنا بما فى كتابنا ، من نكاح مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فحسبى هذا الاستدلال شهيدا على تخلفك ، فان الذى أمرنا الله به من النكاح ، وسن لنا من الطلاق ، ليس للعاقل انتقاده ، لأن قبولنا لذلك ، وما أشبهه ، انما هو بعد ثبوت الأصل .

وانما الأصل أن نتحقق نبوة الشارع ، ونتبين صدق رسالته ، بشواهد آياته الباهرة ، ومعجزاته الطاهرة .

فاذا أردت النظر فى هـــذه الفروع بانتقاد ، فهلم أريك عجبا !

ألستم قد اتفقتم معنا [على] أن نكاح الرجل عمته من سوء الأفعال ؟

وهذه « يوكابد » أم موسى ، كانت عمة والدة عمران[1] ، وعمران من فضلاء المؤمنين .

وكذلك الجمع بين الأختين بنكاح من مقبحات الشرائع أيضا !

وقد علمت أن اسرائيل جمع بينهما[2] ، فما بال عيناك أبصرتا فى كتابنا شيئا ، وعميتا عن الأكبر منه فى كتابك !

أما انك لتراه ، ولكن رضاك عن فاعليه ، وبصيرتك فى أنهما محقان ، منعك من انتقاد ما فعلاه .

وكذلك الأمر فيما شرع لى كتابى[3] ، وانما يتقدم النظر فى الأصول التى هى آيات صدق الرسول .

---

(١) خروج ٦ : ٢٠ .　　　(٢) تكوين ٢٩ : ١٥ — ٣٠ .

(٣) انظر الرد على الشبهة فى المهموشة رقم ٤ ص ٧٩ .

وأما هذا الذى اعترضت به منكرا ، فجهل[1] قد استولى عليك ، والله يهديك ويرشدك .

ولو كان الله أمر — كما زعمت — بالاقتداء بآدم فى تزوجه بامرأة واحدة ، فهل علم بذلك ابراهيم ؟ وما أراه الا تزوج وتسرى فى وقت واحـدة[2] .

ولوط عليه السلام ، زعمت أنه فتك بابنتيه ، فحبلتا منه بموآب ، وعمون . نستغفر الله من قولكم .

ثم ان اسرائيل ، قد كان عنده عدة أزواج ، جمع فيها بين الأختين .

وهذا كله منصوص فى توراتكم . وكذلك من بعدهم من الأنبياء عليهم السلام الى دواد ، وسليمان ، فقد علمتم مناكحهم[3] .

وهل اقتصر آدم على واحدة الا من ضرورة العدم عند بدء خلق البشر ! ولهذه الضرورة زوج ابنه ابنته ، فيجب [بناء] على مذهبك الاقتداء به ، فينكح الرجل أخته ، فأنت القائل لذلك الهذيان ، تعيب به من خالف توراة اليهود .

ثم انك — مع ادعائك الايمان بها حرفا حرفا — مخالف لها أشنع الخلاف ، ماح لعقائدها ، مبدل لأحكامها ، فمن حلالها نكاح بنت الأخ والأخت ، وأراكم تأنفون من ذلك مثل ما نحن قد أنفنا منه[4] .

ومن محرماتها الخنزير : والدم ، والجمل ، والشحم وغير ذلك مما هو مشهور ، وأنت قد أرسلت عليها ضرسك ، ونشرت لها بطنك ، الى غير ذلك من مخالفتك اياها .

* * *

(١) هكذا فى ج ، ع أما فى ت : « فبخلل » .
(٢) انظر تكوين ١٦ : ١ — ٣ .
(٣) انظر صموئيل ٢٥ : ٤٣ ، الملوك الأول ١١ : ٣١ .
(٤) يقصد بذلك التحريم .

[الرد على الشبهة الرابعة]

وعجبى من تعجبك ، اذا رأيت فى كتابى آية القتال :

« وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل »[1] .

وقولك لى : ان فى التوراة نقيض ذلك فى قوله :

لا يكون قتال بين بنى آدم ، فالقاتل والمقتول فى النار[2] .

فأخبرنى ! كيف استجاز موسى عليه السلام — بعد ما أنزل الله عليه هذا — أن يحارب أعداءه من أهل مدين ، وولد عملاق ، ويطلبهم فى ديارهم ، ويناوشهم مع أن مدين[3] كانت تستحق منه جزاء جميــلا على احسانها ، حيث كانت آوته عندها[4] ؟

فلتعلم أيها المغرور أنك قد ذممت النبى موسى صلى الله عليه وسلم ، وجعلته غير مطيع لربه .

ولا محالة أن موسى عليه السلام لم يحارب مدين ، وولد عملاق ومن شاء الله أن يحارب — ولو كان فيهم أبواه وولده — الا ممتثلا أمر ربه بذلك ، لا يمكنه خلافه ، من حيث هو نبيه المرتضى ، ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) التوبة : ١١١ .　　　(٢) ارجع الى ص ٨٥ .

(٣) هكذا فى ع ، أما فى ج ، ت : « وأما مدين ... » .

(٤) يشير بذلك الى ما جاء فى القرآن الكريم ، من أن موسى خرج من مصر خائفا بعد أن قتل المصرى ، فلجأ الى مدين ، حيث اقام مع شعيب ، يرعى غنمه فى مقابل أن يتزوج احدى ابنتيه .(اقرأ سورة القصص:١٥—٢٨) .

[النسخ فى التوراة والانجيل]

ثم قلت فى كتابك :

« لأن النسخ مقدمة من مقدمات شريعتنا ... » .

وهذه لهجة منكر للنسخ[1] ، كأنه غير معروف فى سبل الأنبياء عليهم السلام ، ولا معمول به[2] فى نحلها ، ولا منصوص فى التوراة ، وسائر الكتب التى بأيديكم !!!

ففى التوراة التى بأيديكم ، وأيدى اليهود ما فيها :

من ذكر السبت ، وتحريم العمل ، والحروب ، وغير ذلك من الأشغال[3] والسبت آكد فروض التوراة ، وأهم لوازمها .

ثم قال فى آخر التوراة لهارون :

« ... وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمة مع سكيبة .... »[4] .

وهذا عمل طويل ، وشغل ممتد من ذبح ، وسلخ ، وتفصيل ، وعجن السميد ، وتقريصه بعد اللت بالزيت .

---

(١) فى ت : « تعيبه منكرا للنسخ » ، وفى ع : « نفثه منكر للنسخ » ؛ وفى ج : « مسه منكر . النسخ » بدون نقط الكلمة الأولى .

(٢) كذا فى ع ، أما فى ج : « ولا معمول عليه » ، وفى ت : « ولا معول عليـــه » .

(٣) ارجع الى : خروج ١٦ : ٢٩ ، ٢٠ : ٨ — ١٠ ، ٣٠ : ١٤ — ١٥ ، ٣٦ : ١ — ٣ ، والى العدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦ .

(٤) العدد ٢٨ : ٩ .

وفى التوراة أيضا يأمرهم بطاعة « يشوع »[1] ، ثم يأمر « يشوع » بمحاربة أريحا فى جميع الأيام المتصلة ، وأمره بتضعيف المحاربة ، يوم السبت ، وأن يتسور فيه على أريحا مع الكهنة ، وسائر العسكر ، [وأن يدور دائرة المدينة] سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال فى نص التوراة : **« قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس . تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب . حول المدينة مرة واحدة . هكذا تفعلون ستة أيام . وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت . وفى اليوم السابع تدور دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق ... »** الخ[2] .

فاعتبر ، ففى التوراة الناسخ والمنسوخ أوضح من الصبح لذى عينين!!

وأخبرنى ان كان النسخ منكرا قبل نزول القرآن ، فكيف جاز لكم أن تصرفوا الختان تغطيسا ، والسبت أحدا ، وهما من فروض التوراة ؟

وبم[3] حرمتم حلالها وحللتم حرامها على ما تقدم شرحه ؟

ألم يقل المسيح فى الانجيل الذى بأيديكم معرضا بما قالت التوراة : **« قد سمعتم أنه قيل للقدماء ... من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى .... »**[4] .

أما بلغكم أنه قيل للأولين كذا ، وأنا أقول لكم كذا .. [وذكر]

---

(١) راجع العدد : ٢٧ : ١٨ — ٢٣ .

(٢) يشوع ٦ : ٢ — ٤ .

(٣) يريد المؤلف أن يقول : على أى أساس آخر حرمتم حلالها وحللتم حرامها ، اذا لم يكن ذلك على أساس النسخ ؟

(٤) متى ٥ : ٣١ .

جملة من الأوامر والنواهى — وقد ذكرتها فيما تقدم من هذه الرسالة — ينسخ فيها حكم التوراة[1] .

أخبرنى أيها المخدوع !

كيف جاز لكم مع هذا أن تقولوا :

ان شريعة الانجيل ليست ناسخة لما شرعته التوراة ، وانما متممة لها ؟ هذا تنكيس بالألفاظ عن موضوعها ، أن تسموا التبديل تتميما !

وهل التتميم الا استيفاء الشيء واحكامه مع اقراره على ما كان عليه ؟

وأما الانجيل فقد أذهب حكم التوراة ونسخها كما نسخ القرآن ما قبله .

* * *

[حقيقة ما يظهر فى الكنائس من خوارق العادات]

وأما قولك لى :

« ان فى ملتكم صلحاء يظهرون براهين وقت الحاجة ... » .

فنعم هى البراهين الساطعة !!! قد علمتها سرا وجهرا ، ولقد كنت عزمت على أن أضرب صفحا ، عن التكلم فى هذا البحث المخجل ؛ ولكن تسلسل بى القول الى ذلك ...

فأذكر لك الآن بعض ما تيسر منها ، لأضحك عليكم الثكلى فأقول :

ان حذاقكم ، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبنى عليها ، ولا أصل يرجع اليه ، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة ، وأباطيل مزخرفة ، وضعوها فى الكنائس والمزارات :

---

(١) راجع متى ٥ : ٢١ — ٤٨ .

فمنها ما وصف لى عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم ، أن يد الله تخرج لكم فيها ، فى يوم واحد ، معلوم من السنة من وراء ستر ، وسرها خاف عنـكم ، وأنا أكتشـفه لك[1] ، فقد حكى لى من أثق بصـدقه وقريحته ، أن رجلا من اليهود كان قد حظى عند أحد رؤسائكم بالأندلس بوصلة ، كانت بينهما ، يرعاها الرئيس له .

فكان قد رغبه[2] فى الخروج عن دين اليهودية ، الى دينه ، وقال له : ألا ترى هذه الأعجوبة ، ظهور يد الله لنا فى يوم معلوم من السنة ؟

فقال له اليهودى : يامولاى ! أنا قد رضيت فى هذا الأمر بشهادتك ، وصدقتك فيما سوف تروى لى ، فابحث عنه ! فان كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقا ، صبوت الى دينك .

فخالط الرئيس حينئذ الشك ، فلما دنا ذلك اليوم الذى تظهر فيه اليد ، سافر بحملته نحو المشهد ، وأخذ معه مالا[3] ، يهديه هناك ، فبرز اليه الأساقفة ، وقربوه لتقبيل اليد ، فلما ظهرت اليد له من وراء الستر ، وضع يده فيها ، ومسكها مسكا شديدا ، وقال :

والله لا أترك هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها .

فصاحوا به يقولون : اتق الله ! الآن تخسف بك الأرض ! !

الآن تقع عليك السماء ! !

الآن ترسل عليك الصواعق ! ! !

---

(١) فى ع : « ولا خفاء لديكم بهذا » ، وفى ج : « ولا حقا لديكم بهذا » ؛ وفى ت : « ولا يخفى لديكم فيها شىء » .

(٢) كذا فى ع ، أما فى ج ، ت : « رامه » .

(٣) فى ج ، ت ، ع : « وقرب مالا » .

فقال : دعوا عنكم هذا كله ! فان هذه اليد ، لا أحل يدى عنها ، حتى أعلم ، أحقا ما تصفون أم باطلا ! !

فلما رأوا الحاحه ، لم يبق معه منهم الا اثنان ، أسرا اليه القول ، وقالا : ما تبغى فى ذلك ؟ أرجعت عن دين آبائك ؟

قال : لا •

قالا : أتريد أن تحل ربطا ربط منذ ألف سنة أو نحوها ؟

قال : لا ! ومعاذ الله !! ولكنى أحب الوقوف على سر هذه اليد •

قالا : هى يد أسقف ، واقف دون هذا الستر •

قال : أحب أن أراه !

قالا : أنت وذاك •

فكشفوا له عن قس مجرود الخدين ، واقف وراء الستر ، فلما عاينه الرئيس أرسل يده ، وخرج الى عسكره •

فقال اليهودى : يا مولاى ! ما تأمرنى به فى دينى ؟

قال له : أنت ورأيك ، خرجت منه أو بقيت عليه ، فأنت المخير !!

ففهم اليهودى ، وسكت • ومن ذلك الوقت بطلت هذه الحيلة •

ومن ذلك أنهم وضعوا صورا من الحجارة ، اذا قرىء الانجيل عندها تبكى ، وتجرى دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الانجيل •

وحقيقة الأمر ، أن لها مجارى دقاق فى أجوافها ، متصلة من ورائها بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشماسة ، فيندفع المـاء فى تلك المجارى ، وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة الدموع •

وكذلك ما وصف لى من قناديل ، وصلبان عظام معلقة ، بين السماء

والأرض ، ولا تمس شيئا منها ، ولا يمسها شيء ، يمشي الناس اليها ، ويتعجبون من ذلك ، ويفسرون هذه الظاهرة بأنها من بركة هذا المكان ، وأنه برهان على عظمة هذا الدين ، اذ لم يوجد مثل ذلك عند غيرهم .

وليس فى ذلك معجزة ، ولا برهان على عظمة ملتكم ، لأن سبب وقوف الصليب فى الهواء وضع حجارة مغناطيسية فى ست جهات ، فوق الصنم ، وتحته ويمينه ، ويساره ، وخلفه ، وأمامه ، وقد ظهر ذلك عندما سأل أحد رؤسائكم يهوديا ــ كان يعمل كاتبا عنده ــ سؤالا حول هذه المعجزة ، فأعلمه اليهودى أنها حيلة ــ بعدما استوثق منه ــ فاستكشفه اياها .

فقال اليهودى : ان ذلك تمسكه أحجار المغناطيس من جهاته الست .

فأمر الرئيس أن يخلى له يوما ذلك المشهد ، فدخله وحده وأمر بحفر جانب واحد من الحائط ، فاستخرج منه حجرا من المغناطيس ، موازيا للصليب ، فمال الى جهة واحدة ، واستخرج مثله من الجانب الثانى ، فاضطرب الصليب ، ففهم الرئيس الأمر ، وانصرف ، فما رئى فيه بعد ذلك .

ومن ذلك كنيسة بالأندلس ، كان فيها ثريا[1] تقف على نحو وقوف الصليب المتقدم ذكره ، وينزل فيها نور يوقد فتيلها فى يوم من السنة .

فذكر ذلك لأحد أمراء بنى أمية بالأندلس ، فتعجب من ذلك ، وسأل عنه فأخبره رجل من أهل افريقية ، أنهم مدوا مع الحائط قصبة من حديد ، ضيق جوفها ، وابرزوا لها أنبوبا كسم الخياط ، موضعه موزون مع طرف فتيل الثريا .

ثم انهم فى ذلك اليوم يرسلون نار النفط فى القصبة متراكما ، حتى يخرج فى غاية القوة الى فتيل الثريا الذى هو فى زنةواحدة معه .

---

(١) كذا فى ع ، وفى ت و ج : « وكذلك وصف لى عن كنيسة الغراب بغرب الأندلس انه كان فيها ثريا » .

ووصف الافريقى مع ذلك حيلا ودهاء ، وذكر ما ذكر فى وقوف الصليب • فاجتاز الأمير على تلك الكنيســة فى احدى غزواته ــ وقــد دنا يومها فتذكر ذلك ، فدعا الافــريقى ، فعــاين معــه ما يفعلون ، فأعجبه ، وسأل الافريقى كشفه ، فعمد الى الحائط ، فاستخرج منها قناة من النحاس الأصفر ، على نحو ما كان ذكر •

ثم عمد الى سماء الثريا ، فأخرج منها حجرا كبيرا من المغناطيس ، فسقطت وأمر الأمير عند ذلك بأن يعاقب القسيسون •

وكمثل ما تصفون لنا عن نزول مريم من السماء على «دون اقريس»[1] المطران بكنيسة «طليطلة» ، وأنها كست رأسه بتحلية ، وجسمه بثياب مزينة ، وكان ذلك فى ليلة النصف من شهر أغسطس ، فتعظمون تلك الليلة تعظيما بليغا الى اليوم •

أخبرنى أيها المغرور عن نزولها التى تصفه !

هل كان باذن زوجها أم بغير اذنه ؟

فان قلت : باذنه ، فكيف يجوز عليه أن ينزلها الى ملائكته وعبيده ، فيمتهن زوجته ، وأم ولده ــ كما تقولون ــ بارسالها ؟

وان كان نزولها باختيارها هى ، لا باذن زوجها ، فكيف ينبغى أن يكون الله قد اصطفاها ، واختارها زوجة له ، وأم ولده من بين نساء بنى آدم ، فتخونه ، وتنزل بغير اذنه الى رجل من جنسها بكسوة ، وتحلية وثياب مزينة ؟

ما ذاك الا لأنها تعشقه !!! سبحان الله عما يصفون ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا •

وكمثل ما تدعون فى زيتونة وادى آش ، وتزعمون فى توقف فى

---

(١) كذا فى ج ، وفى ت : « دنقوش » والفقرة كلها ساقطة من ع •

«أوجاسانت دى مينقوا »(*) ، وكنيسة مكناسة ، ووادى بسطة ، والنور الجديد الذى فى عيدكم ، والنور الذى ينزل ببيت المقدس ، الى غير ذلك من الهذيانات ، التى لا تجوز الا عليـكم ، ولا يتعبد بها من جهـال العـالم غيركم .

* * *

[مكان البيت الحرام فى الكتب المقدسة](1)

فالحمد لله الذى طهر الاسلام من هذه الأوصاف ، وأغنى المسلمين عن مثل هذه النقائص ، بما هو أوضح دليلا من النهار ، ولا [يقع الا] بفعل الله تعالى ، [ومن أمثلة ذلك ما فعله] بأبرهة الأشرم ملك الحبشة(2) وفيله المسمى محمودا(3) ، وذلك فى العام الذى ولد فيه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أبرهة النجاشى قد قدم نحو مكة فى جيوشه من الحبشة ، ليهدم البيت الحرام ، فعرض الله عليهم قدرته ، بأنه أرسل عليه وعلى جنوده — يوم أطل على البيت — طيرا من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منهـا ثلاثة أحجار ، يحملها فى منقاره ورجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب واحدا منهم الا هلك(4) وأصيب أبرهة النجاشى فى جسده ، فسار وهو يسقط أنمله أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعها قيح ، وصديد حتى لحق بصنعاء اليمن فمات فيها .

(*) كذا فى ت ، وفى ج : « ارحى ست دفيقه والفقرة ساقطة من ع .

(1) سقط هذا الفصل من ع .

(2) لم يكن أبرهة ملك الحبشة ، بل كان عاملا له على اليمن .

(3) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٢ ص ١٧٣ .

(4) هذا هو رأى الجمهور ، ويرى بعض الباحثين أن الذى أصاب جيش =

. . . .

=

أبرهة انما هو وباء الجدرى ، تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ؛ وكان فتكه ذريعا لم يعهد من قبل قط ، واعتمدوا فى ذلك على رواية لابن اسحاق حيث يقول :

حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام (أى عام الفيل) .

ويفسر أصحاب هـذا الرأى ظاهرة الفتك بجيش أبرهة بأن جراثيم الجدرى جاءت مع الريح من ناحية البحر ، وأصابت العدوى أبرهة نفسه فأخذه الروع وأمر قومه بالعودة الى اليمن ، وفر الذين كانوا يدلونه على الطريق ، ومات منهم من مات ، وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ؛ ورجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب ، وبلغ أبرهة صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض ، فلم يقم الا قليلا ، حتى لحق بمن مات من جيشه !

وهذه الدعوى تشتمل على عنصرين :

١ — أن ما نزل بجيش أبرهة هو وباء الجدرى .

٢ — أن الريح حملت هذا الوباء من ناحية البحر .

والعنصر الثانى ليس مقبولا .

نقلا ، لأن القرآن الكريم أخبرنا بأن الطير رمتهم بحجارة من سجيل ، فوقع لهم ما وقع : ((**وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول**)) . (الفيل : ٣ — ٥)

ولا واقعا ، لأن الريح اذا كانت قد هبت على المنطقة حاملة الوباء ، فلم أصاب جيش أبرهة ، ولم يصب قريشا مع أنهم كانوا فى مهب هـذه الريح أيضا ؟

وما قيل من أن الأعراض التى ظهرت فى جيش أبرهة — من تساقط الجسم وظهور القيح والدم — هى أعراض الجدرى ، لا يصح دليلا على أن الرياح هى التى حملت الوباء ، وليس الطير ، لأن مرض الجدرى — اذا سلمنا بأنه هو الذى أصاب جيش أبرهة — ينتقل الى الشخص بالملامسة ، فالطير رمت الأحجار التى تحمل الوباء على الجيش ، فانتقلت العدوى الى الشخص بمجرد أن مس الحجر جسمه ، ولمـا كانت قريش بعيدة عن مرمى أحجار الطير ، ولم تقترب من جيش أبرهة ، فقد سلمت من الوباء » .

(قارن : ابن هشام جـ ١ ص ٣٥ المودودى : تفهيم القرآن جـ ٦ ص ٤٦٧ ، وهيكل ص ١٠٢) .

وذكرت الحبشة أنه ما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ، وأنزل الله فى ذلك قرآنا باقيا الى اليوم ، قوله سبحانه :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول »[1] .

وفى ذلك يقول نفيل بن حبيب[2] — وكان أسيرا فى أيدى الحبشة ، فأفلت منهم فى ذلك اليوم ، وجعل ينظر الى ما نزل بهم — يقول شعرا :

أين المفر والاله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب[3]

أخبرنى أيها المخدوع المغرور !

لم فعل الله ذلك ، وقد كان النجاشى وجيشه — يومئذ — نصارى ، أقرب الى أمر الله من أهل مكة ، لأنهم كانوا عبدة الأوثان ، وكانت الكعبة — حينئذ — مقر الأصنام ؟

أما انك ، ان عدت الى الحق ، لترين أن ذلك ، انما فعله الله آية لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكعبة الله ، البيت الحرام ، مقام ابراهيم وحجة لمن عبد الله تعالى ، بتعظيم ذلك البيت[4] ، واقامة فرض الحج اليه .

---

(١) سورة الفيل .

(٢) هو نفيل بن حبيب الخثعمى ، شاعر جاهلى يلقب بذى اليدين ، جمع قومه من قبيلتى شهران وناهس ، ليقف فى طريق أبرهة ، حينما كان متوجها الى مكة ، ووقعت بينهما معركة ، انهزم فيها نفيل وأخذ أسيرا ، فأجبره أبرهة على أن يكون دليلا له فى زحفه على مكة .

(٣) روى أنه انشد أيضا فى ذلك اليوم :

ردينة لو رأيت ولا تريه لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

(٤) كذا فى ج ، وفى ت : « وحجة اذ جعل الله تعالى لها لتعظيم ذلك البيت » .

قال أشعياء النبى[1] : « ابشرى ، واهتدى أيتها العاقر التى لم تلدى ، وانطقى بالتسبيح ، وافرحى اذا لم تحبلى ، فان أهلك سيكونون أكثر من أهلى »[2] .

فعنى فى مخاطبته : « مكة »

فهو يشبهها بالعاقر من النساء التى لم تلد ، اذ[3] لم يبعث من مكة ـ من بعد زمن اسماعيل ـ نبى الا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز أن تكون العاقر القدس ، لأنها كانت مقر الأنبياء .

وقوله : « فان أهلك سيكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله : أهل بيت المقدس .

وقال أشعياء أيضا فى صحفه التى بأيديكم : « وأرفع علما لجميع[4] الأمم من بعيد ، فيصرفهم من أقاصى الأرض »[5] .

وقال أشعياء أيضا : « سأبعث من الصبا قوما ، فيأتون من الشرق أفواجا ، كالصعيد كثرة ، ومثل الطيان الذى يدوس الطين برجله »[6] .

يصف بذلك اسراعهم من أقاصى الأرض الى حج البيت ، ويصف الهـرولة .

---

(1) استشهد المؤلف فى هذا الفصل بفقرات متعددة من سفر أشعياء ، غير أنه لم يلتزم النص الحرفى لها ، بل عبر عن مضمونها باختصار ، ولم نثبت النص الأصلى فى المهموشة ـ بل اكتفينا بالتخريج فقط ـ لطوله ، فالفقرات التى أوردها المؤلف هى تلخيص لجزء كبير جدا من هذا السفر .

(2) أشعياء ٥٤ : ١ ـ ٢ .

(3) فى ج ، ت : « وكذلك لم ... » .

(4) كذا فى ت ، وفى ج : « بجميع » .

(5) كذا فى ج ، وفى ت : « فيبقى به من اقاصى الأرض » والنص مختلف فى اللفظ عما فى سفر أشعياء ٤٩ : ٢٢ .

(6) قارن أشعياء ٤١ : ٢٥ !

وقال أشعياء عن الله تعالى : « قد أقسمت بنفسي — كقسمي أيام نوح ، أن أغرق الأرض بالطوفان — كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ، ولا أرفضك . وان الجبال تزول ، والآكام تتزعزع[1] ، ورحمتي عليك لا تزول » .

ثم قال : « يامسكينة ، يامضطهدة ! ها أنذا أبني بالأثمد حجارتك[2] ، ومزينك بالجواهر ، ومكلل باللؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافي ، ومن الضعف فلا تضعفي ، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك ، وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة تفلجين[3] ، ويسميك الله اسما جديدا »[4] .

وكل ذلك كان : كان اسمها الكعبة ، فسماها الله المسجد الحرام .

[ثم يقول أشعياء] : فقومي ، فاشربي ، فانه قد وري زندك[5] ، ووقار الله عليك ، انظري بعينيك حولك فانهم يجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عدوا ، فحينئذ تسرين ، وتزهرين ، ويفرع عدوك ، ويتسع قلبك ، فكل غنم قيدار تجتمع اليك ، وسادات « نبايوت » تخدمك ، وتفتح أبوابك دائما [في] الليل والنهار ، فلا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب »[6] .

---

(١) في ج : « وان الجبال تزول ، والبلاع تنحط » ، قارن النص الحرفي في سفر أشعياء : ٥٤ : ٩ — ١٠ .

(٢) في ج : « هأنذا بان بالجص حجارتك » ، وفي ت : « ها انا بان بالجص حجارتك » .

(٣) فلج فلوجا من باب قعد : ظفر بما طلب ، وفلج بحجته : أثبتها . وأفلج الله حجته : أظهرها .

(٤) قارن أشعياء : ٥٤ : ١١ — ١٧ !

(٥) كذا في ج ، وفي ت : « عضدك » .

(٦) أشعياء : ٦ : ٤ — ١٣ .

فقيدار ولد اسماعيل ، « ونبايوت » ولد اسماعيل أيضا !!
فأخبرنى !

متى كان ولد اسماعيل خدمة بيت المقدس ؟

وهل اتخذت مكة قبلة ، الا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم ؟

فاعتبر قول أشعياء يومئذ : « ستتخذ قبلة » وكفى بهذا دليلا .

وقال أشعياء أيضا : « ارفعى الى [من] حولك بصرك فستبهجين ، وتفرحين[1] من أجل أنه تميل اليك عساكر الأمم حتى تغمرك قطر[2] الابل الوابلة [3] ، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع اليك ، وتساق اليك كباش مدين ، ويأتى اليك أهل سبأ ، وتسير اليك أعلام قيدار ، ويخدمك رجال نبايوت »[4] .

يعنى يخدمونك : [أن] سدنة البيت يكونون من أولاد « نبايوت » . فاعتبر هذا الاطراد المتصل !

وقال أشعياء عن الله : « أعطى البادية كرامة لبنان ، وبهاء جبال الكرمال »[5] .

فالبادية : مكة ، ولبنان : الشام وبيت المقدس .

وقال أشعياء أيضا عن الله اثر ذلك : « وتنشق فى مكة وسط البادية

---

(١) كذا فى ج ، وفى ت : « وتبهجين » :

(٢) قطر : مضارع يقطر ، والمصدر : قطرا : قرب بعضها الى بعض على نسق ، يقال : قطر البعير الى البعير .

(٣) فى ج ، ت : « الموبلة » :

(٤) قارن الاصحاح رقم ٦٠ من سفر أشعياء .

(٥) فى النص الأصلى « بهاء كرمل وشارون » راجع أشعياء ٣٥ : ٢

قناة[1] ، وسواق فى أرض الفلاة ، وتكون الفيافى والأماكن العطاش ينابيع ، ومياها ، وتكون هناك محجة ، وطريق الحرم لا تمر به أنجاس الأمم ، والجاهل لا يضل[2] هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسـود ، ويكون هناك ممر المخلصين »[3] .

وقال أشـعياء عن الله تعالى فى مكة ، ويذكر الحجر الأسـود : « ها أنذا مؤسس [فى] صهيون [حجرا] ، وهو بيت الله ، حجرا مقره فى زاوية مكرمة ، فمن كان مؤمنا فلا يستعجل »[4] .

وتمادى فى ذكره فى كلام كثير هو بأيديكم الى اليوم .

وقال أشعياء عن الله تعالى أيضا : « لتفرح البادية العطشى ، ولتبتهج البرارى والفلوات »[5] .

لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان و [هو] كمثل حسن الدساكر[6] ، والرياض .

وقال أشـعياء أيضا ــ وقد وصـفها ــ : « ان الذئب والحمل يرتعان معا بها »[7] .

***

---

(1) كذا فى ت ، وفى ج : « وينشق فى البادية قناه » .

(2) كذا فى ت : وفى ج : « ولا يمر » والأصح ما فى ت ، لأن النص فى سفر أشعياء هو : « من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل » .

(3) قارن أشعياء : ٣٥ : ٦ ــ ٩ .

(4) قارن أشعياء : ٢٨ : ١٦ .

(5) قارن أشعياء : ٣٥ : ١ .

(6) مفرده : دسكرة ، وهى كلمة فارسية معربة : القرية العظيمة أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهى .

(7) قارن أشعياء : ١١ : ٦ .

[الرد على الشبهة الثامنة]

وأما اعتراضك [على ما نعتقده ، من أن فى الجنة] أكلا وشربا وغير ذلك من لذات الأجســام ، فان كان نفيك قولا واحدا(*) ، فانما ذلك منكم عتوا على الله تبارك وتعالى ، وعلى أنبيائه وكتبه ، بغير علم لكم ، ولا برهان .

ولكن [يجب علينا] الآن [أن] نبين ــ ان شاء الله تعالى ــ خلل ما ذهبت اليه بمقتضى سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

أما التوراة التى بأيديكم وأيدى اليهود الى اليوم ، فلا ذكر فيها للآخرة ولا لبعث ، ولا لحشر الأجساد ، ولا لشىء من أحوال القيامة .

وفى كتبكم : أن موسى عليه السلام لم يخبر بذلك(1) مخافة أن يكذبه بنو اسرائيل جملة واحدة ، فيرجموه ، لأنهم كانوا ينقضون أفعاله من

(*) فى ج : « فأما اعتراضك قولنا من الأكل والشرب وغير ذلك من التذاذ الأجسام فى الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة .. » وفى ت : « وأما قولك والاعتراضك قولنا بالأكل والشرب وغير ذلك من لذائذ الأجسام فى الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة .. » وفى ع : « وأما اعتراضك قولنا بالأكل أن يكون جملة واحدة » .

(1) ذكر الناسخ على هامش الصفحة فى ت : « قولهم : لم يخبر ، يقتضى أن موسى عليه السلام أوحى اليه بذلك ، وأمر باخفائه ، لقول الله سبحانه فى كتابه العزيز :

« والآخرة خير وأبقى . ان هذا لفى الصحف الأولى » .

(الأعلى : ١٧ ــ الى آخر السورة) .

وليس عندنا دليل يؤيد هذا الرأى ، ولذا نقول : يحتمل أن اخبار موسى عليــه السلام بالبعث سقط من كاتب التوراة ، ويدعم هــذا الرأى ما أثبتناه سابقا من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ، بل كتبها شخص جاء بعده بزمن طويل .

المعجزات ، ويختبرون أقواله[1] ويسيئون القول بكل ما يأتيهم به عتوا منهم على الله سبحانه وتعالى •

الا أن موسى بن عمران ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كلهم ، أخبروا العالم : أن الله خلق الأشياء ، وابتدعها مخترعا لها ، لا من شيء ، ولا على أصل متقدم •

وهذا مما اتفقنا جمعيا عليه ، فاذن [مما] لا شك فيه [أن] البعث وحشر الأجساد لا يتعذر ، لكونه من قدرة القادر ، الخالق ، فيبقى أبدا فى حكم الممكن ، لا فى حد الممتنع ••• الى أن أخبرنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم ، وهم الأنبياء •

أخبروا العالم — من بعد موسى — بالبعث ، وحشر الأجســاد ، وأحوال القيامة ، فتحققنا من ذلك • فاذن لا شك فى وقوع البعث وفى التذاذ الأجسام التى ستحشر مع نفوسها الأول ، وذلك ما أخبرنا به الذى قامت البراهين الضرورية على صدقه ، وأن الله بعثه نبيا من عنده ، فتحققناه ، لأنه كان قبل أن يخبرنا به الصادق فى حد الممكن عندنا ، وعند غيرنا من أجل المقدمة الأولى •

بل [هو] فى حد الواجب ، لأن الله تعالى خالق أنفسنا ، ورتب جواهرها ، وطبائعها الذاتية ترتيبا ، لا يستحيل [معها] البتة [أن] تتلذذ بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات على حسب موافقة تلك الجواهر [وهى] أنفسنا •

وهذا مما لا يدفع فيه أحد ، ولا شك فى أن النفوس هى المتلذذة بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات [من] الروائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطلوبة •

وكذلك هى المتألمة أيضا بضد ذلك من المكاره •

---

(١) كذا فى ت ، وفى ج : « ويتخيرون أقواله » والجملة ساقطة من ع •

وأن الحواس الجسدية هي المنافذ لوصول هذه اللذات الى النفوس ؛ وأما الجسد فلا حس له البتة •

فاذا اجتمعنا باتفاق على أن الله سيجمع يوم القيامة فى عالم الجزاء أنفسنا والأجساد المركبة لها ، ويعيدها كما كان [الحال] أول مرة [يلزمنا أن نصدق أنها ستذوق] هنالك من اللذات والآلام بما تستدعيه طبائعها التى لم توجد الا كذلك •

ألا أنه كما أن الأجسام أعيدت بعد الفناء بغير فساد ؛ ولا استحالة بقدرة القدير ، فكذلك ••• ذلك الطعام الذى هناك ، لم يعد بنار ؛ ولا يلحقه فساد ، ولا يتحال الى قذر ، ولا الى دم •

ولا يطرأ هناك تغير ، ولا موت • ولا شبه ذلك بقدرة القدير ، كما أخبرنا الخالق تبارك وتعالى بقوله :

« لا يصدعون عنها ولا ينزفون »[1] •

وكذلك تلك الثياب غير منخرقة بالنسيج[2] ولا تبلى ، ولا تفنى ، ولا تتغير •

وكما أن تلك الأجسام لا كدر فيها ، ولا خلط ، ولا دم ، ولا أذى ؛ فكذلك تلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا من حسد ، ولا من حرص ؛ ولا غير ذلك من أمراض نفوس[3] هذا الدار الفانية ، كما أخبرنا الخالق سبحانه بقوله :

---

(١) الواقعة : ١٩ •

(٢) فى ج : « منخرقة بنسيج » ؛ وفى ت : « منخرقات بالنسج » والجملة سقطت من ع •

(٣) فى ج ، ت : « من جبلات نفوس » وفى ع : « من مقبحات نفوس » •

« ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين »[1] .

ثم أقول [بالاضافة الى ذلك][2] : ان قدماء الهند ذكروا فى كتبهم [أن] فى الأفلاك ، والبروج ، ووجوه المطالع صورا وصفوها ، وذكروا أنه ليس فى العالم الأدنى صورة الا وهى فى العالم الأعلى[3] .

وهذا ايجاب من تلك الطائفة بأن هناك ملابس ، وأكلا وشربا[4] ، وأنهارا وأشجارا ، وغير ذلك .

وأيضا ، فان فى التوراة ــ التى بأيدى اليهود الى اليوم ــ [حديث] عن أكل آدم وزوجته من الشــجرة التى فى الجنــة ، وطردهما منهــا بسبب ذلك[5] .

وقال فى التوراة عن آدم : « ان الله نفاه من الجنة ليعمر الأرض التى خلق منها »[6] .

وتلك الجنة لم تكن بناء على ذلك فى الأرض .

وفى الانجيل الذى بأيديكم : أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح ــ وقد سقاهم كأسا من خمر ــ قال : « انى لا أشربها معكم أبدا حتى تشربوها معى فى الملكوت عن يمين الله »[7] .

---

(١) الحجر : ٤٧ .

(٢) فى ع : « خلاف ذلك » وهى ساقطة من ج ، ت .

(٣) هى فكرة افلاطون المعروفة بعالم المثل .

(٤) فى ج ، ت : « ملابس ومشارب ، ووطأ » ، وفى ع : « ملابس ومشارب ومآكل » .

(٥) كذا فى ع ، وفى ج : « فان التورية انتى فى الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك » ، وفى ت : « فان فى التوراة التى بأيدى اليهود انى اليوم النهى عن أكل آدم وزوجه من الشجرة التى فى الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك » .

(٦) نص التوراة : **« فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها »** . (تكوين ٣ : ٢٣)

(٧) والنص فى الانجيل يقول : **« واقول لكم انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هــذا الى ذلك اليوم حينما اشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى »** .
(متى ٢٦ : ٢٩ ، مرقس ١٤ : ٢٥)

وقال أيضا فى قصة الفقير الذى اسمه « لعازر » ، الذى كان مطروحا على باب الغنى ، والكلاب تلحس قروحه ، وان ذلك الغنى نظر اليه فى الجنة متكئا على حجر ابراهيم الخليل ، فناداه الغنى وهو فى النار :

ياأبى ابراهيم ! ابعث « لعازر » الى بشىء من ماء أبل به لسانى[1] .

وفى الانجيل أيضا[2] :

« ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم ، أنتم تطلبوننى ليس لأنكم

---

(١) كذا فى ج ، ت والفقرة سقطت من ع ، واليك القصة كما جاءت فى الانجيل : **« كان انسان غنى وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفها . وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروبا بالقروح . ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى . بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغنى أيضا ودفن . فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه ، فنادى وقال يا أبى ابراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب . فقال ابراهيم يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب . وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون الينا . فقال أسألك اذن يا أبت أن ترسله الى بيت أبى . لأن لى خمسة اخوة . حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا الى موضع العذاب هذا . قال له ابراهيم : عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال : لا ياأبى ابراهيم ، بل اذا مضى اليهم واحد من الأموات يتوبون . فقال له ان كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا ان قام واحد من الأموات يصدقون »** .
(لوقا ١٦ : ١٩ — ٣١)

(٢) جاء النص فى ج ، ت كما يلى :

« ام الجماعة قالت للمسيح بقفر ناوى : متى جئت الى ها هنا يا معلم ؟ فقال لهم : آمين آمين اقول لكم لا وكلتكم الخبز وليس لما رأيتم من العجايب ، فارغبوا فى طعام لا يفنى فى الحياة الدائمة » .

لذا أثبتناه فى الهامش ، ووضعنا مكانه نص الانجيل .

رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم • اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحيـــاة الأبدية »[1] •

وفى الانجيل أيضا أنه قال لتلاميذه فى وصية وصاهم بها :

« لتأكلوا[2] وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى[3] وتجلســوا على كراسى[4] تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر »[5] •

وقال أيضا لليهود : « ان كان موسى أطعمكم خبزا فى المفاوز ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا » يريد بذلك نعيم الجنة •

وقال أشعياء[6] :

« أيها العطاش جميعا هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا ، وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا »[7] •

وهذا كله يبين ما كفرت به ، ويوجب ما أنكرته فى كتابك •



---

(١) يوحنا : ٦ : ٢٥ — ٢٧ •

(٢) فى ج ، ت : « لتطعموا » •

(٣) فى ج ، ت : « فى ملك الله » •

(٤) فى ج ، ت : « على عروش حاكمين على اثنى عشر سبطا من بنى اسرائيل » • والفقرة ساقطة من ع •

(٥) لوقا : ٢٢ : ٣٠ •

(٦) ورد النص فى ت ، ج : « يامعشر العطاش ، توجهوا الى المـــاء الراوية ، فمن له فضة فليذهب ويأكل ويشرب ويأخذ من الجبن واللبن ، بلا فضة ولا ثمن » • وسقط النص من ع •

(٧) أشعياء : ٥٥ : ١ •

[الرد على الشبهة التاسعة]

وأما قولك :

« ان دين الاسلام فشا بالسيف والقهر ، ودين الصليب لم ينتشر بسيف ولا قهر ..... » .

فكأنك قد غفلت عمـا كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتـداء دينكم ، انما كان بأسباب القتال مع اليهود ، وكنتم تحرقونهم بالنيران ؛ وتغرقونهم فى البحار ، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان .

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثرا ، فان الدولة كانت لهم ، قد قتلوا الهكم على زعمكم ! ولم يترك بعده أكثر من اثنى عشر حواريا ، وسبعين مبشرا هاربين خائفين . ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتلة .

فلو التزمتم ما أوجبته عليكم شريعتكم بالمسالمة !!! لما قامت لكم قائمة ، وما بقى منكم باقية .

ولكنكم أقمتم دينكم برفض معالمه ، ونصرتموه بمحو آثاره والتزمتم القتل والقتـال ، فعصيتم فى الأول ، ومازلتم الى الآن على خـلاف ما أمركم به انجيلكم تعملون[1] .

ثم بصرف النظر عن هذا[2] .

فان كنت قلت ذلك لتعيب به الاسلام ، فانك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون ، ومن قبلهما ، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام . فانهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم ، وسبوا الذرارى وناوشوا الأعداء فى ديارهم كما هو مكتوب فى التوراة ــ وفى سائر الكتب

---

(١) راجع المهوشة فى ص ٩٥ .

(٢) الفقرة : « فكأنك قد غفلت ... بصرف النظر عن هذا » . سقطت من ج ، ت .

اديكم — وبينته فى قتال داود عليه السلام مع جالوت ، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر ، ولم يقدح ذلك فى صحة أديانهم[1] .

واذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال ، فنحن على تلك السنة سالكون ، وبها عاملون . فيكون من مناقبنا ، لا من مثالبنا ، ومن حسناتنا ، لا من سيئاتنا .

ومن هنا نعلم أن تعييبك لنا قد انعكس عليك ، فياليتك لم تقله .

وأما ان كنت تريد بذلك اظهار محاسن حالة الصلح التى أمركم بها الانجيل ، على حالة الجهاد التى أمر بها سيد النبيين ، فانك قد ظلمت ولم تدر ، وكفرت ولم تعلم ، ها هوذا انجيلكم — بين أيديكم — ناطق مصرح — كما قلت :

بالمسالمة ، والتزام التواضع والمذلة :

« لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خد الأيمن فحول له الآخر أيضا »[2] .

وأن تبعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد الى أن تقوم الساعة :

« ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . ومن سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .... أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم »[3] .

ومع ذلك كله ، فانا نراكم أشد الناس تكالبا ، وحرصا على القتل والقتال ، وبسط الأيدى بالاعتساف فى أقطار الأرض ، تقتلون النفوس ،

---

(١) أى أديان الأنبياء الذين حاربوا الكفار .

(٢) متى : ٥ : ٣٩ .   (٣) متى : ٥ : ٤٠ — ٤٤ .

وتسلبون الأموال ، وتعتقدون [أن] ذلك من أوثق أسباب السعادات ، وأعظم المقربات الى الله تعالى ، مع تحريم انجيلكم ذلك عليكم ، وايجابه الاستسلام لأعدائكم ، ومن استحل حرمات الله تعالى ، فهو أشد الناس كفرا بالله ، وكتبه ، وأحكامه .

وأما نحن فكتابنا قد أوجب علينا القتال ، فامتثلنا أمر خالقنا جل شأنه ، فكنا أولياءه ، ناصرين لدينه ، قائمين بحقه فى أرضه على خلقه ، سعداء ، شهداء ، أولياء ، أعزاء ، نناظر بالمعجزات الباهرة ، والبراهين القاطعة فندعو الى مكارم الأخلاق ، وننهى عن لئامها ، فمن اهتدى الينا ظفر بالسعادة ، وأسباب السيادة ، ومن أعرض عنا ، كان جديرا بالصغار ، والذل ، والعار .

لا ندعو الى عبادة الرجال ، ولا ربات الحجال ، ولا نعبد من أشبعته اليهود — على زعمكم — أنواع العذاب !

فأين السماء من الوهدان ؟

وأين الدخان من العسجد ؟

لقد أشرق الحق فى ديننا ، كما غاب عنكم الى الموعد[1] .

ولا يخفى عليك[2] أن سيد النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم ، لم يكن قبل ذلك ملكا ، فيقال : حمل رعيته على دينه .

ولا صاحب مال ، فيقال : استعان بماله ، ليجمع القوم على دينه[3] .

---

(١) سقطت الفقرة « وبينته فى قتال داود عليه السلام .. كما غاب عنكم الى الموعد » . من ج ، ت .

(٢) كذا فى ع ، وفى ج ، ت : « ولا خفاء » .

(٣) فى ج ، ت : « بذل ماله مصانعة دينه » ، وفى ع : « استعان بماله ... » .

وانما أتى قومه بخلع الأوثان ، وكسر الأصنام ، وعبادة الله وحده ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

و [أيده الله] بآيات ومعجزات ، خارقة للعادات تدل على صدق رسالته ، ونبوته •

ثم خصه الله تعالى بآية باقية الى اليوم ، وهى :

القرآن المجيد ! !

وانما جميع آيات الأنبياء قد ذهبت بذهابهم ، لم يختصوا ببقاء واحدة منها •

ولما بعثه الله ليدعو العالم اليه ، اتبعه جماعة من الناس ، سبقوا الى الخير ، ورغبوا عن الشرك والشر ، فعمد قومه اليه ، وعتوا على من اتبعه ، وعليه ، فآذوهم بالضرب الموجع[1] والنفى ، والعذاب ، والفتنة عن دينهم •

ومازال صلى الله عليه وسلم كذلك زهاء عشر سنين تقريبا يجهد نفسه فى اظهار أمر الله ، صابرا على أذى قومه ، لا يخفى نفسه ، ولا يستتر ، ولا يجزع وقد عمد اليه نفر منهم بالكعبة — ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه — فقالوا له : أنت الذى تسب آلهتنا وتسفه ديننا » •

ووضع أحدهم يده فى ردائه ، وضمه اليه ، وتحاملوا عليه : وهو يقول لهم : « نعم أنا الذى أقول ذلك » •

حتى أن صاحبه أبو بكر قام دونه وقال لهم صائحا[2] : « أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله »[3] •

---

(١) فى ج : « وآذوهم بالوجع والضرب » ، وفى ت : « وآذوهم بالرجم والبغى والضرب » .وفى ع « وآذوهم بالرجم والضرب » .

(٢) فى ج ، ت ، ع : « حتى أن صاحبه ترامى عليه ويصيح » .

(٣) انظر ابن هشام ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨ .

ولم يكن صلى الله عليه وسلم بالذى يضعف ويجزع من شىء حتى أفشا دين الله فى الأرض ، وجعل أصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى •

وكان قومه حين اتبعوه ليؤذوه ، ودخل فى المغار قال له صاحبه : « لو أن أحدا يبصر ما تحت قدمه لأبصرنا » •

قال له : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما »[1] •

لا كما كتبتم فى الانجيل عن المسيح عليه السلام ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه صاح : « جزعت نفسى الآن ، فماذا تقول يا أبتاه ، فسلمنى من هذا الوقت »[2] •

وأنه حين أخذ ـــ بزعمكم ـــ كان القواد يقولون له : « هل أنت المسيح ابن الله ؟ » •

فيقول لهم « أنتم تقولون : أنى هو ! »[3] •

وفيكم من يوافق اليهود فى قولهم ، أنهم حين بحثوا عنه ، أخفاه بستانى فى جنته تحت وعاء الزبل ••• الى آخر هذه الحكاية الفاجرة والكاذبة [وهى] حديث المبغضين •

وبعد ، فان بشارات الأنبياء فى كتبهم تنطق أن سيد النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم ، يأتى بالسيف فى جملة أوصافهم له ، وقد ذكروا من ذلك ما تأتى ذكره ، حتى أن أشعياء أخبر عن هزيمة العرب ، وقتل أشرافهم فى بدر وغيرها ، فقال : « يدوسون الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب وينهزمون من أيد [بها] سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة »[4] •

---

(١) الطبرى : جامع البيان ..... جـ ١٠ ص ٩٦ •
(٢) قارن متى : ٢٦ : ٣٨ ـــ ٣٩ •
(٣) قارن متى : ٢٦ : ٦٣ ، لوقا ٢٢ : ٧٠ •
(٤) قارن أشعياء : ٤١ : ١ ـــ ٤ ، ٢١ : ١٠ ـــ ٤ •

وكذلك قال المسيح فى الانجيل لتلاميذه :

« حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ، ولا أحذية ، هل أعوزكم شىء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا »[1] .

فأمرهم بشراء السيوف بعد أن كان [قد] نهاهم عن القتال ، لعلمه أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيبعث بعده بالسيف .

ومثل ذلك من ذكر السيف فى مواضع كثيرة !

وأما دين الصليب الذى أنتم عليه ، فانما أفشاه « قسطنطين بن هلانة » بالقهر والرياسة .

والدين الذى جاء به المسيح عليه السلام ، لم يلبث بعده سوى أربعين سنة ، وأهله مستضعفون ، ثم اختل كما قدمت ذكره .

وكان سيد النبيين محمد عليه الصلاة والسلام حين خلص المشركون اليه فى يوم أحد ، أشرع اليه رمحه ، فجاء أحد أصحابه ، فأدخل جسمه بين سنان الرمح وبينه ، فمات رحمه الله ، واستمر الأعداء يرسلون اليه سهامهم ، وسماك بن خرشه[2] انحنى عليــه يقى جســمه الكريم من السهام بجسمه ، واندفع بعض الصحابة يشرب الدم الذى سال منه صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك تعظيما له ، ايمانا به ، وشفقة عليه .

لا كما كتبتم فى الانجيل :

أن أصحاب المسيح عليه السلام حين أحيط به ــ كظنكم ــ جزعوا

---

(١) لوقا : ٢٢ : ٣٥ ــ ٣٦ .

(٢) هو أبو دجانة سماك بن خرشه ترس بنفسه يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقى النبل فى ظهره وهو منحن عليه .

فتفرقوا عنه ، وأن « بطرس » الذى كان [قد] حلف ألا ينكره : أنكره قبل صراخ الديك ثلاثا ، وحلف أنه ما يعرفه[1] ، وهو الذى كان المسيح قال له — بزعمكم — : ما حللت فى الأرض فهو محلول فى السـماء ، وما عقدت فيها فهو معقود فى السـماء[2] .

زعمتم أنه أفرده بهذه المقالة ، ثم قالها لسائر التلاميذ فى جملتهم ؛ ثم لم يكن الا قليل حتى هربوا عنه ، وأسلموه لأعدائه — كما زعمتم .

[وليس بصحيح] ما زعمتم أن « بطرس » استل فى ذلك اليوم سيفا ، وقطع به أذنا »[3] .

فما أبين ضلالكم ، وأهون على الله تعالى نكالكم !

* * *

(١) راجع متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٤ ، مرقس ٢٤ : ٦٦ — ٧٢ ؛ لوقا ٢٢ : ٥٥ — ٦١ ، يوحنا ١٨ : ٢٥ — ٢٧ .

(٢) متى : ١٦ : ١٩ .

(٣) لم تذكر الأناجيل الثلاثة أن الذى استل السيف هو « بطرس » بل قالت :

« واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده ، واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه » .

(قارن متى ٢٦ : ٥١ ، مرقس ٢٤ : ٤٧ ، لوقا ٢٢ : ٥٠)

أما يوحنا فينسب هذا الفعل الى « بطرس » .

(قارن يوحنا ١٨ : ١٠)

[خاتمتين[1]]

الأولى :

وبعد .. أيها المغرور ؟ فعلى كثرة اختلاف أقوالكم فى المسيح ، وتنازعكم ، فكلكم يقول :

— انه انسان تام ، حمل به تسعة أشهر ، وولد ، وختن ، وأرضع ، وكان صغيرا فكبر ، وناقصا فزاد ، ونما ، ومشى ، وأكل ، وجاع ، وشبع ، وعطش ، وغاط ، وبال ونام .

وطلب فهرب ، وأخذ فربط ، وصلب ، ودفن .

— وانه أتى شجرة من التين ، فلم يجد فيها ما يأكله فدعا عليها[2] .

— ولم يدر أيضا — [مكان] قبر صديقه « لعازر » وقال :

أين دفنتموه ؟[3] .

ولم يعلم ، متى تقوم الساعة !

— ولا قدر أن يجعل أولاد زبدى عن يمينه وشماله ، وترك ذلك الى الله ان شاء فعله ![4] .

---

(١) اختلفت خاتمة ت ، ج عنها فى ع فى النسبة والمضمون . فقد نسبت فى ت ، ج الى المراجع ، أما فى ع ، فلم يشر الى ذلك .

ولذا رأينا أن نثبت أولا خاتمة ت ، ج ثم خاتمة ع .

(٢) متى ٢١ : ١٨ — ١٩ ، ومرقس ١١ : ١٣ — ١٤ .

(٣) يوحنا ١١ : ٣٤ .

(٤) متى ٢٠ : ٢ — ٢٣ .

وقلتم :

ــ ان يحيى غطسه .

ــ وانه صاح عند الموت جزعا منه !

وهذه كلها صفات انسان مهين ، لا اله قوى متين .

ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة ، ويتلقاكم بالهداية ، فهو فعال لما يريد .

قال المراجع لهذه الرسالة : ليعلم كل ذى بصيرة : أن ما على الأرض عقيدة دين . أعدى على حقيقة الايمان من عقيدة ملة النصارى ! ولا يعبد حى بمقول من الآراء أبلغ فى السخافة من قواعدهم فى عبادتهم ! .

ولم أتعرض فى هذه الرسالة لكثير منها ، لأن عرض حكاية الكفر اثم نفسه ، وان كنت قد اضطررت الى حكاية شىء من ذلك ، فما أضربت صفحا عنه أبشع وأشنع مما اضطررت الى حكايته .

وقد كان يجب [على] ألا ألتفت الى شىء من مقـــالتهم ، فان [مناقشتها] اخلال فى العقل ، وفى صحة الدين .

فأما ، وقد ندبنا الله سبحانه وتعالى الى اقامة الحجة واسطاع البراهين ، وأكد ذلك علينا فى محكم كتابه من مكالمة اليهود فى ذلك أولا ! ورجاء ثواب الله تعالى ثانيا . فالملة النصرانية خارجة عن اليهودية ، وفرع من أصلها . [فالمسيحيون] يؤمنون بكل ما فى أيدى اليهود حرفا حرفا ، وانما يخالفونهم فى تأويلات وخيمة تأولوها ، وبدع من ضلالتهم تناقلوها ، وليس ذلك الفرع الذى هو النصرانية من ذلك الأصل الذى هو اليهودية كسائر فروعه وفرقه ، من العنانية ، والعيسوية ، واليوذعانية ، والسامرة ، وغيرها من فرق اليهود على اختلاف مذاهبها ، وانما ذلك فرع ذهب من الضلالة كل مذهب .

وقد أوردت فى هذه الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، ولم أنقل من التوراة ، والانجيل ، والزبور ، وصحف الأنبياء، الا ما هو بأيديهم فى وقتنا هذا .

فاذا رأى القارىء نصا من نصوصهم ، وقد أضافوا فيه الأفعال ، والحول ، والقوة ، الى عيسى بن مريم من دون الله تعالى . فليعلم أن ذلك تحريف منهم .

وقد قدمت فى صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه ما ادعى الألوهية ، وانما نقلت من أناجيلهم حرفا حرفا — على ما فيها من اضافة الفعل ، والقوة ، والحول الى غير الله تعالى ، لأن من شأنهم وشأن اليهود ، اذا قيدوا بشىء [ليس] مكتوبا عندهم أنكروه — ، فلم أورد من ذلك الا ما قرأته فى كتبهم العبرانية ، ووقفت عليها بنفسى وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها .

ومن جرى [فى المناظرة] هذا المجرى ، ثم طرح الهوى ، فنظر بعين الانصاف ، كان الحق له أبين من فلق الصبح ، والهدى هدى الله — لا اله الا هو — يهدى به من يشاء ، والحمد لله على ما خصنا به ، وهو ذو المن ، والطول لا اله هو تعالى عن قول الكافرين علوا كبيرا .

وصلوات الله وسلامه على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابته الأبرار ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الثانية :

ومع ذلك أيها المغرور ، فعلى كثرة اختلاف أقوالكم فى المسيح ، وتنازعكم فيه فكلكم زعمتم :

أن المسيح عليه السلام ، هو الله تعالى • وانما نزل الى الأرض ليخلص العالم من خطيئة آدم ، فتصير نفوس أهله زكية ، راضية مرضية •

وينصركم على اليهود • ويشرق فى سماء مجدكم شمس العود ، مع أن الأبلغ فى أبهة الجلالة الصمدية ، وحرمة العظمة الالهية ، أن يفعل ذلك على أيدى رسله المرضيين ، وخاصته المقربين •

فما الذى أوجب نزوله عن مجده الرفيع وعزه المنيع ، الى حضيض الآفات ، مقر الملومات ؟ ، فولج بطون النساء ، واغتذى بالدماء ، ولبث فى الأرحام ، منغمسا فى المشيمة ، والأحوال الوخيمة ، الى أن ولدته أمه ، وأرضعته ، وفطمته ، وأدبته ، وأمرته بحقوقها ، ونهته عن عقوقها ، وترددت به الى المواسم ، وأرته الشعائر والمعالم ، حتى شب ، وترعرع ، وتشوق الى شرف الرجولية ، وتطلع •

فلما شرع فيما أنزل اليه ، عارضته اليهود ، فنكدوه ، وطردوه ، وعزموا أن يقتلوه •

فلما أعياه أمرهم تحصن بالاستتار خلف الجدار ، وأمر أصحابه بكتمانه ، وأن يبالغوا فى اخفاء مكانه •

وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه ، حتى دل عليه « يهوذا » صاحبه ، فأسلمه لأعدائه ، وأوقعه فى شبكة بلائه ، فسحبوه على الشوك حزينا • وبقى هذا الاله المسـكين فى أيدى اليهود بالعذاب رهينا ، يرون أقبح ما يفعلونه [به] حسنا ، وأشد ما يهينونه به مستحسنا ، فلما بلغوا من اهانته المراد ، ومضوا به الى بقعة من الأرض ، تزعمون أنه دحاها ، وحملوه خشبته التى تقولون : أنه أنبت لحاها ، وألبسوه ثيابا حمرا للشهرة ، قد كان خلق — على رأيكم — درسها ، وأوقفوه بحر الشمس الذى هو أسخن مسها • وسألهم شربة من الماء — الذى فجره — ، حين وصلت روحه للحنجرة •

ولما صالت عليه الأمم الدواهى ، نادى فوق جذعه ، الهى ! الهى ! وقد صار بين اللصوص مصلوبا •

ثم زهقت نفسه ، وحضر رمسه وصار فى بطن اللحد سرا مكتوما ، وعاد الاله الأزلى — بزعمكم — معدوما •

ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان ، وعاد كما كان ، بعد ما اتصف بالأحوال الوبيلة ، وبقيت حسرتكم عليـه طويلة ، وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية ، وعظم تسلط اليهود ، وكفر أهل الجحود •

ولم يعظمه ، ويؤمن به الا النفر القليل ، والعدد اليسير ، فكيف الرأى السقيم ، والتصرف الذميم ، الذى لا يصدر الا من معتوه ، أو فاسد الرأى ، ناقص الهمة ، مظلم الفكرة ، يعرض نفسه الى المحن ، ويثير بين العبادة الاحن • ان هـذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية ، وازالة بهجتها ، وطمس نورها • واطلاق ألسنة الأعداء بابطالها •

وأين هذا من قولنا نحن معشر المسلمين الذى نجل الله تعالى عن الاتصاف بصفات الأجسام ، ونحيل على جنابه الكريم أن تناله الآفات والآلام •

بعث عيسى عليه السلام ، نبيا مكرما ، ورفعه اليه مجيدا معظما ، لم يهنه بأيدى الأعداء ، ولا سلط عليه أسباب البلاء •

ولو أن انسانا نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان ، ولا يخالط نوع الانسان فقيل له :

ان لك ربا ، خلقك وأبدعك ، وهو رجـل مثلك ، يغوط ، ويبول ، ويمخط ، ويبصق ، ويجوع ، ويعطش ، ويعرى • ويكسى ، ويسهر ، وينام ، ويتنازع مع الآنام الكلام •

وان رجلا مثلك ومثله ، بغضه فضربه ، وسجنه ، ثم صلبه ، وقتله بعد أن حطم شعره ، ولطم نحره ، فجاور الأموات ، وتعذت عليه روح الحياة ، لاستنكف العقل السليم . والطبع المستقيم ، الاعتراف بوجود هـذا الاله فضلا عن الاعتراف بربوبيته ، وأنف أن يكون عبدا له ، ويرى نفســه أفضل من هذا الاله ، لسلامته عن هذه الآفات ! .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .



الكشاف

- الأعـلام
- الأماكن والبلدان
- القبائل والأقوام
- الآيات القرآنية
- فقرات من الكتاب المقدس
- أهم المراجع العربية
- المراجع الأجنبيـة
- محتويات الكتاب

الأعـــــلام

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

الأماكن والبلدان

***

القبائل والأقوام

* * *

الآيات القرآنية

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *

فقرات من الكتاب المقدس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *

أهم المراجـــع العربية

ـــ القرآن الكريم
ـــ العهد القديم القاهرة ١٩٦٢
ـــ العهد الجديد القاهرة ١٩٦٣
ـــ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ تحقيق : عبد الوهاب النجار القاهرة ١٣٤٩هـ
ـــ أبو الأعلى المودودى : تفهيم القرآن لاهور ١٩٧٣
ـــ البخارى : صحيح البخارى ـــ طبعة الشعب القاهرة ـــ
ـــ البستانى : دائرة المعارف بيروت ١٩٥٦
ـــ بطرس البستانى : معارك العرب فى الأندلس بيروت ١٩٥٠
ـــ الثعالبى : قصص الأنبياء القاهرة ـــ
ـــ جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى بيروت ١٩٦٧
ـــ ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح البخارى ـــ
ـــ ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل القاهرة ١٩٦٤
ـــ ابن حيان : المقتبس فى تاريخ بلاد الأندلس تحقيق: عبد الرحمن على الحجى بيروت ١٩٦٥
ـــ رحمة الله الهندى : اظهار الحق تحقيق : عمر الدسوقى الدارالبيضاء ١٩٦٤
ـــ الزركلى : الأعلام بيروت ١٩٦٩
ـــ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة : حسن حنفى القاهرة ١٩٧١
ـــ الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن تحقيق : محمود ، وأحمد شاكر القاهرة ١٩٧٤
وطبعة بولاق ـــ
ـــ الطبرى : تاريخ الطبرى تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٦٠

- ظفر الدين خان : الاسلام يتحدى القاهرة ١٩٧٣
- عباس العقاد : الله القاهرة ١٩٦٩
- عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل القاهرة ١٩٦٦
- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء القاهرة ١٩٦٦
- على عبد الواحد وافى : قصة الزواج والعزوبة فى العالم القاهرة —
- الفخر الرازى : التفسير الكبير القاهرة —
- ابن كثير : البداية والنهاية بيروت والرياض ١٩٦٦
- ابن كثير : قصص الأنبياء تحقيق : مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٩٦٨
- ابن كثير : السيرة النبوية تحقيق : مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٩٦٦
- ابن كثير : شمائل الرسول تحقيق : مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٩٦٧
- لسان الدين الخطيب : تاريخ أسبانيا المسلمة تحقيق : ليفى بروفنسال بيروت ١٩٥٦
- ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والأندلس ترجمة : عبد العزيز سالم القاهرة ١٩٥٦
- مالك بن نبى : مشكلة الثقافة ترجمة : عبد الصبور شاهين بيروت ١٩٧١
- محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى القاهرة ١٩٤٥
- محمد حسين هيكل : حياة محمد القاهرة ١٩٦٢
- محمد عبد الله دراز : الأخلاق فى القرآن
- محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر القاهرة ١٩٦٠
- محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية القاهرة ١٩٦٠
- محمد عبد الله عنان : الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية القاهرة ١٩٥٨

ـ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى — القاهرة ١٩٦٠

ـ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين — القاهرة ١٩٥٨

ـ مسلم : صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى — القاهرة ١٩٥٥

ـ ابن هشام : السيرة النبوية — القاهرة ـ

ـ ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق : مصطفى السقا وآخرون — القاهرة ١٩٥٥

ـ ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٦٣

ـ الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — القاهرة ١٩٥٣

ـ هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد — القاهرة ١٩٥٨

ـ ياقوت : معجم البلدان — القاهرة ١٣٢٥هـ

***

المراجع الأجنبية

— Anwander, Anton Wörterbuch der Religiönen Würzburg 1962.

— Bouëssé, Humbert : Le sauveur de monde, Le mystère de l'incarnation Paris 1953

— Mensching, Gustav : Leben und Legende der Religionsstifter. Folle-Verlag : Darmstadt, Baden-Baden, Genf o. D.

— Nölle, Wilfried : Wörterbuch der Religionen München 1960.

— Stahlin Rudolf u. a. : Christliche Religion. Fischer Rücherei 1961.

— Staufer : Botschaft.

— Theologisches Wörterbuch zum neuen Testament :herausgegeben von Gerhard Friedrich Stuttgart 1954.

محتويات الكتاب

الصفحة

رسالة القسيس الى أبى عبيدة

(٥٤ — ١١٩)

الصفحة

رسالة أبى عبيدة الى القسيس

(١٢٠ ـ ٢٩١)

الصفحة

خاتمتين (٢٩٣ — ٢٩٨)

الكشاف (٢٩٩ — ٣٤١)

كتب للمحقق

١ ـــ الاسلام قوة الغد العالمية
ـــ باول شمتز ـــ مترجم

٢ ـــ الاسلام فى الفكر الأوروبى
ـــ هربرت جوتشالك ـــ مترجم

٣ ـــ حقائق عن النظام الشيوعى
ـــ فو لفجانج ليونهارد ـــ مترجم

٤ ـــ بين الاسلام والمسيحية
ـــ أبو عبيدة الخزرجى ـــ تحقيق

٥ ـــ أثر البيئة فى ظهور القاديانية ـــ تأليف

٦ ـــ الخطر الشيوعى فى بلاد الاسلام ـــ تأليف

***

تحت الطبـــع

١ ـــ الاسلام كما ينبغى أن نعرفه

٢ ـــ بحوث فى علم الأديان

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٧٩ / ٢٨٨٨

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر : ٣ حارة حمدان الموصلي
بجوار جامع الرضاء

BETWEEN

ISLAM AND CHRISTIANITY

KITAB ABI ABIDA AL-KHAZRAJI

EDITION, EXPLANATORY NOTES AND INTRODUCTION

BY

DR. M. A. SHAMA

WAHBA BOOK SHOP
14, AL GOMHORYA STREET - CAIRO